جمهوريةُ العراقِ
وزارةُ التعليمِ العالي والبحثِ العلميِّ
جامعةُ كربلاءَ / كُلِّيةُ التربيةِ للعلومِ الإنسانيةِ
الدِّراساتُ العُليـا / ماجستير
اللغةُ العربيةُ / لغة

الدَّلالةُ النفسِيَّةُ للتقابُلِ في النصِّ القرآنـيِّ

رسالةً قدَّمتها الطالبةُ

زهراء شاكر محمد الوائلـيُّ

إلى مَجلِسِ كُليَّةِ التربيةِ للعلُومِ الإنسانيةِ في جامعةِ كربلاءَ
جُزءًا مِن مُتطلَّباتِ نَيلِ شهادةِ الماجستير في اللغةِ العربيةِ / اللغةِ

بإشرافِ

أ.د. هادي شَنْدُوخ السَّعِيديِّ

1447هـ

2025م

بسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرحِيمِ

(فمَـن يَّعمَـلْ مِثقـالَ ذَرَّةٍ خَيـرًا يَّـرَهُ ۞ ومَـن يَّعمَـلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَّرَهُ) [الزَّلزَلة/7-8]

صدقَ اللهُ العَلِيُّ العَظيمُ

قرارُ لَجنةِ المناقشة

نحنُ رئيسَ لَجنةِ المناقشةِ وأَعضاءَها نَشهَدُ أَنَّنا قدِ اطَّلَعنا على الرسالةِ الموسومةِ بـ(الدَّلالةُ النفسيةُ للتقابُلِ في النصِّ القرآنيِّ) التي قدَّمتها الطالبةُ (زهراء شاكر محمد الوائليُّ) ، وناقشناها في محتوياتِها ، وفيما له عَلاقةٌ بها ؛ ونرَى أَنَّها جديرةٌ بالقبولِ بتقديرِ (جيِّد جدًّا عالٍ) ؛ لنَيلِ شهادةِ الماجستير في اللغةِ العربيةِ / اللغةِ.

الإمضاءُ:

أ.د. فلاح رسول حسين (عضوًا).

التاريخ:

الإمضاءُ:

أ.د. نعمة دهش فرحان (عضوًا).

التاريخ:

الإمضاءُ:

أ.د. هادي شندوخ حميد (عضوًا مُشرِفًا).

التاريخ:

الإمضاءُ:

أ.د. رجاء عجيل إبراهيم (رئيسًا).

التاريخ: ٢٠٢٤/١/٢٨

تصديقُ مجلسِ كُليةِ التربيةِ للعلومِ الإنسانية:

الإمضاءُ:

عميدُ الكُليةِ: أ.د. هادي شَندُوخ حميد السَّعيدي

التاريخُ:

إِقرارُ المشرِفِ

أَشـهَدُ أَنَّ إِعدادَ هذه الرسـالةِ الموسـومةِ بـــ(الدَّلالةُ النفسـيةُ للتقابلِ في النصِّ القرآنيِّ) التي قدَّمتها الطالبةُ (زهراء شـاكر محمد الوائليُّ) لنيلِ شـهادةِ الماجسـتير في اللغةِ العربيةِ / اللغة قد جرى بإشرافي ؛ وهي جديرةٌ بالترشـيحِ للمناقشـةِ بعدَ اسـتيفاءِ مقدِّماتِها ومتطلباتِها الأُصُوليةِ.

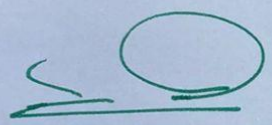

الإمضاءُ:

المشرفُ: أ.د. هادي شَندُوخ حميد السَّعيدي

التأريخُ: ١٨ / ١٢ / ٢٠٢٥

إِقرارُ رئيسِ القسمِ

بناءً على التوصياتِ المتوافرةِ أُرشِّحُ هذه الرسالةَ للمناقشة.

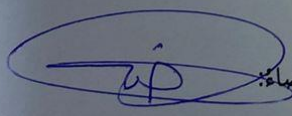

الإمضاءُ:

الاسمُ: أ.د. جنان منصور الجبوري

التأريخُ: ١٨ / ١٢ / ٢٠٢٥

قرارُ لَجنةِ المناقشة

نحنُ رئيسَ لَجنةِ المناقشةِ وأَعضاءَها نَشهَدُ أَنَّنا قدِ اطَّلَعنا على الرسالةِ الموسومةِ بـ(الدَّلالةُ النفسيةُ للتقابُلِ في النصِّ القرآنيِّ) التي قدَّمتها الطالبةُ (زهراء شاكر محمد الوائليُّ) ، وناقشناها في محتوياتِها ، وفيما له عَلاقةٌ بها ؛ ونرَى أَنَّها جديرةٌ بالقبولِ بتقديرِ (جيِّد جدًّا عالٍ) ؛ لنَيلِ شهادةِ الماجستير في اللغةِ العربيةِ / اللغةِ.

الإمضاءُ:

أ.د. فلاح رسول حسين (عضوًا).

التاريخ:

الإمضاءُ:

أ.د. نعمة دهش فرحان (عضوًا).

التاريخ:

الإمضاءُ:

أ.د. هادي شندوخ حميد (عضوًا مُشرِفًا).

التاريخ:

الإمضاءُ:

أ.د. رجاء عجيل إبراهيم (رئيسًا).

التاريخ: ٢٠٢٤/١/٢٨

تصديقُ مجلسِ كُليةِ التربيةِ للعلومِ الإنسانية:

الإمضاءُ:

عميدُ الكُليةِ: أ.د. هادي شَندُوخ حميد السَّعيدي

التاريخُ:

الإهداءُ

إليكَ:

سيِّدي يا رسولَ الرَّحمةِ والهِدايةِ والسلامِ ، يا عاليَ المَقامِ ، وسيِّدَ الأَنامِ (صلَّى اللهُ عليكَ وآلِكَ) أَئمةِ الهُدى الكرامِ ، وعِدْلِ الكتابِ تعاقُبَ النورِ والظلامِ ؛ ليتَنـي أَحظَى برحمةٍ من تجلِّياتِ خُلُقِكَ ، ونَفحَةٍ مِن نفَحاتِ كرمِكَ تقبَلُ بها عملي هذا ؛ لِتَجعلَ لي في حضرتِكَ مَقامًا ومَلاذا.

وإليكُم:

سادتي وأَئمَّتي المعصومينَ الغُرِّ المُخلَصِينَ يا أَملَ المُستضعَفينَ ورجاءَ المظلومينَ بخاتَمِكُم إمامِنا الحُجَّةِ المهدِيِّ المُنتظَرِ المُنتظَرِ (عليكُمُ السلامُ أَجمعين ، ورزقنا فرجَكُمُ المُبين).

وهل يَفِي الخَلْقُ كُلُّهُم أَجمعُونَ (جُزءًا) مِن بشارةِ كتابِ اللهِ الأَكرمِ ، و(شيئًا) مِن فُيُوضِ تبليغِهِ الأَعظَمِ ، وشيئًا مِن فضلِ عِدْلِهِ الراسخِ في العِلمِ ، الأَعلَمِ ؟!

ثُمَّ إليكُما:

يا أَساسَ وُجُودِي وتَربيَتي ، ومَعْقِدَ رِعايتي وتَنشِئَتي ، ومُنتهَى احترامي ، ومَقصَدَ تحِيَّتي (والدَيَّ) الموقَّرَينِ.

وإليكَ:

يا مُعلِّمي وسنَدِي ، خَيمتِي ورائدِي: (زَوجي) الموقرَ مُلهِمي ومُرشِدِي.

وإليكُم:

يا بَسْمَةَ الرُّوحِ ، ورجاءَ الطُّمُوحِ ، يا زهورَ حياتي ، وعَبَقَ النَّفحاتِ (وَلَدَيَّ وبناتي).

أُهدي رسالتي هذه ؛ حَمدًا للهِ سُبحانَه وتعالى ، وشُكرًا له ما حَيِيْتُ يَتوالَى.

زهراء

كلمةُ الشُكرِ والامتِنانِ

ما مِن نِّعمةٍ يَسعَدُ المُؤمنُ بحُلُولِ مُقدِّماتِها ، وتحقُّقِ مَقاماتِها ، ونَيلِ كراماتِها إلَّا وطابتِ نفسُهُ بالعِرفانِ شُكرًا وامتنانًا **للهِ** تعالى ؛ فهو الآمِرُ المُعِزُّ بها ، المُقدِّمُ المُيسِّرُ لها بحقيقةِ قولِهِ سُبحانَه: **(وما بِكُم مِّن نِّعمَة فمِنَ اللهِ)** [إالنحل/53] ، المُمَكِّنُ بمَزيدٍ منها بمِصداقِ قولِهِ تعالى: **(لَئِن شَكَرتُم لَأَزِيدَنَّكُم)** [إبراهيم/7] ؛ فلَكَ الحمدُ والشُّكرُ **ربِّي** عن مَنِّكَ الكريمِ ، وعطائِكَ العظيمِ ، وتوفيقِكَ المُقِيمِ.

وبحقيقةِ الحديثِ الشريفِ: ((**مَن لَّا يَشكُرِ النَّاسَ لا يَشكُرِ اللهَ**)) ؛ فإنني أَشكُرُ لأُستاذيَ المشرفِ (**أ.د. هادي شَنْدُوخ السَّعِيديِّ**) الموقرِ الذي كان مُتابعًا ومُوجِّهًا أَمينًا ، وقارِئًا مُلاحِظًا مَكينًا ، ومُصحِّحًا بما يُدلِي قَمِينًا ؛ فجزاهُ اللهُ تعالى عني خيرَ جزاءِ المُحسِنين.

وأَشكُرُ **لأَساتذتي** الموقرينَ الذينَ تَلمَذتُ عليهِم في السنةِ التحضيريةِ في دراستي للماجستير ؛ فكان القِطافُ من ذاكَ التحصيلِ وهذا الإشرافِ هذه الرسالةُ التي ستحظَى بمكانِها الرفيعِ في المكتبةِ القرآنيةِ ليس لأَنني كتبتُها بل لأَنَّ القرآنَ الكريمَ مضمونُها وغايتُها.

وأَشكُرُ لزوجي (**أ.د. علي عبدالفتاح الحاج فرهود**) الموقرِ عن سَخاءِ عِلمٍ قد نَفعَني به ، وعَطاءِ توجيهٍ قد أَفادني منه.

وأَشكُرُ **لكلِّ سَخِيٍّ** تفضَّلَ علَيَّ بكرمٍ من سؤالٍ عنِ حالِ دراستي وكتابتي ، أَو دعاءٍ لي بإنجازٍ ناجحٍ لأَمانتي ومُهِمَّتي ، أَو قدَّم لي خِدمةً علميةً أَفدتُ منها في رسالتي ، أَو خِدمةً إداريةً فنيةً لَزِمَتني مُنذُ قبولي في الدراسةِ حتى نعمةِ مُناقشتي وما يَتبعُها من متطلَّباتِ أُصوليةٍ لازمةٍ.

وأَشكُرُ لأَخي (**م. أَمير سلمان اللبَّان**) الموقرِ من قسمِ اللغةِ الإنجليزيةِ في كليةِ التربيةِ الأَساسيةِ في جامعةِ بابلَ الذي تفضَّل علَيَّ بترجمةِ عنوانِ الرسالةِ ، ومقدِّمتِها بأَمانةِ العارفِ الأَمينِ.

وأَشكُرُ لـ(**أُسرةِ زوجي**) الكريمةِ كلِّها عن تواصلِ سؤالِها ودَعمِها ودُعائِها ، ولأُسرتي الكريمةِ (**والدَيَّ**) الموقرَينِ ، و(**إخوتي وأَخواتي وذويهِمُ**) الطيبين عن كرمِ تواصُلِهم بالسؤالِ والدعاءِ ، ولـ(**زملائي**) الطيبينَ الذي تشرَّفتُ بهِم في سُمُوِّ المَقامِ تحصيلًا دراسيًّا ، وتواصُلًا علميًّا.

وخِتامًا فإنَّني أَجِدُني مُتشرِّفةً وأَنا أَشكُرُ للسادةِ (**رئيسِ لَجنةِ التحكيمِ العلميِّ**) الموقرِ ، ولـ(**أَعضائِها**) الموقرينَ الذينَ سأَحظَى بهِباتِهِمُ العِلميةِ تُرَصِّنُ الرسالةَ بمِدادِ فِكرِهم ، وتوجيهِ نُصحِهم ، وكمالِ تصويبِهم ، وتمامِ قرارِهِم.

زهراء

المحتويات

الموضوعُ	الصفحةُ
آيةٌ قرآنيةٌ	
الإهداءُ	
كلمةُ الشُكرِ والامتِنانِ	
إِقرارُ المُشرف	
المُحتوَياتُ	**أ - ت**
المُقدِّمةُ	**1 – 6**
التَّمهيدُ	**7 – 20**
الفصلُ الأولُ: سِياقاتُ التقابلِ المُتضادِّ ، وموضوعاتُها ، ودلالاتُهُ النفسيةُ.	**21 - 100**
المبحثُ الأولُ/ **التقابلُ في سياقِ الاستفهام.**	**22 - 37**
المبحثُ الثاني/ **التقابلُ في سياقِ الشّرْط.**	**37 - 53**
المبحثُ الثالثُ/ **التقابلُ في سياقِ التوكيد.**	**54 – 70**
المبحثُ الرابعُ/ **التقابلُ في سياقِ الحِجَاج.**	**71 – 87**
المبحثُ الخامسُ/ **التقابلُ في السياقِ البلاغي.**	**88 – 100**
الموضوعُ	الصفحةُ
الفصلُ الثاني: مَجالاتُ التقابلِ المُتضادِّ، وموضوعاتُها ، ودَلالاتُهُ	**101 - 154**

النفسيةُ.	
المبحثُ الأولُ/ **التقابلُ في المجالِ العَقَدِي.**	**121 - 102**
المبحثُ الثاني/ **التقابلُ في المجالِ التشريعِي.**	**136 - 122**
المبحثُ الثالثُ/ **التقابلُ في المجالِ الاجتماعِي.**	**154 - 137**
الفصلُ الثالثُ: أَنماطُ التقابلِ المُتضادِّ ، وموضوعاتُها ، ودَلالاتُهُ النفسيةُ.	**210 - 155**
المبحثُ الأولُ/ **نَمَطَ التقابلِ بالتّكرار.**	**174 - 156**
المبحثُ الثاني/ **نَمَطَ التقابلِ المتنوِّعِ.**	**194 - 175**
المبحثُ الثالثُ/ **نَمَطَ التقابلِ الجُزئِي.**	**210 - 195**
خاتمةٌ ونتائجُ	**217 - 211**
روافدُ الرسالةِ	**241 - 218**
Introduction	**1 – 5**

المقدمة

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

الحمدُ للهِ الذي له الوَلايةُ الحقُّ تفرُّدًا ، وله العزَّةُ جميعًا تختصُّ به تَمَجُّدًا. والصلاةُ على حبيبِه الموصوفِ رحمةً المُسمَّى مُحمَّدًا ، وعلى آلِه الأَطهارِ أَسمَى مَن خَشِيَ الرحمنَ طاعةً

وتعبُّدًا ، وعلى صحبِه الذين وصفَهُمُ القرآنُ في فتحِهِ تَخَلُّدًا بأَنهُم (أَشِدَّاءُ على الكُفارِ ، رُحماءُ بينَهُم) تَعَهُّدًا.

وبعدُ ؛

فهذه رسالتي (الدَّلالةُ النفسِيَّةُ للتقابُلِ في النصِّ القرآنيِّ) قد زانَها عِزًّا أَنَّ القرآنَ الكريمَ مادَّتُها ، واللغةَ العربيةَ تَخصُّصُها ، ونَظمَ التقابلِ اللغويِّ المتضادِّ موضوعُها ، ودَلالتَه النفسيةَ لدى المُخاطَبِ (المُتلقِّي) أَوِ السامعِ مِحورُها ومَقصدُها.

ويَطيبُ لي كرامةً أَن حَبَاني اللهُ تعالى بتوفيقِه إذ توثَّقتْ بـ(مادتِها، وتخصُّصِها ، وموضوعِها ، ومِحورِها ، ومَقصدِها) هذا رسميًّا عنوانًا مُقرَّرًا لدراستي البحثيةِ العُليا في مستوى الماجستير عن فضلِ توجيهٍ واقتراحٍ من أُستاذيَ المشرفِ (أ.د. هادي شَنْدُوخ حميد السَّعِيديِّ) الموقرِ ، وإقرارٍ أُصوليٍّ تأيديٍّ بالموافقةِ والمُباركةِ من أَساتذتي الموقرين في (اللجنةِ العلميةِ المختصةِ ، ورئاسةِ القسمِ).

وإنَّني إذ سُعِدتُ بهذا التكليفِ العلميِّ اللازمِ إنجازًا بحثيًّا ؛ فإنَّني أَشكرُ للهِ تعالى أَن مَكَّنني من إكمالِهِ وإتمامِه (الأَوَّليِّ) هذا ؛ ليَرقَى إلى إكمالٍ وإتمامٍ (نهائيٍّ) أَرجوهُ بما سيُتحِفُهُ به أَساتذتي الفضلاءُ الذين سأَتشرَّفُ بامتِخارِهِم رئيسًا وعُضوَينِ في (لَجنةِ التحكيمِ العلميِّ) الموقرةِ المُنتظَرِ إقرارُها أُصوليًّا ؛ لتُظهِرَ بتوجيهِها هذا العملَ مَكنَزًا عِلميًّا قد بذلتُ له جُهدي ، وتحمَّلتُ لأَجلِهِ جَهدي ؛ فهو أَمانةٌ لديهِم يُبارِكونَ لصوابِه كُرَماءَ ، ويُصوِّبُونَ سهوَهُ وخطأَهُ رُحماءَ ؛ فما الغايةُ إلا رضا اللهِ تعالى عنَّا نَبغيها بخدمةِ كتابِه الكريمِ المُعجِزِ بلفظِه وبيانِه ، ولغتِه العُظمَى الساميَةِ بأَساليبِها وفنونِ نَظمِها ودَلالاتِها.

إنَّ للدَّلالةِ اللغويةِ النفسيةِ القرآنيةِ خاصةً أَهميةً كُبرى في حركةِ الخِطابِ والحوارِ فيما تتجلَّى به من آثارٍ في المُتلقِّي (المُخاطَبِ) أوِ السامعِ تتحصَّلُ من خطابِ نصٍّ مُعجِزٍ غايتُه الهِدايةُ والتوجيهُ والإرشادُ والتهذيبُ بجَلْبِ نفعٍ للإنسانِ ، ودَفعِ ضُرٍّ عنه يُصاغُ في كلامٍ قد تقابلَ فيه طرفانِ في أَغلبِ مواردِه ، أَو أَكثرَ في بعضٍ منها تقابُلا مُتضادًّا حصرًا إذ إنَّ موضوعَ رسالتي ليس التقابلَ الدَّلاليَّ العامَّ بإطلاقِه الذي يتقابلُ فيه طرفانِ أَو تركيبانِ لا تضادَّ بينَهما كقولِه تعالى: ﴿**إِنْ هوَ إلا رجُلٌ افتَرَى علَى اللهِ كَذِبًا وما نَحنُ لهُ بمُؤمِنِينَ** ﴾ [المؤمنون/] ؛ فالطرَفُ أَوِ التركيبُ الأَولُ ﴿**رجُلٌ افتَرَى علَى اللهِ كَذِبًا**﴾ وهو وصفٌ سلبيٌّ

من قومِ (صالحٍ/ عليهِ السلامُ) له يُقابلُه الطرَفُ أَوِ التركيبُ الآخَرُ ﴿**ما نَحنُ لهُ بمُؤمِنِينَ**﴾ وهو حالُهُم ومَوقفُهمُ السلبيُّ أَيضًا تُجاهَه ، ولكن لا تضادَّ ولا تناقُضَ بينَهما فكلاهُما سلبيانِ ؛ فموضوعُ رسالتي هو التقابلُ الدَّلاليُّ المتضادُّ طرفاهُ فقط ، أَو تركيبا نظمِهِ المتقابلَينِ تعارُضًا فيما بينَهما كـ(الظلُماتِ ، والنورِ) ، و(الحقِ ، والباطلِ) – على سبيلِ المثالِ – وما يتجلَّى منه من إيحاءاتٍ دَلاليةٍ نفسيةٍ تُقرَأُ استنتاجًا تدبُّريًّا في ضوءِ المعرفةِ القرآنيةِ ، والمِكنةِ التحليليةِ تَحصُّنًا بالمصادرِ والمراجعِ المختصَّةِ في هذا الميدانِ العلميِّ بمنهجِ الجَمعِ والترتيبِ اللازمِ ضبطًا ، وبالنظَرِ التحليليِّ ، وإبداءِ الرأيِ الشخصيِّ ثقةً تحصيليةً عندَ التمكُّنِ والاقتضاء.

وقد تأَصَّلت فِكرةُ رسالتي هذه من أَهميةِ موضوعِها هذا الذي لم أَجِد له رسالةً عُليا مختصَّةً قد أُفرِدَت له تحديدًا قد أُنجِزت بتمامِ عُنوانِها ومضمونِها وأَغنتِ المكتبةَ بجديدِها ؛ فما تزالُ المكتبةُ اللغويةُ القرآنيةُ تحتاجُ إلى هذه الدراسةِ تحديدًا باستفاضةٍ وافيةٍ ؛ لأَنَّ ما تَزخَرُ به المكتبةُ اللغويةُ القرآنيةُ العامةُ والجامعيةُ من مؤلفاتٍ ودراساتٍ في ميدانِ (التقابلِ اللغويِّ) إنما جاءت عامةً في (التقابلِ ، والمُقابلةِ) ، وفي (الجانبِ البلاغيِّ) مِن دونِ اختِصاصٍ واضحٍ جدًّا في مجالِ (الدَّلالةِ النفسيةِ للتقابلِ المتضادِّ) الذي اتخذتُه مضمونًا خاصًّا لدراستي وشواهِدِها انميازًا للرسالةِ عن سواها ممَّا اتخذَ المضمونَ العامَّ للتقابلِ من دُونِ الدَّلالةِ النفسيةِ، أَوِ اتَّخذَ الدَّلالةَ النفسيةَ للنصِّ من دُونِ التقابلِ المتضادِّ.

أَقمتُ رسالتي هذه على مقدِّمةٍ ، وتمهيدٍ ، وثلاثةِ أَفصُلٍ ، وخاتمةٍ بنتائجِ الرسالةِ استحصلتُ لها كلِّها مادةً علميةً توثيقيةً من مظانَّ في ميادينِ القرآنِ الكريمِ وعلومِه وتفسيرِه وبيانِه ، والدراساتِ اللغويةِ والدَّلاليةِ والنحويةِ والصرفيةِ والصوتيةِ ، والدراساتِ النفسيةِ اللغويةِ ، و(علمِ اللغةِ) اللسانياتِ وضعتُ لها قائمةً توثيقيةً تفصيليةً للمصادرِ والمراجعِ التي أَتممتُها منها ، وعلى مُلخَّصٍ باللغةِ الإنجليزيةِ يُوصِلُ موضوعَ الرسالةِ وأَهميتَها إلى الباحثين الأَجانبِ من ذوي العنايةِ باللغةِ العربية ، والدراساتِ القرآنية.

فأَمَّا المقدِّمةُ فهي التي بينَ يدَيِ القارئِ الموقرِ الآنَ وقد وظَّفتُها لبيانِ الموضوعِ وأَسبابِ اختيارِه للرسالةِ ومدى أَهميتِه ووزنِه العلميِّ والحاجةِ المرجعيةِ إليهِ ، ولعرضِ الخطةِ التي وُزِّعَتِ المادةُ بموجبِها على أَفصُلِها الثلاثةِ وما سبقهُنَّ أَو تلاهُنَّ ، ولبيانِ بعضِ الصعوباتِ التي كَأَدَت عملي فيها ، وذِكرِ الميادينِ العلميةِ العامةِ للمَظَانِّ التي استقَيتُ منها مادةَ

الرسالةِ ، وللتعريفِ بالمنهجِ العلميِّ الذي اتَّبعتُه في إنجازِها ، والإشارةِ إلى النتائجِ التي توصلتُ إليها.

وأَمَّا التمهيدُ فجعلتُه للتعريفِ العامِّ بمضمونِ الرسالةِ من جهةِ شرحِ عنوانِها.

وأَمَّا الفصلُ الأَولُ فوظَّفتُهُ لبيانِ (سياقاتِ التقابلِ المُتضادِّ ، وموضوعاتِها ، ودَلالاتِهِ النفسيةِ) بما اخترتُه – بمشورةِ أُستاذيَ المشرِفِ – من سياقاتِ اللغةِ العربيةِ الرئيسةِ توزُّعًا على خمسةِ مباحثَ كان الأَولُ منها لـ(التقابلِ في سياقِ الاستفهام) ، والثاني منها لـ(التقابلِ في سياقِ الشَّرْطِ) ، والثالثِ منها لـ(التقابلِ في سياقِ التوكيدِ) ، والرابعِ منها لـ(التقابلِ في سياقِ الحِجَاج) والخامسِ منها لـ(التقابلِ في السياقِ البلاغيِّ). وهو الفصلُ الأَكثرُ مباحثَ ، والأَكثرُ صُحُفًا موازنةً بالفصلَينِ الثاني والثالثِ؛ لأنَّه الفصلُ الذي قامَ على مباني اللغةِ العربيةِ وفنونِ القولِ البلاغيةِ فيها في ضوءِ سياقاتِ نَظمِها وهي كثيرةٌ جدًّا آليتُ بالمشورةِ مع أُستاذيَ المشرفِ أَن أَقتصِرَ منها على ميادينِ هذه المباحثِ الخمسةِ فقط لعدمِ ملاءمةِ المدةِ الدراسيةِ المسموحِ بها لمادةٍ أَشملَ وأَوسعَ مباحثَ وتفاصيلَ.

وأَمَّا الفصلُ الثاني فجعلتُه لـ(مَجالاتِ التقابلِ المُتضادِّ وموضوعاتِها ، ودَلالاتِهُ النفسيةِ) بما اتخذتُه – بمشورةِ أُستاذيَ المشرِفِ – من مجالاتٍ فكريةٍ رئيسةٍ توزُّعًا على ثلاثةِ مباحثَ جاء الأَولُ منها لـ(التقابلِ في المجالِ العَقَدِي) ، والثاني منها لـ(التقابلِ في المجالِ التشريعِي) ، والثالثِ منها لـ(التقابلِ في المجالِ الاجتماعِي). وهي المجالاتُ الأَعنى بوجودِ الإِنسانِ وحياتِه ، وبما يقتضيهِ تكليفُه، وسلوكُهُ ، وتفاعلُه الحياتيُّ.

وأَمَّا الفصلُ الثالثُ فبسَطتُهُ لـ(أَنماطِ التقابلِ المُتضادِّ ، وموضوعاتِها ، ودَلالاتِهِ النفسيةِ) بما اصطفَيتُه – بمشورةِ أُستاذيَ المشرِفِ – من أَنماطٍ لغويةٍ رئيسةٍ توزُّعًا على ثلاثةِ مباحثَ ضمَّ الأَولُ منها (نَمَطَ التقابلِ بالتَّكرار) ، وانتظمَ الثاني منها (نَمَطَ التقابلِ المتنوِّعِ) ، واختصَّ الثالثُ منها بـ(نَمَطِ التقابلِ الجُزئِي) استيفاءً للأَنماطِ العامةِ التي تتسِعُ لأَغلَبِ الموضوعاتِ بشواهدِها ، وعمومِ دَلالاتِها.

وأَمَّا الخاتمةُ فقد عرَضتُ فيها لأَبرزِ النتائجِ التي توصلتُ إليها من رسالتي هذه بما أَجِدُ منها ما هو بِكْرٌ في لائحةِ الاستنتاجِ.

وأَمَّا روافدُ الرسالةِ فقد جعلتُ لها ذِكرًا تفصيليًّا في آخِرِ الرسالةِ موزَّعًا على (القرآنِ الكريمِ) ، و(الكتبِ المطبوعةِ) ، و(الرسائلِ الجامعيةِ المخطوطةِ) ، و(الأَبحاثِ العلميةِ المنشورةِ) ، و(المُدوَّناتِ الحواريةِ التي وثقتُها عن لقاءاتٍ علميةٍ استشاريةٍ لازمةٍ) ، وهي المكانزُ الرئيسةُ التي نظَّمتُ المتنَ عنها قائمًا على ركيزَتَينِ أُخرَيَينِ معها هما:

1-التدبُّرُ الشخصيُّ الناجزُ عنِ المعرفةِ اللغويةِ والقرآنيةِ الحاضرةِ عنِ التحصيلِ العلميِّ التخصصيِّ.

2-التحليلُ الشخصيُّ المُمكِنُ في ظلِّ هذا التدبُّرِ من جهةٍ ، والمظانِّ المُستَقَى منها جمعًا وترتيبًا من جهةٍ أُخرى.

وأَمَّا المنهجُ الذي اتخذتُه مُرتكَزًا لفِكرةِ الرسالةِ وكتابتِها وتنظيمِ مادتِها فهو المنهجُ (الوصفيُّ – التحليليُّ – التقابليُّ) الذي اعتمدتُ فيه على فَهْمِ نظْمِ النصِّ القرآنيِّ كما هو بوَحيِه ولفظِه وسياقِه تحليلا لدَلالتِه في ضوءِ الأَبعادِ النفسيةِ المقروءةِ تأثيرًا في المُخاطَبِ (المُتلقِّي) أَوِ السامعِ على حدٍّ سواءٍ.

وأَمَّا ما يُمكنُ أَن يُعَدَّ من صعوباتِ هذه الدراسةِ الكأداءِ فهو لزومُ التأنِّي الحَذِرِ أَمامَ النصِّ القرآنيِّ من جهةِ استنباطِ الأَبعادِ والآثارِ النفسيةِ التي تتجلَّى منه تهذيبًا وإِرشادًا ترغيبيًّا ، أَو تحذيرًا وردعًا ترهيبيًّا للمُخاطَبِ (المُتلقِّي) أَوِ السامعِ على حدٍّ سواءٍ ؛ فهي قراءةٌ تدبُّريةٌ اجتهاديةٌ لا تنفَكُّ عن التحرِّي تحقيقًا لإِسنادِها من مَظانِّها إِن تيسَّر ذلك فيها ، ومن صعوباتِها كذلك أَنَّ دراسةً سابقةً مختصَّةً ببيانِ الدَّلالةِ النفسيةِ للتقابلِ اللغويِّ المتضادِّ لم تَتحصَّلَ لي من المكتبةِ العلميةِ ؛ لتكونَ ملاذَ استئناسٍ ، ومسندَ تسهيلٍ للكتابةِ والإِفادة.

وخِتامًا أَقولُ بكلمةِ الشُّكرِ للهِ تعالى: هذا ما وفقني اللهُ تعالى لإِنجازِهِ وأَناْ في أَولِ تجربةٍ بحثيةٍ لي بهذا المستوى أُقدِّمُه خِدمةً للقرآنِ الكريمِ واللغةِ العربيةِ من جهةٍ ، وخِدمةً للقارئِ الكريمِ متخصِّصًا أَو غيرَ متخصِّصٍ والمكتبةِ اللغويةِ – القرآنيةِ من جهةٍ أُخرى ؛ فإِن أَصبتُ فهو الفضلُ من اللهِ تعالى ، وإِن أَخطأتُ أَو سَهَوتُ فهذه حالُ الإِنسانِ بيانًا لمحدوديةِ مِكْنتِهِ العلميةِ ؛ فنحنُ المُخاطَبُون بـ﴿**وما أُوتِيتُم من العِلْمِ إلا قليلا**﴾ [الإسراء/ 85]. ﴿**وما توفيقيي إلا باللهِ عليهِ توكَّلتُ وإليهِ أُنيبُ**﴾ [هود/88] ، ﴿**والحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ**﴾ [الصافات/182] ، وصلَّى اللهُ على سيدِنا الرسولِ الأَحمدِ الأَمينِ وآلِه الأَطهرِينَ ، وصحبِه المُنتَجَبين.

زهراء

التمهيد:

توطِئةٌ:

ونحن ندَّبَّرُ قولَه تعالى: ﴿... **ليسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ**﴾ [الشورى/11] ، وقولَه عَزَّ مِن قائلٍ: ﴿ **أَفلا يتدبَّرون القرآنَ أَم على قلوب أَقفالُها**﴾ [محمد/24] ، وقولَه عزَّ وجَلَّ: ﴿**نزل به الروحُ الأَمينُ على قلبِكَ لتكونَ من المُنذِرين بلسانٍ عربيٍّ مُبين**﴾ [الشعراء/193-195] ، وقولَه جلَّ شأنُه: ﴿ **فإنما يسَّرناهُ بلسانِك لعلَّهم يتذكَّرون**﴾ [الدخان/58] فإننا نؤمنُ يقينا

بتوثيق لا ريب فيه بأن كلامَ الخالق الذي ﴿ **ليس كمِثلِه شيءٌ**﴾ هو الكلامُ الذي ليس كمِثلِه شيءٌ أَيضا ؛ لذا جاء التحدي الإلهيُّ ﴿**وإن كنتُم في رَيبٍ ممَّا نزَّلنا على عَبدِنا فأْتُوا بسُورةٍ مِن مِّثلِهِ وادعُوا شُهداءَكُم مِن دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُم صادِقِينَ**﴾ [البقرة/23] بنتيجةِ العجز البشريِّ: ﴿**قُل لَّئِنِ اجتَمعَتِ الإنسُ والجِنُّ علَى أَن يَّأتُوا بِمِثلِ هذا القُرآنِ لا يأتُونَ بِمِثلِهِ ولَو كانَ بَعضُهم لِبعضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الإسراء/88] ما يفتحُ لنا حقيقة ظاهرة لا هباءَ عليها قوامُها أَن هذا الكلامَ التأمُّلي الفرد المُعجز المُبين لن يقفَ عند زمنٍ ، ولا في بيئةٍ ، ولا عند شخصٍ ولا طائفة يُقالُ في جزءٍ من إعجازِه وبيانِه: إنه قد فُرِغ منه ، وسُبِرَ غَورُه ، وأُتِيَ على تفسيرِه !(1)

لذا يأتي كلُّ نصٍّ منه عظيمًا في نظمِه ، مَكينًا في معناهُ وقد تواشج هذا النظمُ بذلك المعنى ، وتعانقَ ذلك المعنى بهذا النظمِ ما يفتحُ بعدَه بابًا واسعا لذي تدبُّرٍ أَن يُواشجَ ما يجدُه من نظمٍ بمعانٍ أعمقَ يفوقُ استنباطُها فِكْرَ قراءةِ المعنى العامِّ الظاهرِ أَولا ليتجددَ للمُدَّبِّرِ نفسِه وللقارئِ عنه فَهمٌ يليقُ به عملا لازما عليه في ظل التكليفِ الإلهي له: ﴿**وقُلِ اعمَلُوا فسيَرَى اللَّهُ عملَكُمْ ورسُولُهُ والمُؤمِنُونَ وستُرَدُّونَ إِلَى عالِمِ الغَيبِ والشَّهادةِ فيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُمْ تَعملُونَ**﴾ [التوبة/105] ، وبموجب ضبط الأداء مراعاةً للرقابةِ الإلهية عليه:﴿**أَيَحْسَبُ الإنسانُ أَن يُترَكَ سُدًى**﴾ [القيامة/36].

من هذه الحقيقة تجِدُ الباحثةُ أَنَّ اختيارَ موضوعِ (الدَّلالةُ النفسيةُ للتقابلِ في النصِّ القرآني) قد تحصَّل إقرارا منها بنجاعةِ الكتابةِ فيه بتوجيهِ السيدِ المشرفِ الذي تفضَّل باقتراحِه وتبيينِ خُطتِه اختيارًا يأتي في ظلِّ هذه الحقيقة ؛ ليكشفَ بدراسةٍ وافيةٍ – بحدودِ مِكْنةِ الباحثة ، وقُدرتِها ، ومدى تحصيلِها – عن روائعِ التقابلِ القرآنيِّ اللغويِّ المختصِّ بـ(التضادِّ) حصرًا مما يتحصَّلُ بين المفردِ والمركَّبِ من جانبٍ ، واللفظيِّ والمعنويِّ من جانبٍ آخرَ ، وعن مكانزِ أَبعادِه النفسيةِ بينَ السَّلبِ والإيجابِ بما تنتظِمُه هذه الدراسةُ من بيانٍ دَلاليٍّ لكلِّ صورةٍ من صُورِ هذا التقابل.

الدلالةُ لغةً:

(1) عن مدونتي الحواريةِ العلميةِ مع (أ.د. علي عبدالفتاح الحاج فرهود) بتاريخ 6/ 2/ 2025.

ورَدَ في المُعجَمِ العربيِّ أَنَّ (دَلَّ) قد تحصَّل من ((الدَّالِ واللام [وهما] أَصلانِ أَحدُهما إِبانةُ الشيءِ بأَمارةٍ تتعلَّمُها ، والآخرُ اضطرابٌ في الشيءِ ؛ فالأَولُ قولُهم: (دلَلْتُ فُلانًا على الطريقِ). والدَّليلُ الأَمارةُ في الشيءِ ، وهو بَيِّنُ الدَّلالةِ والدِّلالةِ. والأَصلُ الآخَرُ قولُهم: (تَدَلْدَلَ الشيءُ إِذا اضطَرَبَ))[2].

فالدَّلالةُ هي ((ما يُتَوصَّلُ بهِ إِلى معرفةِ الشيءِ كدَلالةِ الأَلفاظِ على المعنَى ودَلالةِ الإِشاراتِ والرموزِ والكتابةِ والعُقُودِ في الحِسابِ وسِواه ، كان ذلك بقَصدٍ ممَّن يَجعلُهُ دَلالةً أَو لم يكُن يَقصُدُ كمَن يرَى حرَكةَ إِنسانٍ فيَعلَمُ أَنه حيٌّ ؛ قال تعالى: ﴿**ما دَلَّهُم علَىٰ مَوتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الأَرضِ**﴾ [سبأ/14]. وأَصل الدِّلالةِ مصدرٌ كالكِنايةِ والإِمارةِ ، والدَّالُّ مَن حصَلَ منه ذلك ، والدليلُ في المبالغةِ كعالِمٍ وعَليمٍ وقادرٍ وقديرٍ ، ثم يُسمَّى الدَّالُّ والدليلُ دِلالةً كتسميةِ الشيءِ بمَصدرِه))[3].

الدلالةُ اصطلاحًا:

المصطَلَحُ ما عُرِفَ عنوانًا رئيسًا في مَيدانِ فنِّه وتخصُّصِهِ يختزِلُ البيانَ التفصيليَّ لمضمونِهِ وتعريفِه وشرحِ دَلالاتِه ؛ فإِذا قيل المصطلَحُ بلفظِهِ المفردِ عُرِفَ مضمونُهُ الوافي ابتِداءً لدى مَن يسمعُهُ نحوَ (الصلاةُ) ؛ فهي العملُ العباديُّ الواجبُ للهِ تعالى على الناسِ المعروفُ بأَوقاتِهِ وشروطِهِ وأَركانِهِ بما يَجبُ فيهِ وما يُستحَبُّ، وما يُقبَلُ منهُ وما يجبُ تعويضُه ؛ فإِذا قيل: (الدَّلالةُ) عُرِفَ أَنها ((كَونُ الشيءِ بحالةٍ يَلزَمُ مِنَ العِلْمِ بهِ العِلمُ بشيءٍ آخَرَ ، والشيءُ الأَولُ هو الدَّالُّ ، والثاني هو المَدلُولُ))[4].

إِنَّ الدَّلالةَ في ضوءِ المَصاديقِ التي ذكرتُها سابقًا نورٌ يَستضِيءُ بهِ المُتلقِّي قارئًا أَو مستمِعًا أَو ناظِرًا في سبيلٍ ينبغِي أَن يصِلَ في سُلُوكِهِ إِلى معانٍ يَتبصَّرُ بها ، ويَستجلِي بمضمونِها حقائقَ يَرتجِيها.

---

(2) المقاييس في اللغة ، ابن فارس ، تح: شهاب الدين أَبوعمرو 2: 259–260.

(3) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأَصفهاني ، تح: محمّد سيّد كيلاني ١٧١.

(4) التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، تح: إبراهيم الأَبياري ١٠٩.

ومن التوثيقِ اللازمِ ما أَجدُهُ واجبًا أَن أُشيرَ به إلى حقيقةٍ علميةٍ لم تَعُدْ خافيةً على الأَساتذةِ العلماءِ ، ولا على الباحثينَ والدارِسين الفضلاءِ هي أَنَّ المعانيَ اللغويةَ والاصطلاحيةَ لِمَا هو معروفٌ ومشهورٌ من المواضيعِ العلميةِ أَصبحَت من البَدْهِياتِ المُسلَّمِ بها ؛ فلا تستدعي الرسائلُ الجامعيةُ والبحوثُ العاليةُ الإفاضةَ في بيانِها دَرْءًا للإسهابِ والحشوِ الذي لا داعيَ لازمًا له إلا ما يَلزمُ من العناوينِ والأَلفاظِ التي لم تَصِلْ إلى المدى البَدْهِيَّ المتعارَفَ عليهِ المُسلَّمَ به.

النَّفْسُ:

اتفقَ الفلاسفةُ على تعريفِها بلا خِلافٍ بينَهُم. وقد ذهب (سقراط) إلى أَنَّ النفْسَ ((ذاتٌ رُوحيةٌ قائمةٌ بذاتِها ، وأَنَّها جَوهرُ الإنسانِ الحقيقيُّ ، وأَنَّ البدَنَ ليسَ إلا أَداةً لها ، وأَنَّ في الموتِ خَلاصَها وتحريرَها))[5].

فالنفْسُ – إذًا – في بُعدَيها السعيدِ والشقيِّ ، المؤمنِ والكافر ، المطيع والعاصي إنما هي الغايةُ التي تُبتَغَى لتزكيتِها بآثارِ الخطابِ القرآنيِّ الشافيةِ الوافيةِ ، الرائعةِ الناجعةِ في ظلِّ الدَّلالةِ النفسيةِ التي يَرمي النصُّ إليها.

وقد ذهبَتْ (د. عواطف كنُّوش المصطفى) إلى فَهمِ الدَّلالةِ النفسيةِ بأَنها ((ما يَتضمنُهُ اللفظَ من دَلالاتٍ عندَ الفردِ ؛ فهي بذلكَ معنًى فرديٌّ ذاتيٌّ))[6]. وهذا يَعني أَنَّ الدَّلالةَ النفْسيةَ هي ذاتُ الإنسانِ.

وعرَّفها (د. عبدالله محمد الجيُوسي) بأَنها ((تلكَ المَلامحُ والإشاراتُ التي تَنعكِسُ على النفْسِ الإنسانيةِ فتَحدُثُ فيها استجابةٌ معينةٌ سواءٌ أَ كانَت لفظيةً أَم حرَكيةً أَم إراديةً أَم غيرَ إراديةٍ))[7].

---

(5) نقلا عن: نصوص قرآنية في النفس الإنسانية ، د. عزالدين إسماعيل 157.

(6) الدلالة السياقية عند اللغويين 51.

(7) التعبير القرآني والدَّلالة النفسية 42.

ويُعَدُّ (الخَطَّابيُّ /ت ٣٨٨ هـ) أَولَ مَن تنبَّهَ إلى الوَجهِ النفْسيِّ للإعجازِ القرآنيِّ إذ قال: ((قُلتُ في إعجازِ القرآنِ وجهًا آخَرَ ذهَبَ عنهُ الناسُ فلا يَكادُ يَعرِفُهُ إلا الشاذ مَن آحادَهُم ؛ وذلك صَنيعُهُ بالقلوبِ وتأثيرُهُ في النفوسِ ؛ فإنكَ لا تَسمَعُ كلامًا غيرَ القرآنِ منظومًا ولا منثورًا إذا قَرَعَ السمعَ خلَصَ له إلى القلبِ مِن اللذةِ والحَلاوةِ في الحالِ ومن الرَّوعةِ والمَهابةِ في أُخرى ما يَخلُصُ منه إليه، تَستَبشِرُ به النفوسُ ، وتنشَرِحُ له الصدورُ حتى إذا أَخَذَت حظَّها منهُ عادَتْ مُرتاعَةً قد عَرَاها الوَجيبُ والقلقُ ، وتَغشَّاها الخوفُ والفَرَقُ ما تقشَعِرُّ منهُ الجُلُودُ، وتَنزِعُج له القلوبُ ، يَحولُ بينَ النفْسِ ومُضمَراتِها وعقائدِها الراسخةِ فيها))[8].

إنَّ الخِطابَ القرآنيَّ إنما جاء رسالةً مِن اللهِ سُبحانَه لتهذيبِ الإنسانِ وتَزكيةِ نفْسِهِ للأَخلاقِ المُثلَى ، والعاداتِ الفُضلَى ، والامتناعِ عمَّا يُعارِضُها من أَخلاقٍ سَيئةٍ وعاداتٍ قبيحةٍ. وهذه حقيقةٌ تَجعَلُ الخِطابَ القرآنيَّ خِطابًا قائمًا على بِناءِ الإنسانِ نفْسيًّا ما جعَلَ عِنايةَ الكُتَّابِ في الشأنِ القرآنيِّ كبيرةً جِدًّا في قراءةِ الأَبعادِ النفْسيةِ لهذا الخطابِ. وقد أَشارَ (د. عبدالله محمد الجيوسيُّ) إلى مراحلِ هذه العنايةِ والاهتمامِ لدَى علماءِ العربِ والغربِ ، وكفانا مَؤُونةَ البحثِ والتحقيقِ في هذا الموضوعِ [9].

وتتفاوتُ الأَفهام في معرفةِ الدَّلالةِ النفْسيةِ لأَنَّ ((إدراكَ المعاني النفْسيةِ يُمكِنُ إرجاعُه إلى عواملَ عِدَّةٍ ...: ... تتعلَّقُ بالمُتكلمِ ، ... تتصِلُ بالمُتلقِّي ، ... تتعلَّقُ بالظروفِ المُحيطةِ ... [لذا] لا بُدَّ من التنبُّهِ إلى الحقيقةِ الآتيةِ والتأكيدِ عليها مرةً أُخرى لأَهميتِها وهي أَنَّ هذه المعانيَ النفْسيةَ – لكلامِ البشرِ – لها حدٌّ أَدنَى يشترِكُ فيهِ الناسُ جميعًا ، ولا يتوقفُ على ما تقدَّمَ من العواملِ ، ومن هنا تبرُزُ أَهميةُ البحثِ في استخراجِ الدَّلالاتِ النفْسيةِ مِنَ الأَلفاظِ القرآنيةِ ، أَما بالنسبةِ لنصوصِ القرآنِ فهي سالمةٌ من العُيوبِ المتقدمةِ والتي تُؤثِّرُ سَلبًا في إدراكِ المعاني ... إلا ما كان قُصُورًا من المُتلقِّي أَو ناتِجًا عن فَقْرِهِ في الرصيدِ النفْسيِّ ، وهنا يَصدُقُ قولُ (سيد قطب) في أَنَّ صعوبةَ الفَهمِ وسهولتَهُ ليسَت راجعةً في الحقيقةِ إلى غرابةِ اللفظِ ووُعُورةِ التراكيبِ وإنَّما بسببِ نقصِ الرصيدِ النْفسيِّ من التجارِبِ الحسيةِ والذهنيةِ والروحيةِ ... وفي مَعرِضِ مناقشتِه لأُولئكَ الذين لا يَتذوَّقُون النصَّ الأَدبيَّ يُشيرُ إلى عَجْزِ بعضِ الناسِ عن تَمَلِّي الحالةِ النفْسيةِ التي يَرمُزُ لها النصُّ فالمَدَى بعيدٌ بينَ

---

(8) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الرماني والخطَّابي والجرجاني ، تح: محمد خلف الله وزميله 70.

(9) ينظر: التعبير القرآني والدَّلالة النفسية 24-25.

أَن نعرِفَ مَدلولَ الأَلفاظِ في النصِّ الأَدبيِّ وبينَ أَن نستَحضِرَ الصورةَ النفْسيةَ يُشِعُّها، وهذا وذاكَ ضروريانِ كلاهُما للفَهمِ والإدراكِ))[10].

وعلى الرغمِ مِن أَنَّ هذا التوثيقَ قد أَنصَفَ الفِكرَ اللغويَّ الذي أَنتجَهُ العلماءُ العربُ فإِنَّ المكتبةَ اللغويةَ القائمةَ على النصِّ القرآنيِّ ما تَزالُ تَستَدعِي دِراساتٍ في الدَّلالةِ النفْسيةِ القرآنيةِ لا يُمكِنُ أَن تَقِفَ في عَصرٍ مُحدَّدٍ أَو أَن يَّستوفِيَها باحثٌ مُعينٌ. وهذا ما وثَّقهُ (د. كريم حسين ناصح) بقولِه: ((إِنَّ هذا البحثَ مُحاولةٌ لسَدِّ الفَراغِ في المكتبةِ العربيةِ التي تَقِلُّ فيها الدراساتُ اللغويةُ النفْسيةُ النابعةُ مِن تُراثِنا اللغويِّ ، وليس الدراساتِ التي تَنقُلُ ما في الأَلسُنِيةِ الحديثةِ الغربيةِ وكأَنَّها ترجمةٌ لَّها...))[11].

وهاتانِ الحقيقتانِ اللتانِ وثَّقهُما كلٌّ مِن (د. عبدالله الجيوسي ، ود. كريم حسين ناصح) قد أَظهَرَتا مُثُولا في المكتبةِ اللغويةِ والبحثِ العِلميِّ – وهو ما أَذهَبُ إِليه وأُؤيدُهُ – فهما أَدقُ دَلالةً من الرأيِ الذي سبقَهما به (د. إِبراهيم أَنيس) عندما وصفَ الدَّلالةَ النفْسيةَ بالدَّلالةِ الهامشيةِ أَيِ الثانويةِ ؛ فهي عندَهُ ((تلكَ الظِّلالُ التي تَختلِفُ باختِلافِ الأَفرادِ وتجارِبِهِم وأَمزِجتِهِم وتَركيبِ أَجسامِهِم وما وَرِثُوهُ عن آبائِهِم وأَجدادِهِم))[12].

وقد ذهب (د. حيدر فاضل عباس) إِلى أَنَّ ((التَّماهِيَ بينَ الإِيحاءِ النفْسيِّ للدَّلالةِ القرآنيةِ ومقاصدِها العقليةِ يَضمَنُ دَوَامَ حضورِ الخِطابِ القرآنيِّ في ذاكرةِ المُتلقِّي ووِجدانِه معًا... إِنَّ الدَّلالةَ النفْسيةَ وسيلةٌ من وسائلِ تَحريرِ اللغةِ مِن أَسْرِ القواعدِ التي غُرِسَت في أَذهانِنا لتنشيطِ عمليةِ التواصُلِ النفعِيِّ لمَصلحةِ التواصلِ الجَماليِّ الذي يَجعَلُ اللغةَ هي المتكلِّمةَ بما بَقِيَ لها من حُريةٍ بالعُدُولِ الأُسلوبيِّ الذي يُثرِي اللغةَ، ويَرتَقِي بها دُونَ أَن يَّنقُضَ عُرَاها))[13]. وهذا يَعنِي أَنَّ الدَّلالةَ النفْسيةَ كالدَّلالةِ العقليةِ حُضُورًا وتأثيرًا في المُتلقِّي أَوِ السامع.

---

(10) نقلا عن التعبير القرآني والدَّلالة النفسية 61 –66.

(11) الخطاب النفسي في القرآن الكريم دراسة دَلالية أُسلوبية 243.

(12) دَلالة الأَلفاظ 82.

(13) الدَّلالة النفسية في القرآن الكريم مقاربة في سِيماء التواصل 159.

وتَلزَمُ الإشارةُ هنا إلى أَنَّ (النفْسَ) قد أَلَّفَت مع (الآفاقِ الكونيةِ ، والعِلميةِ ، والبيئيةِ ، والطبيعيةِ) آياتِ الحقِّ المُبينِ الدَّالَّةِ على الخالقِ الواحدِ الأَحَدِ بتناصفٍ واضحٍ في ضوءِ رؤيةِ الإنسانِ هو نفسِهِ هذه الآياتِ بما يختصُّ به هو في (نفسِهِ) من جهةٍ ، وبما يُحيطُ به تكوينًا في (الآفاقِ) من جهةٍ أُخرى بحقيقةِ قولِه تعالى: ﴿**سنُريهِم آياتِنا في الآفاقِ وفي أَنفسِهِم حتَّى يتبيَّنَ لهُم أَنَّهُ الحقُّ**... ﴾.

من هذه الحقيقةِ العِلميةِ يَنجُدُ شأنُ دراستي هذه في اتخاذِها (النفْسَ) وما يَمَسُّها ويُؤثرُ فيها من خِطابٍ محورًا عِلميًّا ذا أَهميةٍ كُبرى ، ومادةً رئيسةً للعرضِ والدراسةِ اللغويةِ الدَّلاليةِ بالتحليلِ والوصفِ والاستنتاجِ ببيانٍ وافٍ لأَثرِ التقابلِ اللغويِّ المُتضادِّ الواردِ في النصِّ القرآنيِّ بينَ رُكنَينِ في التركيبِ القرآنيِّ.

التقابلُ لغةً:

عرَضَ له (ابنُ منظورٍ/ ت711هـ) في بيانِ الجذرِ (قَبَلَ) فقالَ: ((قابَلَ الشيءَ بالشيءِ مُقابلةً وقِبالا: عارَضَهُ. [ونُقِلَ عنِ] الليثِ: إذا ضَمَمْتَ شيئًا إلى شيءٍ قُلتَ: قابَلتُهُ به. ومُقابَلةُ الكِتابِ بالكتابِ وقِبالُه به: مُعارَضتُه. وتَقابَلَ القومُ: إذا استَقبلَ بعضُهم بعضًا. والمقابلةُ المواجهةُ. والتقابلُ مثلُه. وهو قِبالُك وقُبالتُك أَي تُجاهُكَ))[14]. ويرى (أَحمدُ بنُ فارسٍ/ت 395هـ) أَنَّ ((القافَ والباءَ واللامَ أَصلٌ واحدٌ صحيحٌ تَدُلُّ كلُّها على مُواجهةِ الشيءِ للشيءِ))[15] ؛ فالتقابلُ تواجُهُ طرفَينِ في الأَغلبِ ، أَو أَكثَرَ في الأَقلِّ.

التقابلُ اصطلاحًا:

(14) لسان العرب (قبل) 534:11.

(15) المقاييس في اللغة 51:5.

ورَدَ له في دَلالةِ الاستعمالِ مفاهيمُ منها ما حدَّه (السكَّاكيُّ/ ت626هـ) بقولِه: هو ((أَن تَجمَعَ بينَ شيئَينِ مُتوافقَينِ أَو أَكثرَ ، وبينَ ضدَّيهِما))[16]. وما هو مَعقِدُ دراستي في رسالتي هذه هو ما ورَدَ مجتمِعًا بينَ ضِدَّينِ لُغوِيَّينِ تقابَلا في نصٍّ واحدٍ، أَو في نصَّينِ مستقِلَّينِ.

التقابل بين القدماء والمحدثين :

لقدِ استَوفَتِ المؤلفاتُ والدراساتُ القرآنيةُ واللغويةُ والبلاغيةُ السابقةُ مواردَ الفَهمِ الموثَّقِ للتقابُلِ مما قال به العلماءُ والباحثونَ من قدماءَ ومُحدَثين[17] ما أَغناني عنِ الخَوضِ في تفاصيلِه ، وتلمَّستُ بهِ الاستيفاءَ الناجزَ الكافيَ عن إعادةِ سَطْرِهِ ، وتَكرارِ ذِكرِهِ ؛ طلبًا للإيجازِ ، وتَجنُّبًا للإسهابِ ؛ فما أَصبحَ معروفًا بَداهةً أَصبحَ مُسلَّمًا به معرفةً.

اتفَقَ القدماءُ على مَضمونِ هذا الموضوعِ من تقابلِ لفظَينِ أَو تركيبَينِ مُتضادَّينِ ولكنَّهم تباينُوا في تسميةِ هذا المَضمونِ فمنهُم مَن سمَّاهُ طِباقًا ، ومِنهُم مَن سمَّاهُ مُقابلةً، ومِنهُم مَن سمَّاهُ تكافُؤًا وتَضادًّا ، وهذا ما يُعرَفُ بـ(إشكاليةُ المصطَلَحِ) التي كفَانا مَؤونةَ إعادتِها بالعَرضِ التفصيليِّ والبيانِ الوافي الباحثُ (عبدُالكريم محمد حافظ العبيديُّ) في رسالتِه الموسومةِ بـ(ظاهرةُ التقابُلِ الدَّلاليِّ في اللغةِ العربيةِ) ، والباحثُ (علي زيتونة مسعود) في رسالتِه الموسومةِ بـ(التقابُلُ في القرآنِ الكريمِ بينَ الجَماليةِ والدَّلاليةِ).

---

(16) مفتاح العلوم 533. وينظر: التعريفات 208.

()17 يُنظَرُ: نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تح: د. محمد عبدالمنعم خفاجي141 ، الصناعتين ، أَبوهلال العسكري ، تح: محمّد علي البجاوي وزميله 346 ، العمدة ، ابن رشيق ، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد15:2 ، المثل السائر ، ابن الأَثير ، تح: محمد محيي الدين144:3، تحرير التحبير، ابن أَبي الإصبَع ، تح: د. حفني محمد 179:2 ، الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تقديم: د. علي بوملْحِم 353 ، البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تح: محمد أَبوالفضل إبراهيم 504:3 ، التقابل في القرآن الكريم بين الجمالية والدلالية ، علي زيتونة مسعود 9–10 و12و16–17 ، البلاغة العربية أُسسها وعلومها وفنونها ، عبدالرحمن حسن 378:2 ، ظاهرة التقابل في علم الدلالة ، د. أَحمد نصيف الجنابي 15.

إنَّ ما سأَقتصِرُ على دراستِه في رسالتي هذه هو التقابلُ اللغويُّ المتضادُّ فقط ببيانِ دَلالتِهِ النفْسيةِ من دُونِ خَلْطٍ معه بأَنواعِ التقابلِ الأُخَرِ التي لها مواردُها اللغويةُ والبلاغيةُ المعروفةُ.

ومِن الجانبِ الدَّلاليِّ النفْسيِّ ذَهَبَ الباحثُ (عبدُالكريم محمد العبيديُّ) إلى بيانِ التقابلِ في بِنيتِهِ التركيبيةِ في النصِّ بحسَبِ أَنماطِه وصورِه في مَواردِه ؛ فالتقابُلُ عندَه من هذا الجانبِ هو ما وقِعَ ((بينَ صورتَينِ مُتضادَّتَينِ تَرسُمان مَوقفًا نفْسِيًّا مُعيَّنًا ، أَو تُبرِزانِ مَنحا[18] جَماليًّا ، أَو تُعالِجانِ مَوقفًا خاصًّا ؛ لِتكُونَا ذا[19] أَثرٍ بالغٍ في المستوى الشعوريِّ للمُتلقِّي مِن خِلالِ القِيَمِ التعبيريةِ الفائقةِ والمتميِّزةِ ؛ ففي قولِه تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ يَّمشِي مُكِبًّا عَلَى وَجهِهِ أَهدَى أَمَّنْ يَّمشِي سَوِيًّا عَلَى صِراطٍ مُّستَقِيمٍ**﴾ [المُلك/22] تقابُلٌ بينَ صورتَينِ الأُولى صورةُ الشقِيِّ المَنكُودِ الضَّالِّ عن طريقِ اللهِ ؛ فهو أَبَدًا في عَناءٍ وأَبَدًا في ظَلالٍ ، والثانيةُ [20] صورةُ السعيدِ المُهتدِي إلى اللهِ المُمَتَّعِ بهُداهُ))[21].

وذَهَبَ (د. حسين جمعة) إلى ((أَنَّ أُسلوبَ التقابلِ لم يَعُدْ ظاهرةً فنيةً بلاغيةً وجَماليةً تَستنِدُ إلى اقترانِ المُتضادَّاتِ اقترانًا جَدَلِيًّا بل صار نَسَقًا بَلاغِيًّا جَماليًّا يَمتازُ بالتناغُمِ الإيقاعيِّ لبِنْيَةِ الأَلفاظِ وأَصواتِها في صَميمِ ترتيبِ نظامِها ما يَجعلُهُ مُحبَّبًا في النفوسِ مُحرِّكًا للإحساسِ الجَميلِ يُناصِرُ الحِسَّ والمُستَحسِنِينَ لها ، وهي أَوقعُ في النفْسِ في إطارِ ذلكَ كلِّه))[22].

فللتقابُلِ جَمالٌ موسيقيٌّ وتَناغُمٌ إيقاعيٌّ مُرهِفٌ للإحساسِ ، ومُحبِّبٌ للنفوسِ ، وهو ما يَصدُقُ في ضوءِ اللفظِ وبعضِ التراكيبِ القصيرةِ جدًّا. وقد أَيَّدَهُ في هذا المذهَبِ (د. عباس

---

(18) الصوابُ: مَنحًى.

(19) الصوابُ: ذاتَي.

(20) الصوابُ: الأُخرى.

(21) ظاهرة التقابل الدَّلالي في اللغة العربية 85.

(22) التقابل الجمالي في النص القرآني ١٦١.

علي الأَوسيُّ) بما وثَّقهُ من ((أَنَّ التقابلَ الدَّلاليَّ طريقةٌ مِن طرائقِ التوازنِ النَّغَمِيِّ فذِكْرُ أَحَدِ الطرفَينِ يَستلزِمُ ذِكْرَ الآخَرِ))[23].

ومن زاويةِ فَهْمٍ أُخرى ذهب (د. حسين جمعة) إلى ((أَنَّ مَفهومَ التضادِّ التقابُليِّ يُمَثِّلُ آلِيَّةَ الحَدْسِ الفنيِّ الجَماليِّ الاستدلاليِّ التي تَربِطُ الجَماليةَ الفنيةَ بمُعادِلِها النفْسيِّ والموضوعيِّ الجَامعِ لضُرُوبِ الأَوامرِ والنواهِي ، والنفيِ والإيجابِ ، والوَعدِ والوَعيدِ ، والطِّباقِ والمُقابَلةِ ، والمُوازَنةِ والمُناظَرةِ في العَلاقةِ الحاصلةِ بينَ نَسقَينِ أَو أَكثرَ))[24].

وبهذا يُمكِنُ أَن يُدرَسَ التقابلُ من الجَوانبِ اللسانيةِ والنفسيةِ في ظِلِّ مُرادِ المُتكلِّمِ وتأثيرِه في المُتلقِّي.

ويرَى (د. أَيمن أَبومُصطفى) في هذا الصدَدِ ((أَنَّ التقابلَ مِن الوسائلِ العقليةِ في الحِجاجِ ... وتَتجلَّى وظيفةُ التقابلِ في أَنها تُسهِمُ بصورةٍ فاعلةٍ في إِنتاجِ دَلالةٍ حيثُ يَعمِدُ إِلى إِحداثِ تَعارُضاتٍ باطنيةٍ يَتولَّدُ عنها تَواتُراتٌ دَلاليةٌ تُؤدِّي إِلى إِبرازِ الدَّلالةِ المَقصودةِ بشكلٍ كبيرٍ في ذِهنِ المُتلقِّي فالتقابلُ يُؤدِّي إِلى وُضوحِ دَلالةِ المُفرداتِ بمُقابَلَتِها مع بعضِها البعضِ كما أَنه يَحمِلُ وظيفةً تأثيريةً تَتمثَّلُ في شَدِّ انتباهِ المُتلقِّي لعَقدِ مُقارَناتٍ بينَ الدَّلالاتِ المُتقابلةِ للوُصولِ إِلى الدَّلالةِ الناتجةِ عن تفاعُلِهما))[25].

وبهذا يُمكِنُ أَن نَّعُدَّ التقابلَ وسيلةً حِجاجِيةً الغايةُ منها إِقناعُ السامعِ أَوِ التأثيرُ في المُتلقِّي.

وترَى (د. نَه قِينْ سعيد عبدالعزيز) أَنَّ المُقابلةَ تَقومُ على التضادِّ ، ((ويُعبِّرُ التضادُّ عن تحليلِ الأَفكارِ المُتناقضةِ ، ويُحوِّلُها إِلى رموزٍ حتى يَستحضِرَ القارئُ حقائقَ مَخفِيةً ويَتجاوزَ ما وراءَ تَضادِّ الأَفكارِ بينَ عُنصرَينِ مُتضارِبَينِ إِلى الربطِ بينَهما وجَعلِهما حُجَّةً واحدةً لاختيارِ القِيَمِ الإِيجابيةِ ، وإِقصاءِ القِيَمِ السَّلبيةِ))[26].

---

(23) الإحالة في القرآن الكريم ٨٠.

(24) التقابل الجمالي في النص القرآني 156.

(25) الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم 115.

(26) التقابل الحِجاجي في الخطاب القرآني 442.

ممَّا مَهَّدتُ بـه يتضِـحُ لنـا أَنَّ للتقابلِ اللغويِّ فـي القرآنِ الكريمِ أَثرًا دَلاليًّا نفْسيًّا ذا وَقْـعٍ راسِخٍ في ذِهنِ المُتلقِّي – وهو الإنسانُ المخاطَبُ المخلوقُ – يَصدُرُ عن أَمرٍ ذي شانٍ لدَى المُلقِي وهو المُخاطِبُ الخالقُ عزَّ وجلَّ ؛ فالنتيجـةُ بينَ المُلقِي والمُتلقِّي إفادةُ المُتلقِّي نفسِـهِ بحقيقةِ حَدثَينِ مُتضادَّينِ يُؤخَذُ بالصالحِ منهُما لجَلْبِ النفعِ له بوصفِهِ الطرفَ المُستفيدَ ، ويُنبِّـهُ إلـى لـزومِ تَرْكِ الفاسدِ منهُمـا دَفعًا لضَـررٍ عنـه ، أَو أَن يَّتحَصَّـلَ للمُستفيدِ نفسِـهِ مِن طرفَـيِ التقابلِ المُتضادَّينِ ما يَتوجَّـهُ في ضَوئِهِما إلى اختيارِ الأَصلَحِ ؛ وهذا بُعْدٌ نَفعِيٌّ واضحٌ جدًّا غايتُـهُ كرامـةُ الإنسـانِ لسـلامةِ حالِـهِ ، وصـلاحِ بالِـهِ فـي ضـوءِ الاستعمالِ اللغويِّ الرئيسِ فـي منظومـةِ اللغـةِ العربيـةِ وبيانِهـا. وهذا مـا سـأَتكفَّلُ بيانَـه الدَّلاليَّ فـي رسـالتي هذه بتوفيـقِ اللهِ تعالى عليهِ توكلتُ وإِليهِ أُنيبُ.

الفصلُ الأَولُ

سِياقاتُ التقابلِ المُتضادِّ ، ومَوضوعاتُها ، ودَلالاتُه النفسيةُ

المبحثُ الأَولُ/ **التقابلُ في سياقِ الاستفهام.**

المبحثُ الثاني/ **التقابلُ في سياقِ الشَّرْط.**

المبحثُ الثالثُ/ **التقابلُ في سياقِ التوكيد.**

المبحثُ الرابعُ/ **التقابلُ في سياقِ الحِجَاج.**

المبحثُ الخامسُ/ **التقابلُ في السياقِ البلاغي.**

المبحثُ الأَولُ/ التقابلُ في سياقِ الاستفهامِ:

مَدخلٌ:

الاستِفهامُ أُسلوبٌ لُغويٌّ قائمٌ على طرَفَينِ سائلٍ ومُجيبٍ. وقد يقومُ على طرَفٍ واحدٍ فقط هو السائلُ وحدَهُ عندَما لا يطلُبُ ولا ينتظِرُ إجابةً عن سؤالِه.

وفي هاتَينِ الصورتَينِ يأتي الاستفهامُ متنوعَ الدَّلالاتِ مُتعدِّدَ الأَسبابِ والغاياتِ سواءٌ أَكان السائلُ يَنتظِرُ جوابًا يُريدُه حقيقةً ، أَو لا ينتظِرُ جوابًا أَساسًا ؛ فالمضمونُ العامُّ للسؤالِ قائمٌ على أَن

يُسلِّطَ السائلُ مَوقفًا على المُجيبِ حِوارًا مُتبادَلا ، أَوِ على المسؤول غيرِ المطلوبِ إليهِ جوابًا ؛ فكلاهما في دائرةِ السؤالِ الذي يُبنى الذي يأتي مِحورًا تدورُ في مُقدِّماتِه وغاياتِه الدَّلالاتُ المتنوعةُ.

ويَتحققُ الاستفهامُ بالتعبيرِ اللغويِّ وسياقاتِه المُنقادَةِ لظُروفِ الخِطابِ ، ومن هذه السياقاتِ ما يأتي بأُسلوبِ (التقابُلِ المُتضادِّ) وما يقومُ عليهِ من أَبعادٍ نفسيةٍ تُفصِحُ عن دَلالاتٍ واضحةٍ وعميقةٍ يقصُدُها المتكلِّمُ تأثيرًا في السامعِ ، وكشفًا لِغاياتٍ تُرادُ ، وهو ما سأَذكُرُه في هذا المبحثِ.

لقد كَفَتْنا المعاجمُ اللغويةُ وكتُبُ النحوِ مَؤُونةَ البحثِ والعَرضِ بما وثَّقتهُ من تعريفٍ وافٍ للاستفهامِ لُغةً ، واصطِلاحًا ما أَجِدُهُ كافيًا مانعًا مِن التَّكرارِ والإعادةِ لِمَا أَضحى بدْهِيًّا يَعرِفُهُ الدارِسُونَ المُختَصُّونَ ، والقارِئُونَ على حدٍّ سواءٍ.

وللاستفهامِ أَدواتٌ معروفةٌ زَخَرَت ببيانِها وعَرضِ شواهِدِها وأَمثلتِها كتُبُ اللغةِ والبلاغةِ ممَّا أَصبَحَ معروفًا مُسلَّمًا به ولا حاجةَ بنا إلى إثقالِ الرِّسالةِ بإعادتِه.

وقدِ انتهَى إلى اللغويين المعاصرينَ من حصيلةِ ما توصَّلَ إليهِ مَن سبقَهُم إلى أَنَّ الاستفهامَ ((قد يَخرُجُ ...غالبًا عن غرضِهِ الحقيقيِّ إلى أَغراضٍ مجازيةٍ متعددةٍ أَهمُّها (...الإنكارُ، التقريرُ ، التسوِيةُ ، النفيُ ، التهويلُ ، التشويقُ ، الاستبطاءُ ، الاستبعادُ... التعظيمُ ، التعجُّبُ ، التهكُّمُ ، الوَعيدُ ، التنبيهُ على ضَلالِ الطريقِ ، التنبيهُ على الخطأِ ، التنبيهُ على الباطلِ ، التحقيرُ...))[27] ؛ فسِياقُ الكلامِ يُفصِحُ لنا عمَّا إذا كان الاستفهامُ حقيقيًّا ، أَو خرَجَ إلى أَغراضٍ مجازيةٍ أُخرى بحسَبِ الدَّلالةِ العامةِ المقصودةِ ، أَوِ النفسيةِ المُختَصَّةِ المُرادةِ.

وترَى (د. رجاء عجيل الحسناويُّ) في هذا الجانبِ من موضوعِ الاستفهامِ ((أَنَّ القصدَ مِن الاستفهامِ ضمنَ الدَّلالةِ النفسيةِ هو استثارةُ التفكيرِ عن طريقِ طرحِ مَفهومِ التساؤُلِ ، ثم الحماسِ نحوَ هذا المَفهومِ وُصُولا إلى حقائقَ تُعنَى بتحقيقِ التوازنِ النفسيِّ في البيئةِ الاجتماعيةِ))[28] ، وهو ما استنتجته مِن قولِه تعالى: **(وإِذ قال إبراهيمُ رَبِّ أَرِنِي كيفَ تُحْيِي المَوتَى قالَ أَوَلَمْ تُؤمِنْ قالَ بَلَى ولكِنْ**

(27) الاستفهام المجازي وأثره في السياق ، أَحمد بطل الموسوي 85 –86.

(28) آفاق في العربية 169.

لِّيَطمَئِنَّ قلبِي قالَ فخُذْ أَربعَةً مِّنَ الطيرِ فصُرْهُنَّ إِليكَ ثمَّ اجعَلْ علَى كُلِّ جَبَلٍ مِنهُنَّ جُزءًا ثمَّ ادعُهُنَّ يَأتِينَكَ سَعْيًا واعلَمْ أَنَّ اللهَ عزيزٌ حكيمٌ) [البقرة/260][29].

إنَّ هذه الرؤيةَ الموضوعيةَ بالبُعدِ النفسيِّ لأُسلوبِ الاستفهامِ التي وثَّقتْها (د. رجاء الحسناويُّ) في قراءتِها للنصِّ القرآنيِّ المذكورِ في أَعلاهُ تَجري تمامًا – كما أَرَى – على قولِه تعالى: (**أَوَ كالذي مَرَّ علَى قَريةٍ وهِيَ خاوِيَةٌ علَى عُرُوشِها قالَ أَنَّى يُحيِي هذه اللهُ بعدَ مَوتِها ...)** [البقرة/259] من جهةِ الدَّلالةِ النفسيةِ للتقابُلِ الواردِ بأُسلوبِ الاستفهامِ.

وقد ذهَبَ (الزَّمَخْشَرِيُّ/ ت538هـ) في حديثِه عن قولِه تعالى: (**أَنَّى يُحْيِي اللهُ...**) إلى أَنَّه ((اعتِرافٌ بالعَجْزِ عن معرفةِ طريقةِ الإحياءِ ، والاستعظامِ لقُدرةِ المُحيِي))[30]. وهو سؤالٍ عنِ الكيفيةِ والحالِ التي يُؤمنُ بها إبراهيمُ (عليهِ السلامُ) وأَرادها بيانًا ماثلا لِمَنِ ارتابَ واعترضَ وسأَلَ[31].

ولِمَا للاستفهامِ من حضورٍ حِواريٍّ باللسانِ العربيِّ لاستيفائِهِ الدَّلالاتِ والمعاني ولا سيَّما النفسيةَ منها التي يُعبِّرُ بها المُتحاوِرُون عن أَغراضِهِم ؛ فقد جاءَ وُرُودُهُ واسِعًا في القرآنِ. وفي هذا المنحَى يَرَى (د. معتصم بابكر مصطفى) أَنَّ القرآنَ الكريمَ ((قد خاطَبَ ... قُوَى الوعيِ كلَّها في الإنسانِ ، خاطَبَ العقلَ وحَرَّضَه على النظرِ والتفكيرِ... ودَرَّبَه على بعضِ المُعادَلاتِ الفِكريةِ ، واستخدامِ الأَدلةِ البُرهانيةِ ، وأَجابَ في خِطابِه للإنسانِ عنِ الأَسئلةِ الكُبرى المُؤرِّقةِ له [ممَّا] لا يَمتلِكُ العقلَ وأَدواتِ التوصلِ لها ، والإجابةِ عنها))[32].

إنَّ الاستفهامَ يُثيرُ المَكنوناتِ النفسيةَ ، ويَكشِفُ إرادةَ توثيقِ ما تَضطَمُّ عليه مَكنوناتُ الصدورِ ، أَوِ الإقرارِ بما يأتي اعترافًا ، أَو تأييدًا ، أَو رفضًا بما يَكشِفُ عن توجُّهٍ نفسيٍّ سَلبًا، أَو إيجابًا[33].

ومِنَ الموضوعاتِ التي وردَ في سياقِها التقابلُ الدَّلاليُّ المُتضادُّ بأُسلوبِ الاستفهامِ في القرآنِ الكريمِ بما اضطَمَّ عليهِ من دَلالاتٍ نفسيةٍ ما يأتي:

---

(29) م.ن. 157.

(30) الكشاف ، تح: عبدالرزاق المهدي 274:1.

(31) ينظر: معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي 628.

(32) أَساليب الإقناع في القرآن الكريم 22 –23.

(33) ينظر: آفاق في العربية 156–159.

1-التقابُلُ بينَ الهِدايةِ وعَدمِها:

وهو ما انتظَمَهُ قولُه تعالى: **(قُلْ هَلْ مِن شُرَائِكُم مَّن يَّهْدِي إِلى الحقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلحقِّ أَفَمَن يَّهْدِي إِلى الحقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُّهْدَىٰ فمَا لَكُم كيفَ تَحكُمُون)** [يونس/35].

وَرَدَ في هذا النصِّ الكريمِ تقابُلٌ دَلاليٌّ مُتضادٌّ عَقَدَت نَظمَهُ (همزةُ) الاستفهامِ التي جاءت بمعنى ((التقريرِ وهو إثباتُ المُستفهَمِ منه. وهو حَمْلُكَ المُخاطَبَ على الإقرارِ والاعترافِ بأَمرٍ قدِ استقَرَّ ثُبوتُهُ أَو نَفيُه))[34]. وهو استفهامٌ جاء بمعنى ((النفيِ والإنكارِ))[35] لِمَا لا حقيقةَ له ممَّا وُوزِنَ به من تقابلٍ بينَ قولِه تعالى: **(أَفَمَن يَّهْدِي إِلى الحقِّ)** ، وقولِه تعالى: **(أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُّهدَى)** قائمٍ على حقيقةِ الاتِّباعِ بمُوجبِ قولِه تعالى: **(أَن يُتَّبَعَ)** ؛ فالذي يَهدِي إلى الحقِّ هو الذي يأخُذُ بالنفسِ القويةِ يَقينًا إلى حياةِ الأَمانِ والاطمئنانِ والكرامةِ والإيمانِ ، أَمَّا الذي لا يَهدِي إلى الحقِّ فهو الذي يأخُذُ بالنفسِ الضعيفةِ يَقينًا إلى الهَلاكِ والضياعِ والكُفرِ والضلالِ.

قال (فخرُالدِّينِ الرازيُّ/ ت606هـ): ((واعلَمْ أَنَّ المقصودَ من خَلْقِ الجَسدِ حُصولُ الهِدايةِ للرُّوحِ كما قال تعالى:**(واللهُ أَخرَجَكُم مِن بُطُونِ أُمَّهاتِكُم لا تَعلَمُونَ شيئًا وجَعَلَ لكُمُ السَّمعَ والأَبصارَ والأَفئِدةَ لعلَّكُم تَشكُرُون)** [النحل/78]. وهذا كالتصريحِ بأَنه تعالى إنما خَلَقَ الجَسَدَ وإنما أَعطَى الحَواسَّ لتكونَ آلةً في اكتسابِ المعارفِ والعلومِ ، وأَيضًا فالأَحوالُ الجَسديةُ خَسِيسةٌ يَرجِعُ حاصلُها إلى الالتِذاذِ بذَوقِ شيءٍ من الطُّعُومِ ، أَو لَمسِ شيءٍ من الكَيفيَّاتِ المَلمُوسةِ. أَمَّا الأَحوالُ الرُّوحانيةُ والمعارفُ الإلهيةُ فإنَّها كمالاتٌ باقيةٌ أَبَدَ الآبادِ ، مَصونةٌ عنِ الكونِ والفسادِ ؛ فعَلِمْنا أَنَّ الخَلْقَ تَبَعٌ للهِدايةِ ، والمَقصودَ الأَشرفَ الأَعلى حُصولُ الهدايةِ. إذا ثَبَتَ هذا فنقولُ: العُقولُ مُضطرِبةٌ ، والحقُّ صَعبٌ ، والأَفكارُ مختلطةٌ ، ولم يَسلَمْ مِنَ الغَلطِ إلا الأَقَلُّونَ ؛ فوَجبَ أَنَّ الهدايةَ وإدراكَ الحقِّ لا يَكونُ إلا بإعانةِ اللهِ سبحانَه وتعالى ، وهدايتِه وإرشادِه))[36].

وفي هذا الصددِ يرَى (د. فاضل السامرائي) في معرِضِ قراءتِهِ هذا النصَّ الكريمَ ((أَنَّ اللهَ سبحانَه لا يَهدي للحقِّ فقط بل يُعرِّفُكَ إِيَّاهُ ، ويُبيِّنُهُ لكَ ، ويُبَلِّغُكَ إِيَّاهُ. أَمَّا شُركاؤُهم فلا يَدرُون الحقَّ

---

(34) مغني اللبيب ، ابن هشام ، تح: د. مازن المبارك وزميله 18:1. وينظر: معاني النحو 608:4.

(35) أُسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه – إعرابه ، عبدالكريم محمود يوسف 60.

(36) التفسير الكبير 94:17.

أَينَ هو؟ وفرقٌ بعيدٌ بينَ الحالَينِ ؛ فشُركاؤُهم لا يَعرِفون مُبتدأَ الطريقِ ، واللهُ يُوصِلُكَ إلى الخاتمةِ ، ويُبْلِغُكَ المُرادَ))[37] ؛ فيَتضِحُ من ذلك جانبان رئيسانِ إيجابيٌّ ، وسَلبيٌّ: أَمَّا الإيجابيُّ فتَطيبُ له النفسُ ، وتأنَسُ معَه وهو اتِّباعُ الهِدايةِ الحقِّ. وأَمَّا السَّلبيُ فتَقبُحُ به النفسُ ، وتسوءُ معَه وهو اتِّباعُ الضَّلالةِ.

إذًا ؛ يَتضِحُ لنا أَنَّ المقابلةَ بينَ طرفَينِ نستطيعُ بهما أَن نعرِفَ أَيُّهما له القدرةُ في التأثيرِ في الآخَرِ ، وبيانَ الأَبعادِ النفسيةِ لكلِّ طرفٍ منهما.

ويرَى (د. شلتاغ عبود) أَنَّ للتقابلِ المُتضادِّ مُعطياتٍ ((فالتضادُّ وحدَه لا يُعبِّرُ عن عُمقِ حِسٍّ ، ولا شفَافِيَةِ شعورٍ ما لم يُوضَعْ في سياقٍ بلاغيٍّ تقومُ أَدواتُه على التعبيرِ غيرِ المباشرِ بما فيه من إثارةٍ ودعوةٍ للتأملِ ، وإطلاقِ مَلَكاتِ التخيُّلِ والتفسيرِ))[38].

إنَّ حقيقةَ التقابلِ بينَ المَوضِعَين تَحمِلُ إشارةً إلى الباعثِ النفسيِّ عندَ النظرِ والمُعاينةِ بينَ مَن له القدرةُ على تحريكِ القلوبِ وإيقاظِ المشاعرِ وتنظيمِ الكونِ وتدبيرِ أَحوالِ الناسِ، ومَن لا يَملِكُ القدرةَ على بيانِ الحقِّ وتقديرِ الأُمورِ.

ولا ريبَ في أَنَّ للأَلفاظِ دَلالاتُها النفسيةُ في سياقِها العامِّ الذي ترِدُ فيهِ ؛ فيُضفِي عليها هذه الدَّلالاتِ.

وترَى الباحثتان (د. جليلةُ العلاق ، وإيمان الموسويُّ) أَنَّ ((أَلفاظَ القرآنِ الكريمِ... أَلفاظٌ لها أَرواحٌ تُحاكِي العقلَ ، وتُلامِسُ العاطفةَ ؛ فتُنِيرُ العقولَ ، وتَشرَحُ الصدورَ))[39].

إنَّ الغرضَ من هذه المقابلةِ بينَ هذينِ المتضادَّينِ – بلا قياسٍ بينَهما – وفي كلِّ مقابلةٍ بهذا الشأنِ من التضادِّ الدَّلاليِّ بينَ مَن عزَّ شأنُه ومَن عَدِمَ الشأنَ لا يقومُ على ((المقابلةِ بينَ اللهِ جَلَّتْ

(37) لمسات بيانية 50.
(38) أَسرار التشابه الأُسلوبي في القرآن الكريم 246.
(39) الدَّلالة النفسية لخطاب المرأة في النص القرآني 344.

كَلِمتُه وبينَ[40] الأَصنامِ ؛ كلا. إنَّما القصدُ هو إيقاظُ المشركين، وتنبيهُهُم إلى جَهلِهِم وظَلالِهِم عسى أَن يَؤُوبُوا إلى رُشْدِهِم ، ويَرجِعُوا عن غَيِّهِم))[41].

2-التقابلُ بينَ العَمَى والبصَرِ:

من الشواهدِ القرآنيةِ التي انتظَمَت هذا التقابلَ قولُه تعالى: **(قُل لَّا أَقُولُ لَكُم عِندِي خَزائِنُ اللهِ ولا أَعلَمُ الغَيبَ ولا أَقُولُ لَكُم إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هلْ يَستَوِي الأَعمَىٰ والبَصِيرُ أَفلا تَتفكَّرُونَ)** [الأَنعام/50].

يَظهَرُ في هذا النصِّ القرآنيِّ تقابلٌ دَلاليٌّ قائمٌ على التضادِّ بينَ رُكنَينِ رئيسَينِ عَقَدَتِ التقابلَ بينَهما (هلِ) الاستفهاميةُ بينَ (الأَعمَى) و(البصيرِ) ؛ فـ(الأَعمَى) هو الذي حُجِبَ بصرُهُ ولا يرَى شيئًا مطلقًا ، بل هو الذي يرَى كلَّ شيءٍ سَوَادًا. و(البصيرُ) هو الذي صَحَّ بصرُهُ فهو يرَى كلَّ شيءٍ بوضوحٍ وإن كان سَوادًا ؛ فمِصداقُ الأَعمَى أَنه مَن لا يرَى الحقيقةَ ، ولا يَتبَعُ الصوابَ ، ولا يَمتثِلُ للأَمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المُنكَرِ ؛ فانعِدامُ طاعتِه وعدمُ انقيادِه للحق كانعدامِ البصرِ من الشخصِ الأَعمَى ، وحالُهم كقولِه تعالى: **(وأَمَّا ثَمُودُ فهَدَيناهُم فاسْتَحبُّوا العمَى علَى الهُدَى)** [فصلت/17].

وإنَّنا نتذوقُ من دَلالةِ (هلِ) الاستفهاميةِ تَضمُّنَها النفيَ بما قرَّرهُ المفسرون واللغويون والبلاغيون القدماءُ ؛ فأَيدَه ووثَّقه المُحدَثون[42] ما يَجعلُها في هذا النصِّ قائمةً على دَلالتِها الأَساسِ مُفصِحةً عن دَلالةٍ ضمنيةٍ تُناسبُ السياقَ وتُناسبُ هذه المقابلةَ وهي النفيُ. وهو ما قال به (د. فاضل السامرائي)[43].

ورأَى (الشيخُ الطَّبَرْسِيُّ/ ت 548هـ) أَنَّ المعنى في قولِه تعالى: (((**هَلْ يَستَوِي الأَعمَى والبَصيرُ**) أَي هل يَستوي العارفُ باللهِ سبحانَه العالمُ بدينِه ، والجاهلُ به وبدينِه ؛ فجعَلَ الأَعمَى مثلا للجَاهلِ ، والبصيرَ مثلا للعارفِ باللهِ وبدِينِه... وقيلَ معناهُ: هل يستوي مَن صَدقَ على نفسِه واعترفِ بحالِه التي هو عليها من الحاجةِ والعبوديةِ لخالقِه، ومَن ذَهبَ عن البيانِ وعَمِيَ عن الحقِّ... **(أَفلا**

---

(40) الصوابُ: ((بينَ اللهِ – جَلَّتْ كَلِمتُه – والأَصنامِ)).

(41) التفسير الكاشف ، الشيخ محمدجواد مُغْنِيَّة 149:4.

(42) أُسلوب الاستفهام في القرآن الكريم 44.

(43) ينظر: معاني النحو 622:4.

تَتفكَّرُونَ) فتُنصِفُوا مِن أَنفسِكم وتَعمَلُوا بالواجبِ عليكُم من الإقرارِ بالتوحيدِ ، ونفيِ التشبيهِ. وهذا استفهامٌ يُرادُ به الإخبارُ يَعني أَنهما لا يستوِيان))[44]. فهذا هو الجانبُ السلبيُّ الذي يتولَّدُ من ضياعِ النفسِ ، ومرضِ القلبِ ، وتِيهِ المنهجِ. وهو الذي يُوَلِّدُ مواقفَ نفسيةً عصيبةً ومُنكِّدَةً على صاحبِها. أَمَّا البصيرُ فهو الذي اتَّبعَ الحقَّ واهتدَى بنورِه وأَدركَ الصوابَ ؛ فهو على بَيِّنةٍ من أَمرِه.

ويرى (السيدُ الطباطبائيُّ/ ت1981م) أَنَّ اللهَ تعالى في قولِه: (**قُلْ هلْ يَستَوِي الأَعمَى والبَصيرُ)** ((يَنفي الفضلَ الذي يتوقعُه عامَّةُ الناسُ من نبيِّهِم ، ثم يُثبِتُ للرسولِ (ص) الرسالةَ فحَسْبُ ، ثُم يُبادِرُ إلى إثباتِ الفضلِ من جهةٍ أُخرى غيرِ الجِهةِ التي يتوقعُها الناسُ وهو أَنه بصيرٌ بإبصارِ اللهِ تعالى ، وأَنَّ غيرَه بالنسبةِ إليه كالأَعمَى بالنسبةِ إلى البصيرِ. وهذا هو المُوجِبُ لاتِّباعِهِم له كما يَتَّبِعُ الأعمَى البصيرَ وهو المُجَوِّز له أَن يَّدعُوَهُم إلى اتِّباعِه))[45].

إذًا ؛ إنَّ الصورةَ الأَخلاقيةَ التي تتجلَّى من هذا النصِ الكريمِ جاءت بحالَينِ إحداهُما تُمثِّلُ منهجَ السلوكِ الحميدِ الذي يُمكنُ وصفُه بإيجازٍ وافٍ بأَنه نقيٌّ ، ومُعَبَّدٌ، ومُحاطٌ بالنباتاتِ. أَمَّا الأُخرى فتُمثِّلُ منهجَ السلوكِ الخبيثِ الذي يَصِحُّ وصفُهُ بأَنه موبوءٌ ، وعَثِرٌ، ومَلِيءٌ بالقُمامةِ ؛ فالإنسانُ في الحالَينِ كِلتَيهِما هو الذي يرى بعينِه سلامتَه وهو يَسلُكُ طريقَ الأَمانِ والكرامةِ والتكريمِ ، أَو سَقامتَه وهو يَسلُكُ طريقَ الضياعِ والندامةِ الإهانةِ.

إنَّ الاختيارَ الأَنسبَ الذي أَرادَهُ اللهُ تعالى لعبادِه هو اختيارُ السلامةِ الذي يُنبِئُ عن نقاءِ النفسِ واطمئنانِها والهِمَّةِ في الإنجازِ والسعيِ الدَّؤُوبِ في العملِ الصالحِ ، لا الاختيارَ الأَسوأَ الذي يُقحِمُ الإنسانُ نفسَه فيه زَيغًا وضياعًا.

إنَّ الصورَ القرآنيةَ المتقابلةَ بحسبَ تراكيبِها ، ورُكنَيها أَو أَركانِها بالتضادِّ الذي تنتظِمُ به وتُفصِحُ عنه ((تَعمِدُ... إلى تحكيمِ قوةِ العقلِ والإدراكِ لدَى الإنسانِ كي يُقيمَ مُوازنةً بينَ الشيءِ ليَصِلَ مِن خلالِها إلى حقيقةِ الأُمور))[46].

3-التقابُلُ بينَ البَعثِ وإنكارِه:

---

(44) تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن ، تح: لجنة من العلماء والمحققين 46:4.

(45) الميزان في تفسير القرآن ، صحَّحه: الشيخ حسين الأَعلَمي 109:10.

(46) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني ، صالح ملا عزيز 87.

ورد هذا المضمونُ المتضادُّ تقابُلا في قولِه تعالى: (**وقالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظامًا ورُفاتًا أَإِنَّا لَمَبعُوثُونَ خَلْقًا جدِيدًا قُل كُونُواْ حِجارةً أَو حدِيدًا أَو خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ في صُدُورِكُم فسيَقُولُونَ مَن يُّعِيدُنا قُلِ الَّذِي فَطرَكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ فسَيُنغِضُونَ إِليكَ رُؤُوسَهُم ويقُولُونَ متَى هُو قُلْ عسَى أَن يَّكُونَ قرِيبًا)** [الإسراء/49-51].

انتظَمَ في هذا النصِّ الكريمِ تقابلٌ ضمَّ تركيبَينِ متضادَّينِ مُتعاقِبَينِ بدَأَ كلٌّ منهُما بـ(همزةِ) الاستفهامِ التي دلَّت فيهِما على الإنكارِ والاستبعادِ الذي عليهِ المُتحدِّثُونَ الرافضُونَ حقيقةَ البَعثِ بعدَ الموتِ[47] في قولِه تعالى: (**أَإِذَا كُنَّا عِظامًا ورُفاتًا**) ، وقولِه تعالى: (**أَإِنَّا لَمَبعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**) ؛ فالمُتحدِّثونَ بحِكايةِ حالِهِم هنا كما أَوردها النصُّ القرآنيُّ يَستنكِرون بسُؤالِهم هذا أَن يَّكونُوا بعدَ مَوتِهم – وقد صارُوا عِظامًا ورفاتًا – في حياةٍ أُخرى برَجعةٍ يُبعَثُونَ فيها من جديدٍ؛ فهم يُؤمنونَ بانعدامِهِم ، وعدَمِ رَجعتِهِم بعدَ موتِهِم وبِلاهُم ؛ لذا قابَلُوا حقيقةَ موتِهم هذه باعترافِهِم بالموتِ بطريقةِ السؤالِ الذي يُثبِتُونَ به فَناءَهم وانطِحانَهم وإنكارَ تكوينِهِم (**أَإِذَا كُنَّا عِظامًا ورُفاتًا**) بسُؤالٍ آخرَ – هو التضادُّ الدَّلاليُّ مع إقرارِهِم بالموتِ والبِلَى – مِلؤُهُ العَمَى عنِ الحقيقةِ ، والإنكارُ للبعثِ هو (**أَإِنَّا لَمَبعُوثُونَ خَلْقًا جديدًا**).

وقد ذهَبَ (عبدُالقاهرِ الجُرجانيُّ/ ت471 أَو 474هـ) إلى أَنَّ ((الغرضَ مِن الاستفهامِ الإنكاريِّ ... هو أَن يَّتنَبَّهَ السامعُ حتى يَرجِعَ إلى نفسِه فيَخجَلَ ويَرتَدِعَ ويَعْيَا بالجَوابِ ؛ إمَّا لأَنه قدِ ادَّعَى القدرةَ على فِعلٍ لا يَقدِرُ عليه ؛ فإذا ثبَتَ على دَعواهُ قيل له: (فافعَلْ) ؛ فيَفضَحُه ذلك ، وإمَّا لأَنه هَمَّ بأَن يَّفعلَ ما لا يَستصْوِبُ فِعلَه؛ فإذا رُوجِعَ فيه تَنبَّهَ وعَرَفَ الخطأَ ، وإمَّا لأَنه جَوَّزَ وُجودَ أَمرٍ لا يُوجَدُ مِثلُهُ؛ فإذا ثبَتَ على تجويزِهِ وُبِّخَ على تَعنُّتِهِ ، وقيلَ له: (فأَرِناهُ) في موضعٍ ، وفي حالٍ، وأَقِمْ شاهدًا على أَنه كان في وقتٍ))[48].

وهذا النصُّ الكريمُ يُماثِلُه في الموارِدِ القرآنيةِ سِياقًا ومضمونًا قولُه تعالى: (**ذلكَ جَزاؤُهُم بأَنَّهُم كَفَرُوا بآياتِنا وقالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظامًا ورُفاتًا أَإِنَّا لَمَبعُوثُونَ خَلْقًا جديدًا**﴾ [الإسراء/98] ، وقولُه سُبحانَه: (**وقالُوا أَإِذَا ظَلَلْنا في الأَرضِ أَإِنَّا لَفي خَلْقٍ جديدٍ بل هُم بلِقاءِ رَبِّهِم كافرُون**) [السجدة/10] ، وقولُه

---

(47) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، السيوطي ، تح: أَحمد شمس الدين 2:483.

(48) دلائل الإعجاز ، تح: د. محمد التنجي 82. وينظر: دراسات في البلاغة العربية ، د. عبدالعاطي غريب 57.

تعالى: (**أَإِذَا مِتْنا وكُنَّا تُرابًا وعِظامًا أَإِنَّا لَمَبعُوثُونَ**) [الصافات/16] ، وقولُه عزَّ مِن قائلٍ: (**أَإِذَا مِتْنَا وكُنَّا تُرابًا وعِظامًا أَإِنَّا لَمَدِينُون**) [الصافات/53].

يَرَى (د. كريم حسين ناصح) أَنه قد ((وَرَدَ في الخِطابِ القرآنيِّ كثيرٌ مِّنَ الآياتِ الدالةِ على معنى الاستهزاءِ على لسانِ الكافرينَ المُنكرِينَ لدَعَواتِ الأَنبياءِ ، أَوِ استهزاءِ اللهُ سبحانَه وتعالى بقُدُراتِ الكافرينَ ، وسُخرِيَّتِه مِن صَلَفِهِم في أُسلوبٍ مَشحونٍ بمشاعرِ الغضَبِ وعدمِ الرضى[49] ممَّا يقولُه الكافرون أَو يَفعلُونه... والسُّخرِيَّةُ من بابِ العَيبِ والجَهلِ))[50].

إِنَّ هؤلاءِ المُنكِرِينَ الساخرينَ يَعرِفون أَنَّ مَن ماتُوا قبلَهم ، ودُفِنُوا في الترابِ قد صارُوا عِظامًا ورُفاتًا مع الترابِ نفسِه معرفةَ حقيقةٍ لكنَّهُم قابلُوها بما يَكشِفُ عن ضياعٍ نفسيٍّ في الإِيمانِ بحقيقةِ مصيرِهِم ؛ فلم يَقبلُوا بحقيقةِ إِحيائِهِم مرةً أُخرى ، ولا بحقيقةِ عَرضِهِم على الحِسابِ نتيجةَ ما يَعيشُونَ فيه في حياتِهِمُ الدنيا من انغماسٍ في المَلَذَّات وحُبٍّ للدنيا ، وعدمِ انصياعٍ منهم لخطابِ العقلِ والإِيمانِ والتقوى.

وذهب (السيد قطب/ ت 1966م) إِلى أَنَّ ((قضيةَ البَعْثِ [كانت] مَثارَ جَدَلٍ طويلٍ بينَ الرسولِ (صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم) والمُشركين. واشتمَلَ القرآنُ الكريمُ على الكثيرِ من هذا الجَدَلِ معَ بساطةِ هذه القضيةِ ووُضُوحِها عندَ من يَّتصَوَّرُ طبيعةَ الحياةِ والموتِ وطبيعةَ البَعثِ والحَشرِ... ولكنَّ القومَ لم يَكونُوا يَتصوَّرُنها بهذا الوضوحِ وبتلكَ البساطةِ ؛ فكان يَصعُبُ عليهم تصوُّرُ البَعثِ بعدَ البِلَى والفَناءِ المُسلَّطِ على الأَجسام... ذلكَ أَنَّهم لم يَكونُوا يَتدبَّرُون أَنَّهم لم يَكونُوا أَحياءً أَصلا ثم كانُوا ، وأَنَّ النشأةَ الآخرةَ ليست أَعسَرَ مِن النشأةِ الأُولى ، وأَنَّه لا شيءَ أَمامَ القُدرةِ الإِلهيةِ أعسَرُ مِن شيءٍ ، وأَداةُ الخَلقِ واحدةٌ في كلِّ شيءٍ (كُنْ فيَكونُ)... وكان الردُّ على ذلكَ التعجبِ: (**قُل كُونُواْ حِجارةً أَو حدِيدًا أَو خَلْقًا ممَّا يَكبُرُ في صدورِكُم**) ... وهم لا يَملِكونَ أَن يَّكونُوا حِجارةً أَو حديدًا أَو خَلْقًا آخَرَ ، ولكنَّه قولٌ للتحدي ، وفيه كذلك ظَلَّ التوبيخُ والتقريعُ ؛ فالحِجارةُ والحديدُ جمادٌ لا يَحُسُّ ولا يتأثرُ. وفي هذا إِيماءٌ مِن بعيدٍ إِلى ما في تَصوُّرِهم مِن جُمُودٍ وتَحجُّرٍ!))[51] .

---

(49) الصوابُ: الرِّضا.

(50) الخطاب النفسي في القرآن الكريم 115-116. ويُنظر: الكشَاف 186:1.

(51) في ظلال القرآن 2233.

وجاءَهم هذا التحدي الإلهيُّ بقولِه **تعالى: (كُونُوا حِجَارةً أَو حَديدًا أَو خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُم)** رَدْعًا لهم بأَنَّ اللهَ سبحانَه قادرٌ على بَعثِهِم خَلْقًا جديدًا وإن كانُوا على هيأَةِ حِجارةٍ أَوحديدٍ أَو ما يَفوقُهُما قوةً وصلادةً ممَّا يَفوقُ العظامَ الهشَّةَ أَمامَ ما يَفوقُها قوةً وصلادةً ، والرُّفاةَ التي يُذريها الهواءُ بأَيسرِ تيارٍ له إن سُلِّطَ عليها.

وفي ضوءِ ما ذهَبَ إليه (عبدُالقاهرِ الجرُجانيُّ) مِن تحليلٍ دَلاليٍّ لأَثرِ الاستفهامِ الإنكاريِّ في نفسِ المُتلقِّي استنتجَ (د.عبدالعاطي غريب عَلام) أَنَّ مِن مَزايا الاستفهامِ الإنكاريِّ ((أَنَّ أُسلوبَه يُشعِرُ بثِقةِ المُتكلِّمِ واطمئنانِه ، وأَنَّه لا يَخشَى تكذيبًا ولا مُخالفةً ؛ لإيهامِهِ أَنَّ السامعَ أَعلَمُ مِنهُ بحقيقةِ الأَمرِ ؛ ولذلكَ يَطلُبُ منهُ الجَوابَ بحَسَبِ الظاهرِ))[52].

واتِّساقًا معَ اعتقادِهِمُ الساخرِ هذا فقد أَلحقُوهُ بسؤالٍ لا يَقِلُّ شأنًا عن إنكارِهم واستهزائِهم بالبَعثِ والنشورِ بما انطوت عليه أَنفُسُهُم من عنادٍ وكِبْرٍ وتجهيلٍ فحكَى القرآنُ عن حالِهِمُ الاستهزائيةِ الإنكاريةِ الأُخرى بما نصَّ عليهِ قولُه تعالى:**(سَيَقُولُونَ مَن يُّعِيدُنَا)** ؛ فيأتيهِمُ الجَوابُ بقولِه تعالى: **(قُلِ الذي فَطَرَكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ)** ، وهو تَحَدٍّ لهم إذ يَرَونَ أَنَّ تَحوُّلَهم بعدَ الموتِ كأَسلافِهِم إلى حجارةٍ أَو رُفاةٍ يَمنَعُ من إعادتِهم خلقًا جديدًا.

ويرَى (د. إياد عبدالوَدود الحمدانيُّ) أَنَّ ((السياقَ تضمَّنَ معنى الوعدِ والوعيدِ المُوجَّهِ للكافرينَ))[53].

إنَّ النصوصَ القرآنيةَ ((تُصوِّرُ بدِقةٍ ما يَدورُ في أَعماقِ الكافرينَ من رفضٍ مَشُوبٍ بالسُّخريةِ ، واستنكارٍ مَقرونٍ بالكِبْرِ ، واستبعادٍ مَمزوجٍ بالتطاوُلِ حينَ يأتِيهِمُ الجَوابُ بأَنَّ اللهَ الذي خلقَهُم أَوَّلَ مَرةٍ قادرٌ على أَن يَّرُدَّ إليهِمُ الحياةَ مَرَّةً أُخرى))[54].

4-التقابُلُ بينَ الانحرافِ والاستقامةِ:

---

(52) دراسات في البلاغة العربية 60.

(53) التصوير المَجازي أَنماطه ودلالاته في مشاهد القيامة في القرآن 140.

(54) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني 80.

جاء مَساقُ هذا التقابلِ في قولِه تعالى: **(وضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلَينِ أَحدُهُما أَبْكَمُ لا يَقدِرُ علَى شيءٍ وهُوَ كَلٌّ علَى مَولاهُ أَينَما يُوَجِّهْهُ لا يَأتِ بخَيرٍ هلْ يَستوِي هُوَ ومَن يَّأمُرُ بالعَدْلِ وهُوَ علَى صِراطٍ مُّستَقيمٍ)** [النمل/67].

ورَدَ في هذا النصِّ الكريمِ تقابلٌ بينَ تركيبَينِ تضمَّنا دَلالتَينِ تشبيهِيَّتَينِ مُتضادَّتَينِ لرَجُلَينِ الأُولُ هو الموصوفُ بقولِه تعالى: **(أَحدُهُما أَبْكَمُ لا يَقدِرُ علَى شيءٍ وهُوَ كَلٌّ علَى مَولاهُ أَينَما يُوَجِّهْهُ لا يَأتِ بخَيرٍ)** ، والآخَرُ هو الموصوفُ بقولِه تعالى: **(مَن يَّأمُرُ بالعَدْلِ وهُوَ علَى صِراطٍ مُّستَقيمٍ)** عقَدَتهُ (هَلِ) الاستفهاميةُ بالفعلِ (يَستوِي) المُوازِنِ ترجِيحًا بينَ هذا الأَبكمِ العاجزِ العَيِيِّ ، وهذا العادلِ المؤمنِ النقيِّ بما تضمنتهُ من تعجُّبٍ وإنكارٍ.

إنَّ دَلالةَ التعجبِ والإنكارِ التي تُفهَمُ من هذا الاستفهامِ لا يُمكِنُ أَن تُفهَمَ مِن دَلالةِ النفيِ بمعنى (ما) فقط لو تمثَّلنا نصًّا خارجَ القرآنِ نظمُه (ما يَستوي هو ومَن يأمُرُ بالعدلِ)؛ إذًا هو الاستفهامُ يُفهَمُ منها بأَصالةِ استعمالِها – ردًّا على الواهمِين باستِوائِهما – مُشرَبًا معنى التعجبِ والإنكارِ ضمنًا بحسبِ سياقِ النصِّ ودَلالاتِه. وهذا شأنُ اللغةِ العربيةِ وبيانُها.

ويرَى (د. فاضل السامرائيُّ) أَنَّ الدَّلالةَ المُستحصَلَةَ بـ(هلْ) في هذا النصِّ هي ((الإنكارُ التوبيخِيُّ ، ويَقتضِي أَنَّ المُخاطَبَ فَعَلَ فِعلا يَستَلزِمُ تَوبيخَه علَيه ، وتَقريعَهُ؛ فالأَمرُ واقعٌ في الإنكارِ التوبيخِيِّ بخِلافِ الإبطاليِّ))[55] إذ دَخَلَت (هلْ) على الفعلِ المضارعِ الذي يُفهَمُ منهُ التجدُّدُ والحُدُوثُ ، لا الثباتُ والمُكُوثُ.

ويرَى (د. شلتاغ عبود) أَنَّ استعمالَ الاستفهامِ بـ(هلْ) في هذا النصِّ إنما ((جاء ... لِيُعَمِّقَ الانتباهَ إلى هذا التضادِّ والتناقضِ ، ولكي يَهُزَّ مَشاعرَ المُتلقِّي، ويَستَفِزَّ مَلَكاتِهِ الشعوريةَ والعقليةَ))[56].

ومن هذه الحقيقةِ القرآنيةِ دَلاليًّا يَبِينُ لنا أَنَّ الاستفهامَ قد خَرَجَ من معناهُ الحقيقيِّ إلى المعنى المَجازيِّ ؛ لِيَجذِبَ انتباهَ السامعِ أَوِ القارئِ ، ولِيُحقِقَ وظيفةً نفسيةً الغايةُ منها بناءُ التوجهِ الإيجابيِّ بالإيمانِ والطاعةِ ، وإزاحةُ غبارِ التوجهِ السَّلْبِيِّ القائمِ على الجَهلِ والعنادِ والتقليدِ الأَعمَى.

---

(55) معاني النحو 4:608.

(56) أَسرار التشابه الأُسلوبي في القرآن الكريم 244.

ويرَى (د. محمدحسين علي الصغير/ ت2023م) أَنَّ ((مِن أَهدافِ أَيِّ تشبيهٍ في أَيِّ نصٍّ إِضاءةَ المعنى ، وجَلاءَ الصورةِ لتتكامَلَ دَلالةُ النصِّ الفنيةُ ، ولِيُدرِكَ السامعُ ما أَرادَه المُتكلمُ ؛ وبذلك تتحققُ خَصِيصةُ التأثيرِ النفسيِّ فيه. وهذه الخَصِيصةُ لا تكونُ إلا بقُربِ الصِّلةِ بينَ التشبيهِ والنفسِ. وهذه الصلةُ إِنَّما تتقارَبُ إذا كانتِ الأُمورُ إلى البدَاهَةِ والحِسِّ أَقربَ منها إلى الإبهامِ والغَرابة))[57].

فالتشبيهُ مرآةٌ للمعنى العميقِ يُستعمَلُ كي تَقتربَ الصورةُ من ذِهنِ المُتلقِّي. ولهذه الصورةِ أَبعادٌ تُلقِي بظِلالِها النفسيةِ على المُتلقِّي لِعَقدِ مُقارَنةٍ ومُوازَنةٍ بينَ التشبهَينِ علاوةً على ((أَنَّ السياقَ وحدَه هو الذي يُساعدُنا على إدراكِ التبادلِ بينَ المعاني الموضوعةِ ، والمعاني العاطفية والانفعالية))[58].

وهذا التقابلُ الذي جاء تحديدًا بمَعقِدِ (**هل يَستوِي ...**) قد وقع بينَ فاعلِ الفعلِ (يَستوِي) – الذي يُراد به مع (هلْ) بيانُ المُطابقةِ والاستواءِ – المستترِ فيهِ (هو) العائدِ على (**أَحدُهُما**) وهو الرجُلُ الأَبكَمُ العالةُ الذي لا عَطاءَ ولا فائدةَ منه ، ولا نَفعَ يُرجَى من وجودِه ، المؤكَّدِ بالضميرِ الظاهرِ (هو) ، وبينَ ما عُطِفَ عليهِ وهو اسمُ الموصولِ (مَن) الموضَّحُ بصِلتِه (**يأمُرُ بالعَدلِ وهُوَ على صِراطٍ مُّستقِيمٍ**). وهو من مواردِ التقابلِ الدَّلاليِّ المتضادِّ المتداخلِ بطرفَيهِ وتركيبَيهِ في مَعقِدِ جملةٍ واحدةٍ جمعَت بينَهما.

وذهَبِ (د. عبدالعزيز عتيق/ ت1976م) إلى ((أَنَّ من صفاتِ الأَدبِ الجيدِ تلاحُمَ أَجزائِه ، وائتِلافَ أَلفاظِه حتى كأَنَّ الكلامَ بأَسرِهِ مِن حُسْنِ الجِوارِ وشِدَّةِ التلاحُمِ كَلِمةٌ واحدةٌ وحتى كأَنَّ الكلمةَ بأَسرِها حرفٌ واحدٌ. وكما يَتِمُّ هذا التلاحُمُ عن طريقِ التشابُهِ يَتِمُّ ذلك عن طريقِ التضادِّ ؛ لأَنَّ المعانيَ يستدعي بعضُها بعضًا ؛ فمنها ما يَستدعي مقابلةً ، بل إِنَّ الضدَّ أَكثرُ خطورةً على البالِ من التشبيهِ ، وأَوضحُ في الدَّلالةِ على المعنى منه. وعلى هذا كُلَّما ظَهَرَتِ...المقابلةُ في الكلامِ بدَعوةٍ من المعنى لا تَطفُّلا عليه كانت أَنجَحَ في أَداءِ دورِها المَنُوطِ بها في تحسينِ المعنى))[59].

---

(57) الصورة الفنية في المَثَل القرآني 171–172.

(58) دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أُولمان ، تر: د. كمال محمد بشر 58.

(59) علم البديع 63.

ومن النصوصِ القرآنيةِ التي جاءت بهذا السياقِ والغايةِ قولُه تعالى: **(ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فيهِ شُرَكاءُ مُتشاكِسُونَ ورَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هلْ يَستوِيانِ مَثَلًا الحَمدُ للهِ بلْ أَكثَرُهُم لا يَعلَمُونَ)** [الزمر/29].

5-التقابلُ بينَ الشرِّ والرَّشَدِ:

من شواهدِ هذا التقابلِ القرآنيةِ قولُهُ تعالى: **(وأَنَّا لا نَدرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بمَن في الأَرضِ أَم أَرادَ بهِم رَبُّهُم رَشَدًا)** [الجن/10].

انتظَمَ في هذا النصِّ القرآنيِّ تقابلٌ دَلاليٌّ مُتضادٌّ جاءَ حِكايةً على لِسانِ الجِنِّ قائمًا على تركيبَينِ ربطتْهُما أَداةُ الاستفهامِ (الهمزةُ) التي دلَّت على التسويةِ[60] لبيانِ مدَى انفراجِها بينَ طرفَي هذا التقابلِ المتضادَّينِ (الشرِّ ، والرَّشَدِ).

نَلحَظُ في هذا التقابلِ أَنَّ السؤالَ في التركيبِ الأَولِ قد جاء عن الشرِّ الذي نُسِبَت إرادتُهُ إلى فاعلٍ مَجهولٍ إشارةً إلى أَنَّ الشرَّ يقَعُ من أَيِّ مَخلوقٍ لا إيمانَ له ولا سلامةَ منه. ونُلاحظُ أَنَّ التركيبَ الثاني المبدوءَ بحرف العطفِ **(أَم أَرادَ بهِم...)** قد وُجِّهَ على فِعلِ الإرادةِ (الرَّشَد) الذي وُجِّهَ صراحةً إلى فاعلِه الحقيقيِّ الآمِرِ به وهو الربُّ سُبحانَه دَلالةً على أَنَّ (الرَّشَدَ) إنما يأمُرُ به الرَّبُّ الرشيدُ الذي يُربِّي عبادَهُ وخَلقَه على الهُدى بإرادتِه التي لا رَادَّ لها [61]. وفي كلامِ الجِنِّ هذا بُعدانِ نفسيَّانِ رئِيسَانِ هما: (البُعدُ السَّلْبِيُّ) و(البُعدُ الإيجابيُّ).

أَمَّا البُعدُ السَّلبِيُّ فهو إرادةُ الشرِّ المَجهولِ فاعلُها. وأَمَّا البُعدُ الإيجابيُّ فهو إرادةُ الرَّشَدِ المُسنَدَةُ إلى اللهِ سبحانَه. ولا ريبَ في أَنَّ إرادةَ الخالقِ هي التي تُلقِي بظِلالِ الاطمئنانِ والسلامِ الدائمِ والحياةِ الآمِنةِ وكلِّ الأَبعادِ النفسيةِ الطيبةِ على الإنسِ والجِنِّ كافةً وأَنَّ إرادةَ المَخلوقِ ذي الشرِّ هي التي تُلقِي بظِلالِ الشرِّ ورُعبِ النفسِ على الثَّقَلَينِ عندَ عقدِ العَزمِ بها بالنفسِ الأَمَّارةِ بالسوء.

---

(60) أُسلوب الاستفهام في القرآن 10.

(61) ينظر: التعبير القرآني 287.

ويرَى(جلالُ الدِّينِ السيوطيُّ/ت911هـ) في قولِه سبحانَه: (((**وأَنَّا لا نَدرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بمَن في الأَرضِ**) لِمَ بُعِثَ هذا النبيُّ ؛ لأَن يُؤمِنُوا به ويَتَّبِعُوه فيَرشُدُوا أَو لأَن يَّكفُرُوا به ويُكَذِّبُوه فيَهْلِكُوا كما هَلَكَ مَن قَبلَهُم من الأُممِ))[62].

يَتضِحُ مِن قولِ الجِنِّ المَحكِيِّ عنهُم في هذا النصِّ القرآنيِّ أَنَّهم يَجهَلُونَ النهايةَ التي سيَكونُ عليها الخَلْقُ كلُّهم وهم يُبَرِّئُونَ أَنفسَهم من أَن يَّكونُوا حاكِمِينَ على الخَلْقِ.

وقد ذهَبَ (العلامةُ محمد جواد مُغْنِيَّة/ ت1979م) إلى أَنَّ ((هذا من قولِ الجِنِّ الذين صَرَّحُوا بمُوجبِ هذا النصِّ القرآنيِّ بأَنَّهم لا يَعلَمُون الغَيبَ ، ولا يَعلَمُون مدَى مُكُوثِهِم في الحياةِ ، ولا يَعلَمُون حالَ مُثُولِهِم بينَ يدَيِ اللهِ وحسابِهم فيما ارتكَبُوه من سَيئاتٍ أَو فَعلُوه من حَسَناتٍ من أَنهم سيُساقُون إلى النعيمِ أَو إلى الجَحيمِ. وبهذا أَسقَطَ أَباطيلَ المُشركينَ والكفارِ وأَعداءِ الإِسلامِ الذين اتَّهمُوا النبيَّ (ص) بأَنه يأخُذُ القرآنَ من الجِنِّ ، وأَنه كاهنٌ ، وأَنه مَجنونٌ ، وأَنه شاعرٌ))[63].

المبحثُ الثاني/ التقابلُ في سياقِ الشَّرْطِ:

يُعَدُّ أُسلوبُ الشرطِ واحدًا من الأَساليبِ اللغويةِ التي تُستعمَلُ في الحوارِ والتدوينِ على نحوٍ واسعٍ جدًا ؛ فهو – إِذًا – أُسلوبٌ كثيرُ الدَّوَرانِ على اللسانِ العربيِّ ، وفي التدوينِ الكتابيِّ ، وإِنَّ كثرةَ استعمالِهِ واضحةٌ في اللهجاتِ العربيةِ اليوميةِ الدارجةِ على أَلسنةِ الناطقينَ باللغةِ العربيةِ في العالمِ كلِّه.

ومن واضحِ الاستعمالِ ، ومعروفِ الدَّرْجِ لدى الباحثينَ أَنَّ هذا الأُسلوبَ قائمٌ على جملتَينِ رئيستَينِ برُكنَينِ أَساسَينِ هما (جملةُ الشَّرطِ ، وجُملةُ جوابِ الشرطِ) تَعقِدُ الرَّبطَ بينَهما أَداةُ الشرطِ) متصدِّرةً هذينِ الرُّكنَينِ بحسبِ الاستعمالِ الكاملِ المستوفي أَركانَ تركيبِ الشرطِ بترتيبِه الاعتياديِّ

(62) الدر المنثور 116:10.
(63) ينظر: الكاشف 410:7.

المعروفِ ؛ وبهذا ((يتميزُ أُسلوبُ الشرطِ عن سِواه من أَساليبِ العربيةِ بأَنَّ به أَداةَ الشرطِ التي تربُطُ بينَ جملتَينِ أَولُها جُملةُ الشرطِ ، وثانيها جُملةُ جوابِ الشرطِ. ومِن بينِ أَدواتِ الشرطِ أَسماءٌ وأَدواتٌ))[64] لها مَعارضُها التفصيليةُ التي زخَرَت بها كتُبُ النحوِ ممَّا ليس من وَكْدِ رسالتي هذه بيانُها علاوةً على شُهرةِ مسائلِ الشرطِ النحويةِ.

ويرَى (د. كريم حسين ناصح) في مدى العَلاقةِ بينَ الدَّلالةِ النفسيةِ وأُسلوبِ الشرطِ بحسبِ تركيبِه وسياقِه وأَركانِه أَنَّ ((في أَجوبةِ الشرطِ حِدَّةَ الخِطابِ ، وقُوتَهُ في التعبيرِ عن المعاني النفسيةِ))[65]. ومن جنسِ هذه العَلاقةِ عَقدُ التقابلِ المُتضادِّ بينَ طرفَينِ يَنتظِمُهما أُسلوبُ ا لشرطِ بأَبعادٍ نفسيةٍ ذاتِ تأثيرٍ كبيرٍ في مواردِها القرآنيةِ التي سأَعرِضُ لها في هذا المبحثِ.

ويرى (سيد قطب) في التعبيرِ القرآنيِّ أَنَّ له سِمةً مختصَّةً ((هي اتِّباعُ تصويرِ المعاني الذهنيةِ والحالاتِ النفسيةِ ، وإبرازِها في صُورٍ حِسِّيةٍ ، والسيرُ على طريقةِ تصويرِ المشاهدِ الطبيعيةِ والحوادثِ الماضيةِ ، والقَصَصِ المَروِيةِ ، والأَمثالِ القَصصيةِ ، ومشاهدِ القيامةِ ، وصُورِ النعيمِ والعذابِ والنماذجِ الإنسانية.. كأَنَّها كلَّها حاضرةٌ شاخصةٌ بالتخييلِ الحِسيِّ الذي يُفعِمُها بالحركةِ المُتخَيَّلةِ ؛ فما فَضلُ هذه الطريقةِ على الطريقةِ الأُخرى التي تَنقُلُ المعانيَ والحالاتِ النفسيةَ في صُورتِها الذهنيةِ التجريديةِ ، وتَنقُلُ الحوادثُ والقَصصُ أَخبارًا مَرويةً ، وتُعبِّرُ عنِ المشاهدِ والمناظرِ تعبيرًا لفظيًّا لا تصويرًا تَخييليًّا ؟ يَكفي لبيانِ هذا الفضلِ أَن نَّتصوَّرَ هذه المعانيَ كلَّها في صورتِها التجريديةِ ، وأَن نَّتصورَها بعد ذلك في الهيئةِ الأُخرى التشخيصيةِ. إِنَّ المعانيَ في الطريقةِ الأُولى تُخاطِبُ الذهنَ والوَعيَ ، وتَصِلُ إِليهما مُجرَّدةً مِن ظِلالِها الجَميلةِ ، وفي الطريقةِ الثانيةِ تُخاطِبُ الحِسَّ والوُجدانَ ، وتَصِلُ إِلى النفسِ من منافذَ شتَّى))[66].

ومِن الموضوعاتِ التي انتظِمِ مضمونَها وموارِدَها هذا التقابلُ في النصِّ القرآنيِّ ما يأتي:

1-التقابُلُ بينَ كتابَيِ الآخِرةِ:

---

(64) النحو العصري دليل مبسط لقواعد اللغة العربية ، سليمان فياض 288.

(65) الخطاب النفسي في القر آن الكريم 237.

(66) التصوير الفني في القرآن 241 -242.

تَضادَّ هذا التقابلُ دَلاليًّا في قولِه تعالى: (**أَمَّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بيَمينِهِ فسَوفَ يُحاسَبُ حِسابًا يَسِيرًا ويَنقلِبُ إلى أَهلِه مَسرُورًا ، وأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ ورآءَ ظَهرِهِ فسَوفَ يَدعُوا ثُبُورًا ، ويَصلَى سَعيرًا**) [الانشقاق/10-12].

نقرأُ في هذا النصِّ القرآنيِّ الكريمِ تقابُلا دَلاليًّا مُتضادًّا عَقَدتهُ (أَمَّا) التي أَفادتِ الاستئنافَ بتفصيلِ جُملةٍ قد جاء ذِكرُها[67] ، وفيها معنى المُجازاةِ في تركيبَينِ شَرطِيَّينِ مُستقِلَّينِ رَبطَتْ في مَوردِ كلٍّ منهُما (أَمَّا) التفصيليةُ التعليقيةُ[68] جوابَ شرطِها بشَرطِها يُقابِلُه ويُضادُّهُ بما يُفضِي إليهِ من أَبعادٍ نفسيةٍ إيجابيةٍ في التركيبِ الأَولِ منهما ، وسَلبيةٍ في التركيبِ الآخرِ منهما ؛ ((فالصُّورتانِ الأُولتانِ المُتقابِلتانِ في هذا المشهدِ هما صورتا (التَّقِيِّ) ، و(العاصِي) حالَمَا يتَسلَّمُ كلٌّ منهما كتابَه حينَما يُرجَعانِ إلى ربِّهما ... فالتَّقِيُّ السعيدُ يُؤتَى كتابَه بيَمينِه وقد جَعَلَ إيتاءَهُ كتابَه بيَمينِه – كما سبَق وأَن[69] أَشَرتُ – شِعارًا لِمَا هو عليهِ من السعادةِ ؛ ذلك أَنه إذ اشتُهِرَ أَنَّ لليَدِ اليُمنَى تناوُلُ الأَشياءِ الزكِيةِ. وهذا نشأَ عن كَوْنِ البشرِ يَعتبِرون[70] أَنَّ الجَانبَ الأَيمنَ من الجَسَدِ أَقدَرُ وأَبدَرُ للفِعلِ حتى صارُوا يَعتقدُون أَنَّ البركةَ مَنُوطةٌ بالجَانبِ الأَيمنِ ؛ فسَمَّوا السعادةَ والبركةَ (يُمْنًا) ، وسَمَّوا ضِدّها بـ(الشُّؤْمَ). وأَمَّا العاصي الشقِيُّ فإنه سيُؤتَى كتابَه مِن وراءِ ظَهرِه ، وهي صورةٌ – كما نرَى – جديدةٌ ، صورةُ إعطاءِ الكتابِ من وراءِ الظَّهرِ ؛ فالمَألوفُ في تعبيراتِ القرآنِ هو مُقابلةُ اليَمينِ بالشِّمالِ. وليس يَمتنِعُ أَن يكونَ الذي يُعطَى كتابَه بشِمالِه يُعطاهُ كذلك مِن وراءِ ظَهرِهِ ؛ فهِي هَيئةُ الكارِهِ الخَزْيانِ مِن المُواجهةِ))[71] ؛ فالذي يخشَى من المُواجهةِ يَصُدُّ مُتخاذِلا عمَّن يُواجِهُهُ قَهرًا ، ويُعطيهِ ظهرَه هربًا من العقابِ الذي سيتلقَّاهُ حتمًا ممَّا لا قوةَ له على ردِّهِ والتواري والإعراضِ عنه. ولا شكَّ في أَنَّ الحسرةَ النفسيةَ لأَصحابِ (الكتابِ الظَّهرِيِّ) على أَشُدِّها ، والخسرانَ لهم في ذُروتِه وكأَنَّهُم بهذا الخِزيِ والهوانِ والهروبِ بإعطاءِ الظَّهرِ قد يَئِسُوا من الإفلاتِ من سوءِ عاقبتِهم في الآخِرةِ نتيجةَ سوءِ أَعمالِهم في الدنيا. أَمَّا التَّقِيُّ فلا بُدَّ من أَن يكونَ له جَزاءٌ ، وجزاؤُهُ الحِسابُ اليَسيرُ

---

(67) ينظر: المتشابه والمختلف في النحو العربي ، د. محمد حسنين صبرة 71.

(68) الجنى الداني ، الحسن بن قاسم المرادي (ت 749هـ) ، تح: د. فخرالدين قباوة وزميله 522.

(69) الصوابُ: سَبَقَ أَن...

(70) الصوابُ: يَعُدُّونَ.

(71) الإعجاز النفسي في الخطاب القرآني ، قويدر قيطون 431. وهذا الرأيُ للـ(سيد قطب) في كتابِه (في ظلال القرآن 3867:6) وقد أَخذَ الباحثُ (قويدر قيطون) لنفسِه فِكرتَه كاملةً في أُطروحتِه هذه.

بالمواجهةِ الآمنةِ المُطمئنَّةِ التي لا يقوَى عليها إلا أَصحابُ النفوسِ المؤمنةِ، وذوُو التقوَى المتلازمة حتى أَصبحَ النعيمُ قِبالَهُم كريمًا ولا يُظاهرُهم أَو يُجانبُهُم إلا النعيمُ ؛ فهو يُحيطُ بهِم من جهاتِهم كلِّها ، ويَلقَونَه في توجُّهاتِهم كلِّها.

إنَّ لهذا المَشهَدِ القرآنيِّ بهذا التقابلِ المتضادِّ وما يُفصِحُ عنه من دَلالاتٍ نفسيةٍ آمِنَةٍ ، وفَزِعَةٍ بحسبِ مُعطياتِ العملِ الدنيويِّ مشاهدَ مماثلةً صوَّرها قولُه تعالى: **(فأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بيَمينِهِ فيَقُولُ هاؤُمُ اقرَؤُوا كِتابِيَهْ)** [الحاقة/19] ، تعالى: **(وأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بشِمالِهِ فيقُولُ يا لَيتَنِي لَم أُوتَ كِتابِيَهْ)** [الحاقة/25] ، وقولُه تعالى: **(يَومَ نَدعُو كُلَّ أُناسٍ بإمامِهِم فمَن أُوتِيَ كِتابَهُ بيَمينِهِ فأُولئِكَ يَقرَؤُونَ كِتابَهُم ولا يُظلَمُونَ فَتِيلاً ومَن كانَ في هذِهِ أَعمَى فهُوَ في الآخِرةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً)** [الإسراء71–72].

ويرَى (الزَّمَخْشَريُّ) أَنَّ لفظَ (يَسِيرًا) الواردَ في هذا النصِّ القرآنيِّ قد جاء بمعنى ((سَهلا هَيِّنًا لا يُناقَشُ فيه ولا يُعترَضُ بما يَسُوؤُه ، ويَشُقُّ عليه كما يُناقَشُ أَصحابُ الشِّمالِ... [وقولُه]: **(ورَاءَ ظَهرِهِ)** قيل: تُغَلُّ يُمنَاهُ إلى عُنُقِه ، وتُجعَلُ شِمالُهُ وراءَ ظَهرِهِ؛ فيُؤتَى كتابَهُ بشِمالِه مِن وراءِ ظَهرِه. وقيل: تُخلَعُ يَدُهُ اليُسرَى من وراءِ ظَهرِه. (**يَدعُو ثُبُورًا)** يَقولُ: يا ثُبُورَاهُ! والثُّبُورُ الهَلاكُ))[72]. ففي الآيةِ بُعدٌ نفسيٌّ لِمَا تَحمِلُه مِن تحذيرٍ وتبشيرٍ ، وهي كقولِه تعالى:(**اقرَأْ كِتابَكَ كَفَى بنَفسِكَ اليومَ علَيكَ حَسِيبًا)** [الإسراء/14].

إنَّ ((استعمالَ البناءِ التقابُليِّ في الصورةِ القرآنيةِ يَفِيدُ مُضاعفةَ التأثيرِ على المُتلقِّي؛ فإذا ورَدَ في سِياقٍ مُعيَّنٍ ذِكْرُ صورةِ الجَنَّةِ مثلا فإنَّ المُتلقِّي سيتأثَّر بمقدارٍ مُعيَّنٍ ؛ لذلكَ يَنقُلُهُ من حالتِه المُعتادةِ إلى ذلكَ المِقدارِ مِن التأثيرِ غيرَ أَنَّه إذا ورَدَ في السياقِ ذِكْرُ صورةِ الجَنَّةِ بعدَ ذِكْرِ صورةِ النارِ مباشرةً ؛ فإنَّ المُتلقِّي سيكونُ تحتَ تأثيرٍ مُضاعَفٍ مِن الانفعالِ يَنقُلُهُ مِن أَسفلِ درَجاتِ سُلَّمِ التأثيرِ المُتمثِّلةِ بمشاعرِ الخَوفِ والرهبةِ والضِّيقِ إلى قمةِ درَجاتِ ذلكَ السُّلَّمِ المُتمثِّلةِ بمشاعرِ الراحةِ والسعادةِ والهدوءِ ؛ فيَحدُثُ عندَه ما يُشبِهُ الصدمةَ الشديدةَ التي تَهُزُّ كِيانَه بأَجمعِهِ ، وتُوقِظُهُ مِن غفلتِه ليَرسُمَ لنفسِه الطريقَ الصحيحَ الذي يَختارُ))[73].

---

(72) الكشاف 4:566.

(73) بنائية الصورة القرآنية ، د. عمار عبدالأَمير السلامي 217–218.

2-التقابُلُ بينَ الهِدايةِ والضَّلالِ:

ومِن معاقدِ ذِكْرِ هذا التقابلِ القرآنيةِ قولُه تعالى: (**مَن يَّهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ ومَن يُّضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ**) [الأَعراف/178].

في هذا النصِّ القرآنيِّ الكريمِ تقابُلٌ بأُسلوبٍ شَرطيٍّ عُقِدَ بأَداةِ الشرطِ (مَنْ) التي جاءَت ((كِنايةً عنِ العاقلِين ومُتضمِّنةً معنى الشرطِ))[74] مُنتظِمًا صورتَين دَلاليتَينِ متقابلتَينِ متضادَّتَينِ هما (الهِدايةُ) ، و(الضلالُ).

ففي صورةِ الهدايةِ هنا يُفصِحُ النصُّ عن أَنَّ مَن يَّمنحُهُ اللهُ تعالى سُبُلَها وهو مؤمنٌ بها مُقبِلٌ عليها قد طابت نفسُه بها وبمُعطياتِها ؛ فإنه سيَتَّصِفُ بها تكريمًا له ، وجزاءً لإيمانِه وطاعتِه. أَمَّا في صورةِ الضَّلالِ فإنَّ الخُسرانَ هو عاقبةُ مَنِ اختارَه ضياعًا على الهِدايةِ نجاةً ما يَجعَلُ نفسَه حبيسةَ مظالمِها ، ورهينةَ اختيارِها ، وأَسيرةَ انحرافِها ، ورفيقةَ خُسرانِها.

وأَرى أَنَّ التعبيرَ عنِ الهدايةِ في هذا النصِّ الكريمِ جاء بلفظِ المفردِ (**فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِي**) لأَنَّ الآمرَ بالهِدايةِ واحدٌ وهو اللهُ تعالى ، والمُبَلِّغَ بالهِدايةِ واحدٌ وهو النبيُّ محمدٌ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) ، وكتابَ الهِدايةِ واحدٌ هو القرانُ الكريمُ ؛ فمَن وَحَّدَ منهجَه واتخَذَ سبيلَ الرَّشادِ الواحدِ تَحصَّلَ على الهِدايةِ التي لها مَصدرٌ واحدٌ وسبيلٌ واحدٌ ومنهجٌ واحدٌ.

أَمَّا الضلالُ فقد جاء بصيغةِ الجَمعِ في قولِه تعالى: (**فَأُولَٰئِكَ هُمُ الخاسِرُون**) لأَنَّ طُرُقَ الضَّلالِ وطرائقَهُ كثيرةٌ ، وأَصحابَ الضلالِ كثيرون تلاؤُمًا مع الشياطينِ الذين يَغوُون الناسَ ويُضِلُّونَهم ؛ فالمُوبقاتُ كثيرةٌ ، والشهَواتُ كثيرةٌ، وسُبُلُ الشيطانِ كثيرةٌ ما يُفصِحُ عن كثرةِ الخاسرين ؛ فالأَكثرُ هُمُ الذينَ مع الباطلِ ، والأَقلُّ هُمُ الذينَ مع الحقِّ.

وإذا كانتِ الهِدايةُ سبيلَ الفائزينَ لاتِّباعِهِم وطاعتِهم أَمرَ اللهِ تعالى فإنَّ ((الضلالَ هو التِّيهُ [الذي] ... يُقابلُه الهُدى. والضالُّون هُمُ الذين سَلَكُوا غيرَ طريقِ الهُدى ؛ فأَفضَى بهم إلى الهلاكِ الأَبديِّ ، والعذابِ الأَليم))[75].

---

(74) في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي 292.

وبالمَوردِ نفسِه جاء قولُه تعالى: **(اللهُ وَلِيُّ الذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ...)** [البقرة/257] الذي تضمَّنَ تقابلا دَلاليًّا مُتضادًّا بينَ (الظلماتِ) وهي جمعٌ ، و(النورِ) وهو مفردٌ ؛ لأَنَّ للظلمِ مصادرَ لا حصرَ لعددِها ، وللظُلُماتِ جيوشٌ من الآمِرينَ والمنفذينَ. أَمَّا (النورُ) فمَصدَرُهُ ومُصدِرُهُ واحدٌ هو **(اللهُ نُورُ السماواتِ والأَرضِ)** [النور/35].

ونظيرُهُ المورِدُ المتعاقبُ بينَ المفردِ والجمعِ من غيرِ تقابلٍ بينهما قولُه تعالى: **(كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدةً فبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرينَ ومُنذِرِينَ وأَنزَلَ مَعَهُمُ الكتابَ بالحَقِّ ...)** [البقرة/213] ما يَكشِفُ عن تعانُقِ الدَّلالةِ بينَ الجَمعِ والمفردِ ، وجلاءِ أَثرِهما بالأَبعادِ النفسيةِ المتولِّدةِ منهما.

وبهذا التحليلِ الدَّلاليِّ بينَ المفردِ والجَمعِ قالت (د. عزيزة يونس بشير): إنَّ ((المقصودَ: الكتابُ (مُفردٌ) ، والمُحِيِّرُ بأَنَّ الرسُلَ أُنزِلَت معَهم الكتبُ السماويةُ لكنَّه عُبِّرَ عنها بلفظِ الواحدِ؛ فما السرُّ ؟ البيانُ: لاعتبارٍ قرآنيٍّ جليلٍ إنَّ الكتبَ السماويةَ – وإن تعدَّدَت – فهي في لُبَّتِها وجَوهرِها كتابٌ واحدٌ لاشتمالِها على شَرعٍ واحدٍ في أَصلِه كما قال تعالى: شَرَعَ لكُم مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بهِ نُوحًا والذي أَوحَينا إليكَ...[الشورى /13] ... المقصودُ: النورُ (مُفردٌ) ، والظلماتُ (جَمعٌ) لِمَ جُمِعَ (الظلماتُ) وأُفرِدَ (النورُ) ؟ البيانُ: طُرُقُ الضلالِ والكُفرِ كثيرةٌ ومتشَعِّبةٌ ؛ فجُمِعَت بكلمةِ (الظلماتِ) ، وأُفرِدَ (النورُ) لأَنَّ الحقَّ واحدٌ لا يتعدّدُ))[76].

إنَّ ما يأتي لصالحِ الإنسانِ فهو هدايةٌ له ، وإنَّ ما يكونُ ضِدَّه وضِدَّ مصالِحِهِ فإنَّه ضَلالٌ مآلُهُ الخُسرانُ.

ويرى (السيد قطب) في هذا الموضوعِ ((أَنَّ مَشيئَةَ اللهِ سبحانَه التي يَجرِي بها قَدَرَه في الكائنِ الإنسانيِّ هي أَن يُخلَقَ هذا الكائنُ باستعدادٍ مُزدَوجٍ للهُدَى والضَّلالِ ، وذلك معَ إيداعِ فِطرتِه إدراكَ حقيقةِ الرُّبُوبيةِ الواحدةِ ، والاتجاهَ إليها ، ومعَ إعطائِه العقلَ المُميِّزَ للضَّلالِ والهُدَى ، ومعَ إرسالِ الرُّسُلِ بالبيِّناتِ لإيقاظِ الفِطرةِ إذا تَعطَّلَت، وهِدايةِ العقلِ إذا ضَلَّ ، ولكنْ يَبقَى بعدَ ذلك كلِّهِ ذلك الاستعدادُ المُزدوَجُ للهُدَى والضَّلالِ الذي خُلِقَ الإنسانُ بهِ وَفْقَ مَشيئةِ اللهِ التي جرَى بها قَدَرُهُ. كذلك اقتضَت هذه المشيئةُ أَن يَّجرِيَ قَدَرُ اللهِ بهِدايةِ مَن يُجاهِدُ للهُدَى ، وأَن يَّجرِيَ قَدَرُ اللهِ كذلك بإضلالِ

---

(75) البيان في تفسير القرآن ، السيد أَبوالقاسم الخوئي 518.

(76) النحو في ظلال القرآن 27.

مَن لا يَستخدِمُ ما أَودَعَهُ اللهُ مِن عقلٍ، وما أَعطاهُ مِن أَجهزةِ الرؤيةِ والسمعِ في إدراكِ الآياتِ المَبثُوثةِ في صفَحَاتِ الكَونِ ، وفي رسالاتِ الرُّسُلِ المُوحِيةِ بالهُدَى))[77]. ولكُلٍّ مِن هذينِ السَّبِيلَينِ تَبِعاتٌ نفسيةٌ يَختارُ الإنسانُ بها أَن يَّكونَ آمِنًا مُطمئِنًّا ، أَو خائفًا مُهدَّدًا.

وما يُؤيِّدُ ذلك رؤيةُ (د. كريم حسين ناصح) من أَنَّ ((هذه الحريةِ في الفِكرِ مضمُونةً في ضوءِ الشريعةِ. ولا تَعني الفَوضَى واتِّباعَ ما يَضُرُّ النفسَ والآخَرينَ ، بل الحريةُ تهدُفُ إلى وَضعِ مصالحِ المُجتمعِ فوقَ مصالحِ الفردِ ، ولا تُلغَى مصالحُ الفردِ نفسِه ؛ قال تعالى: مَنِ اهتدَى فإنَّما يَهتدِي لنفسِه ومَن ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ عليها ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرَى وما كُنَّا مُعذِّبِينَ حتى نَبعَثَ رَسُولا [الإسراء/15].

ولم يَضَعِ الخِطابُ القرآنيُّ فُروقًا بينَ الناسِ إلا باختلافِهم في التقوَى ؛ فهم سَواسِيةٌ في المجتمعِ لا يتدرَّجُون إلا بمَعاييرِ الإيمانِ والتقوَى والإحسانِ والعَدْلِ والتضحيةِ في سبيلِ الإسلامِ. وفي ضوءِ هذه المَعاييرِ يتنافَسُ المتنافسُون للحصولِ على مَكسبٍ عظيمٍ لا عَلاقةَ له بشَهَواتِ النفسِ مِن مالٍ وجاهٍ ومَنصَبٍ بل هو نَيْلُ رِضا اللهِ ، وتلك أَعلَى غايةٍ يَسعَى من أَجلِها المُسلِمُ ؛ قال تعالى: يا أَيُّها الناسُ إنَّا خلَقناكُم مِن ذَكَرٍ وأَنثَى وجَعلناكُم شُعُوبًا وقبائِلَ لَتَعارَفُوا إنَّ أَكرمَكُم عندَ اللهِ أَتقاكُم إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ [الحُجرات/13]))[78].

وفي المضمونِ نفسِهِ يأتي قولُه تعالى:(**قُلْ يا أَيُّها النَّاسُ قَد جاءَكُمُ الحقُّ مِن رَّبِّكُم فمَنِ اهتدَى فإنَّما يَهتَدِي لِنَفسِهِ ومَن ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ علَيها وما أَنَاْ عليكُم بوَكيلٍ)** [يونس/108] ، وقولُهُ تعالى: (**ومَن يَهْدِ اللهُ فما لهُ مِن مُّضِلٍّ أَليسَ اللهُ بعزيزٍ ذي انتِقامٍ)** [الزمر/37].

3-التقابلُ بينَ الحَسَنَةِ والسَّيِّئَة:

يُطالعُنا هذا التقابلُ في قولِه تعالى: (**فَإِذا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا لنا هذِهِ وإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَّطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ ومَن مَّعَهُ أَلَآ إِنَّما طائِرُهُم عِندَ ٱللهِ ولٰكِنَّ أَكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ**) [الأعراف/131].

انتظَمَ الأُسلوبُ الشرطيُّ الواردُ في هذا النصِّ الكريمِ تركيبَين شَرطِيَّين مُستقلَّي النَّظمِ مُتقابِلَي الدَّلالةِ جاء شَرطُ كلٍّ منهما متقابلا مُتضادًا دَلاليًّا مع نظيرِه في التركيبِ الآخَرِ.

---

(77) في ظلال القرآن 3: 1400.

(78) الخطاب النفسي في القرآن الكريم 47.

وقدِ استُعمِلَت (إذَا) أَداةَ رَبطٍ للتركيبِ الأَولِ بشَرطِهِ (جاءتهُم الحَسَنَةُ) ، وجزائِه (قالُوا لنا هذه)، وهي أَداةٌ ((يَكثُرُ استعمالُها في سياقِ المقطوعِ بوُقوعِه ، أَوِ الكثيرِ وُقوعُه))[79] ؛ فدَلالتُها هذه ، واستعمالُها هنا بيانٌ قاطعٌ على ما تضطَمُّ عليه أَنفُسُ هؤلاءِ القومِ من طمَعٍ في كلِّ خيرٍ يتحصَّلُونَ عليهِ من المغانمِ الماديةِ أَوِ المعنويةِ ، واحتكارِهِم له، وضِيقِ أَخلاقِهِم في منحِهِ سواهُم وإن كان هذا الخيرُ قد رُزِقُوهُ من غيرِ فضلٍ منهم.

ومن دَلالاتِ قولِه تعالى: (**فإذَا جاءَتْهمُ الحَسَنَةُ** ...) من جانبِ الأَثرِ النفسيِّ فإنَّه يُفصِحُ عن توبيخٍ صريحٍ لهؤلاءِ المُتلَوِّنين على مستويَين متباينَينِ لكلٍّ منهُما دَلالتُه الخاصةُ ؛ فمن جهةٍ نجدُ الدَّعَةَ والسعادةَ المتَحَصَّلَةَ لهم من (الحَسَنَةِ) أَنها الحالُ التي هم عليها على الرغمِ من أَنه لم يكن لهم يدٌ في إيقاعِ هذه الحسنةِ بل كان حصولُها من طرفٍ آخرَ بدليلِ قولِه تعالى: (**فإذا جاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ**...) ؛ فالحسَنَةُ هي التي تَجِيئُهُم تكريمًا أَو عطاءً من اللهِ تعالى لهم ؛ لكنَّهم يحتكرونَها بحصرِ الانتفاعِ من خيراتِها بهِم هم وحدَهم بصرفِ النظرِ عن أَنها حسَنَةٌ جاءتهم جزاءً عن عمَلٍ صالحٍ فعلُوه ، أَو أَنها هِبةٌ ابتدائيةٌ من اللهِ تعالى يَختبِرُهم بها ؛ فقد أَعلنُوا شُحَّهُم بفيوضِها عن غيرِهِم بدليلِ قولِه تعالى حكايةً عن حالِهم: (**هذهِ لنا**).

وقد فصَّل (الشيخ محمد الطاهرُ بنُ عاشورٍ/ ت1973م) القولَ في هذا التقابلِ مُبيِّنًا عِلَّةَ استعمالِ لفظٍ في تركيبٍ مُضادٍّ مُقابلَ لفظٍ آخرَ يستدعيه التركيبُ الآخرُ دَلاليًّا بما يستلزِمُه المعنى المقصودُ؛ فقال: ((إنَّما عَبَّر في جانبِ الحسَنةِ بالمَجيءِ ؛ لأَنَّ حصُولَها مرغوبٌ فهي بحيثُ تُتَرَقَّبُ كما يُتَرَقَّبُ الجَائِي. وعَبَّر في جانبِ السيئةِ بالإصابةِ ؛ لأَنَّها تَحصُلُ فجأةً من غيرِ رَغبةٍ ولا تَرَقُّبٍ. وجِيءَ في جانبِ الحسنَةِ بـ(إذَا) الشرطيةِ ؛ لأَنَّ الغالبَ في (إذَا) الدَّلالةُ على اليقين بوقوعِ الشرطِ أَو ما يَقرُبُ من اليقينِ كقولِكَ: (إذَا طلَعَتِ الشمسُ فعَلْتُ كذا) ؛ ولذلكَ غَلَبَ فِعلُ الشرطِ مع (إذَا) فِعلا ماضيًا ؛ لكونِ الماضي أَقربَ إلى اليقينِ في الحصولِ من المستقبل كما في الآيةِ ؛ فالحسَناتُ – أَيِ النِّعَمُ – كثيرةُ الحصولِ تَتتابُعُهُم مُتواليةً مِن صِحَّةٍ ، وخِصْبٍ ، ورَخاءٍ ، ورَفاهِيَةٍ. وجِيءَ في جانبِ السيئةِ بحرف (إنْ) ؛ لأَنَّ الغالبَ أَن تَدُلَّ (إنْ) على التردُّدِ في وُقوعِ الشرطِ أَو على الشكِّ. ولكَونِ الشيءِ النادرِ الحصولِ غيرَ مجزومٍ بوُقوعِهُ ، ومَشكُوكًا فيه جِيءَ في شَرطِ إصابةِ السيِّئةِ بحرفِ (إنْ) لنُدرَةِ وقوعِ السيئاتِ – أَيِ المَكروهاتِ – عليهم بالنسبةِ إلى الحَسَناتِ – أَيِ النِّعَمِ – وفي ذلك تَعريضٌ بأَنَّ نِعَمَ اللهِ كانت مُتكاثرةً لدَيهِم وأَنَّهم كانُوا

(79) في إعراب القرآن ، أ.د. زهير غازي زاهد 136.

مُعرِضِينَ عنِ الشُّكرِ))[80]؛ فهم يَحسَبُونها لهم من دُونِ غيرِهم ، ودُونَما احترامٍ للنبيِّ موسى (عليهِ السلامُ) ولاتباعِهِ المُخلِصِين بأَلا يَّجعَلُوا لهم حَظًّا ولا نَصيبًا بأَن يَّقولُوا: نحنُ استَحقَقنا هذه الحسنةَ بأَفعالِنا ، لا بسبَبِكَ يا موسى ؛ فهُم متشائِمُون منه ومن أَتباعِه المُخلِصينَ. وهذا ما يدورُ في أَنفسِهِم ، وتمسَّكُوا بانتهاجِهِ ما يَكشِفُ عن بيانٍ نفسِيٍّ يُفصِحُ عن غَلَبةِ (الأَنا) على (الآخر) ، وانعدامِ نُكرانِ الذاتِ ، وانعِدامِ التعاونِ على البِرِّ والتقوَى ، واحتِكارِ المَكاسبِ ماديةً كانت أَم معنويةً.

أَمَّا التركيبُ الآخَرُ فقولُه تعالى: (**وإِنْ تُصِبْهُم سَيِّئَةٌ يَّطَّيَّرُوا بموسَى ومَن مَّعَه...**) الذي ربطَت فيه الأَداةُ (إِنْ) رُكنَيهِ بالتعليقِ بينَ الشرطِ (تُصِبْهُم سَيِّئَةٌ) ، وجزائِه (يَطَّيَّرُوا بمُوسَى ومَن معَه). وقدِ استُعمِلَت (إِن) رابطًا فيه لأنها تَرِدُ في ((شرطٍ مفروضٍ وُجودُهُ في المستقبلِ معَ عدمِ قطعِ المتكلِّمِ لا بوقوعِهِ فيه ولا بعدمِ وُقوعِه ؛ وذلك لعدمِ القطعِ في الجَزاءِ لا بالوُجودِ ولا بالعَدمِ))[81] وهذا ما أَفادتهُ (إِنْ) مِن تعليقٍ في النصِّ التقابليِّ هذا.

وثمَّةَ فَهمٌ لـ(الطاهرِ بنِ عاشور) لدَلالةِ التعريفِ والتنكيرِ في جزءٍ من طرفَي هذا التقابلِ بقولِه: ((ولهذينِ الاعتبارَينِ عُرِّفَتِ (الحَسَنةُ) تعريفَ الجِنسِ المعروفِ في عِلمِ المعاني بالعَهدِ الذِّهنيِّ ، أَي جاءَتهم الحسَناتُ لأَنَّ هذا الجِنسَ مألوفٌ كثيرُ الحصولِ لدَيهم. ونُكِّرَت (سَيِّئَةٌ) لنُدرةِ وُقوعِها عليهم ؛ لأَنها شيءٌ غيرُ مألوفٍ حُلُولُهُ بهم))[82].

والأَرجحُ عندي أَنَّ مَجيءَ كلمةِ (الحَسَنَةِ) مُعرَّفةً بـ(ال) قد ناسبَها استعمالُ الشرطِ (إِذَا) دَلالةً على إِمكانِ فِعلِ الحَسَنةِ والقُدرةِ عليها ، وأَنَّ مَجِيءَ (سَيئةٍ) نكِرةً قد ناسَبَ استعمالَ (إِنِ) الشرطيةِ التي تَدُلُّ بدَلالةِ النكِرةِ على الشيُوعِ والإِبهام والكثرةِ فما كان يَصدُرُ مِنهُم من حسَناتٍ – وهو قليلٌ جدًّا – كانُوا يَنسِبُونَه إِلى أَنفسِهم ، وما كان يَصدُرُ منهم مِن سيئاتٍ – وهو كثيرٌ جدًّا – كانُوا يَتبرَّؤُون منه ، ويَعزُونَه إِلى موسى (عليهِ السلامُ) بُغضًا ، وِحقدًا ، وبُهتانًا.

4-التقابُلُ بينَ المُقرَّبينَ وأَصحابِ اليَمينِ ، والضَّالِّينَ:

---

(80) التحرير والتنوير 9:64-65.

(81) شرح الرضي على الكافية ، الاستراباذي ، تح: أ.د. يوسف حسن عمر 2:108-109. وينظر: (إن) و(إذا) الشرطيتان عند النحويين والبلاغيين... ، د. قيس إسماعيل الأوسي 48.

(82) م.ن. 9:65.

هذا تقابلٌ ثنائيٌّ بازدِواجِ أَحَدِ طرفَيهِ مُتضادٌّ انتظَمَهُ قولُه تعالى: (**فأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ ٱلمُقرَّبِينَ، فرَوْحٌ ورَيحَانٌ وجَنَّةُ نَعِيمٍ ، وأَمَّا إِنْ كانَ مِن أَصحابِ اليَمِينِ ، فسلَامٌ لَّكَ مِن أَصحابِ اليَمِينِ ، وأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ المُكذِّبِينَ الضَّالِّينَ ، فنُزُلٌ مِّن حَمِيمٍ وتَصلِيَةُ جحِيمٍ)** [الواقعة/88–94].

يُنيرُ توثيقُ هذه الصورةِ التقابليةِ الثنائيةِ بازدِواجٍ لأَحَدِ طرفَيها هذا الموضعَ من أَنماطِ التقابلِ القرآنيِّ المتضادِّ دَلاليًّا ؛ فهو موردٌ انتظَمَهُ أُسلوبُ الشرطِ بثلاثةِ تراكيبَ مُستقلَّةِ النظمِ مُتَّحدَةِ الموضوعِ عقَدَتْهُ أَداةُ الشرطِ (أَمَّا) التي يرَى (ابنُ هشامٍ/ ت) في توصيفِها النحويِّ الدَّلاليِّ ((أَنَّها حرفُ شرطٍ أَفادتِ التوكيدَ. أَمَّا أَنَّها شَرطٌ فبدليلِ لُزومِ (الفاء) بعدَها))[83]. وذكرَ (السيوطيُّ) أَنَّها تُفيدُ التوكيدَ والتفصيلَ وتُؤَوَّلُ بـ(مَهمَا يَكُنْ مِّن شيءٍ) ، ويتصلُ جوابُها بـ(الفاءِ) الرابطةِ[84]. وهذا التوصيفُ خُلاصةُ ما وثَّقهُ علماءُ اللغةِ والنحوِ لـ(أَمَّا).

إِذًا ؛ مِن إجماعِ العُلماءِ هذا على أَنَّ (أَمَّا) تُفيدُ الشرطَ ، وعلى أَنَّ (إِنْ) هي أُمُّ بابِ الشرطِ يَتبيَّنُ لنا أَنَّ قولَه تعالى: **(فأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ ٱلمُقرَّبِينَ ، فرَوْحٌ ورَيحَانٌ وجَنَّةُ نَعِيمٍ)** وما شابَهَهُ قد ضَمَّ اجتماعًا مُتعاقِبًا لأَداتَي الشرطِ (أَمَّا) ، و(إِنْ) اجتماعًا واضحًا يَستدعِي جوابًا لكلٍ منهما ؛ وهذا الجَوابُ هو قولُه تعالى: **(فرَوْحٌ ورَيحَانٌ وجَنَّةُ نَعِيمٍ)** ، وهو جوابٌ مُوحَّدٌ للأَداتَينِ كِلتَيهِما قدِ استَوفَى شرطَ ضوابطِ الجَزاء التي تستدعِي (فاءَ الجَزاءِ) لُزومًا غالبًا لـ(أَمَّا) من جهةٍ ، ولزومًا شاملا لـ(إِنْ) عندَما لا يستوفي جوابُها شروطَ الشرطِ[85] كأَن يأتي الجَوابُ (جملةً اسميةً) كما في جوابِ هذا الشاهدِ التقابليِّ.

وترى (د. رجاء عجيل الحسناويُّ) أَنَّه ((في اعتراضِ الشرطِ على الشرطِ: قد تأتَلِفُ العَلاقاتُ الدَّلاليةُ لبعضِ (المورفيمات) ؛ فتتقابلُ معَ بعضِها في إعطاءِ القيمةِ الدَّلاليةِ نفسِها في نطاقِ النظامِ إِذ أَورَدَ (أَبو

---

(83) مغني اللبيب 57:1.

(84) يُنظر: همع الهوامع 478:2–480 ، وفي إعراب القرآن 140.

(85) يُنظر: شرح تسهيل الفوائد ، ابن مالك ، تح: د. عبدالرحمن السيد وزميله 74:4 ، وشرح ابن عقيل، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد 37:4–38 ، ومعاني النحو 76–77 و89، والنحو الواضح في قواعد اللغة العربية ، علي الجارم وزميله 191:2–192و196.

بِشْرٍ) أَنَّ (إِنْ) فيها معنى الجَزاءِ ، و(أَمَّا) كذلك فيها ((معنى الجَزاءِ كأَنَّه يقولُ: (عبدُاللهِ مَهمَا يَكُن مِّن أَمرِهِ فمُنطَلِقٌ). أَلا ترَى أَنَّ (الفاءَ) لازمةٌ لها أَبدًا))[86].

وذكَرَ (الزَّرْكَشِيُّ/ت 794هـ) في هذا المضمونِ خُلاصةَ نقلٍ عن (أَبي عليٍّ الفارسيِّ/ ت377هـ) أَنَّه قال ((قدِ اجتمعَ هنا شرطانِ وجوابٌ واحدٌ ؛ فليس يَخلُو: إِمَّا أَنْ يَّكونَ جوابًا لـ(أَمَّا) أَو لـ(إِنْ)، ولا يجوزُ أَنْ يَّكونَ جوابًا لهُما ؛ لأَنَّا لم نَرَ شرطَينِ لهُما جوابٌ واحدٌ ولو كان هذا لجاز شرطٌ واحدٌ له جوابانِ. ولا يَجوزُ أَنْ يَّكونَ جوابًا لـ(إِنْ) دونَ (أَمَّا) ؛ لأَنَّ (أَمَّا) لم تُستعملْ بغيرِ جوابٍ ؛ فجُعِلَ جوابًا لـ(أَمَّا) ؛ فتُجعَلُ (أَمَّا وما بعدَها جوابًا لـ(إِنْ). وتابعَهُ (ابنُ مالكٍ/ ت) في كَونِ الجَوابِ لـ(أَمَّا) وقد سبقهُما إِليهِ إِمامُ الصناعةِ سيبويهِ))[87].

ولي فيما ذكرَه (الزَّركَشِيُّ) نظَرٌ ورَدٌّ ؛ فالجَوابُ **(فَرَوْحٌ ورَيحَانٌ وجَنَّةُ نَعِيمٍ)** جوابٌ لـ(إِنِ) الشرطيةِ اكتُفِيَ به عن جوابِ (أَمَّا) الشرطيةِ التي جاءت تفصيليةً هنا انتظَمَ تفصيلُها جُملا شرطيةً متعاقبةً ؛ فهو جوابٌ لهما معًا. وتَسَعُ العربيةُ أَن يَّأتيَ أَكثرُ من جوابٍ لشرطٍ واحدٍ كقولِه تعالى: **(إِنْ تُقرِضُوا اللهَ قَرضًا حسَنًا يُضاعِفْهُ لكُم ويَغفِرْ لكُم...)** [التغابن/17]؛ فـ(يُضاعِفْ ، ويَغفِرْ) جوابانِ متعاقبانِ بالعطفِ لشرطٍ واحدٍ هو (تُقرِضُوا).

وقد جاء تركيبانِ منها لبيانِ مآلِ المؤمنينَ بخُلودِهِم في الجَنةِ على اختلافِ درجاتِ الأَجرِ والثوابِ لكلٍّ منهُم بحسَبِ عملِه ومنزلِهِ في الدنيا ، وهم جَمعُ (المُقرَّبين) و(أَصحابُ اليَمين وكلاهُما يُقابلانِ معًا بازدِواجٍ متوالٍ تركيبًا واحدًا يُبيِّنُ حالَ الكافرينَ الذينَ اسوَدَّتْ سِيرتُهُم ظُلمًا وفسادًا في الحياةِ الدنيا ؛ فاستحَقُّوا عقابَ الخُلودِ في النارِ في الآخِرةِ وهم (أَصحابُ الشِّمالِ).

قال (د. حسين جمعة): إِنَّ ((الموسيقى الداخليةَ جاءَت على نَمَطيةِ التقابُلِ في أَنساقِ جُملةِ الشرطِ والجَوابِ أَولا ، وثانيًا جاءَت من تقابُلِ النسَقِ البُنيَوِيِّ اللغويِّ لصورةِ المؤمنينَ وفَوزِهِم بجَنةِ النعيم ، وصورةِ الكافرينَ الضَّالِّينَ ودُخولِهم نارَ جهنَّمَ يَصْلَونَها. وفي كلا الصورتَينِ نجدُ أَنَّ الجَرْسَ الموسيقيَّ ظلَّ شديدًا قويًا ومُؤتَلِفًا وإِن ظهَرَ حَجمُ النسقِ التقابُلِيِّ أَقصرَ مِن الأَولِ ، وأَقلَّ حجمًا ... ولو تأملنا النصَّ السابقَ

---

(86) الحجاج والاحتجاج 41. ونصُّ سيبويهِ الذي ذَكَرَتهُ (د. رجاء) واردٌ في: الكتاب ، سيبويه ، تح: عبدالسلام محمد هارون 235:4.

(87) البرهان 369:2.

لَرأينا بِنيَةً وصفيةً سَرديةً للجَنَّةِ والنارِ ، والمؤمنِ والكافرِ ؛ فالنسَقُ السرديُّ الوصفيُّ يدُلُّ على حالةٍ موضوعيةٍ من قِبَلِ السارِدِ وهو رَبُّ العِزةِ ؛ لذا جاء حياءُ الإيقاعِ مُنسجِمًا في شِدَّتِه معَ الحالةِ النفسيةِ لشخصياتِ النصِّ ولِمَن يتلقَّاهُ))[88].

ويَتضِحُ من هذا التقابلِ الجَوُّ النفسيُّ السعيدُ بشارةً في أَنفُسِ المقرَّبين وأَصحابِ اليمينِ معًا ما يَجعلُ انتهاجَ نهجِهِم هدفًا سامِيًا يتنافسُ لتحقيقِه العُقلاءُ الذين يَعملونَ الصالحاتِ ، ويَنتهِجون سيرةَ الصالحينَ.

إنَّ ((ظاهرةَ الأَنساقِ التقابليةِ لنصوصِ القرآنِ تَنهَضُ بمجموعةٍ من القِيَمِ الإيقاعيةِ الصوتيةِ رَفعًا وخَفضًا وشِدَّةً ورَخاوَةً واتِّساعًا وقَصْرًا ؛ لتستقِرَّ عندَ فاصلةٍ نَمطيةٍ أَحيانًا لتُحدِثَ حالةً من الإدهاشِ وهي تَصعَدُ بالمُتلقِّي السامعِ أَوِ القارئِ إلى مَرتبةِ السُّمُوِّ والإجلالِ))[89].

ومِن معاقدِ هذه القِيَمِ الإيقاعيةِ (النَّبْرُ ، والتنغيمُ) المتَحصَّلُ كلٌّ منهما من المقاطعِ الصوتيةِ للألفاظِ بحسَبِ التلاوةِ ، والقراءةِ الصحيحةِ تصويرًا لدَلالةِ هذه الألَفاظِ ؛ فإنَّ للنبْرِ والتنغِيمِ أَثرًا كبيرًا في إثارة المشاعرِ والأَحاسيسِ واستحصالِ الاستجابةِ النفسيةِ المباشرةِ بعدَ أَداءِ كلٍّ منهُما في الكلامِ ولا سيَّما عندَ النطقِ به ، وإلقائِه وتِلاوتِه.

ويرَى (د. كريم حسين ناصح) في هذا النصِّ القرآنيِّ بتقابلِه الثنائيِّ المركَّبِ أَنَّه ((بعدَ هذه الجملِ المؤثِّرةِ التي تَعصِفُ في النفسِ الضعيفةِ الحائرةِ أَمامَ إرادةِ اللهِ يَعُودُ الخِطابُ الحكيمُ إلى رَبطِ الموتِ بما بعدَه ، وهذا سِرُّ شُموليةِ الدعوةِ الإسلاميةِ لأَنها تضعُ المرءَ بينَ حالتَين: **الأُولى**/ يَعيشُ المؤمنُ الذي يتَّقِي اللهَ ويُطبِّقُ شرائعَه في جناتِ الخُلدِ **(فرَوْحٌ ورَيحَانٌ وجَنَّةُ نَعِيمٍ)**. وفي هذا التعبيرِ أَنغامٌ تتابعُ من صِياغةِ حروفِه ... **الأُخرى**/ يَعيشُ فيها المُكذِّبون بالرسالةِ حيثُ يُدَعُّونَ إلى نارِ جهنمَ دَعًّا لِيسكُنُوا في أَسوأِ نُزُلٍ **(فنُزُلٌ مِن حَميمٍ وتَصلِيةُ جَحِيمٍ)))**[90]. وفي هذا المورِدِ بيانٌ يَكشَفُ عن أَثرِ الترغيبِ والترهيبِ في نفسِ المتلقِّي أَوِ السامعِ.

5-التقابلُ بينَ ابيضاضِ الوُجوهِ واسوِدادِها:

---

(88) التقابل الجمالي في النص القرآني 203.

(89) م.ن. 204.

(90) الخطاب النفسي في القرآن الكريم 208.

وهو التقابلُ الذي انتظَمَ في قولِه تعالى:(**يَومَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّت وُجُوهُهُم أَكَفرتُم بَعدَ إِيمانِكُم فذُوقُوا ٱلعذابَ بما كُنتُم تَكفُرُونَ ، وأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّت وُجُوهُهُم ففِي رَحمةِ ٱللهِ هُم فيها خالِدُونَ**)) [آل عمران/106-107].

في الآيتَينِ الكريمتَينِ تقابُلٌ شَرطيٌّ بينَ رُكنَينِ رئيسَينِ هما قولُه تعالى:(**فأَمَّا الذِينَ اسْوَدَّت وُجُوهُهُم**) وهمُ الكافرونَ ، وقولُه تعالى:(**وأَمَّا الذِينَ ابيَضَّت وُجُوهُهُم**) وهمُ المؤمنونَ عَقَدَتهُ أَداةُ الشرطِ (أَمَّا) التي أَفادَتِ ((الاستئنافَ بتفصيلِ جملةٍ قد جَرَى ذِكرُها))[91].

ومِن الحقائقِ أَنَّ لتبدُّلِ لونِ الوجهِ ، ولحركاتِ جوارحِهِ ومَلامِحِه أَثرًا بارزًا ((في التعبيرِ عما في النفوسِ ؛ فإننا نَجدُ لهذا النوعِ حضورًا في آياتِ اللهِ تعالى ؛ فقد نقلت لنا الآياتُ تعبيراتٍ كثيرةً من خلالِ هذه الحركاتِ. كلُّ حركةٍ تؤدي دورَها في التعبيرِ ، ولها مدلولٌ نفسيٌّ يختلفُ عن سابقِها. ومما يَجدُرُ ذكرُه في هذا المَقامِ أَنَّ أَغلبِ هذه الحركاتِ المعبرةِ كانت متركزةً في مِنطقةِ الرأسِ ، وهي فيما يتعلقُ بحركةِ العينِ وما يُحيطُ بها أَكثرُ. وإن دَلَّ ذلك على شيءٍ فإنما يَدُلُّ على دورِ العينِ في التعبيرِ عمَّا في النفوسِ))[92].

وهذا ما يُصدِّقُهُ قولُه تعالى:(**وجاؤُوا أَباهُم عِشاءً يَّبكُونَ**) [يوسف/16] ؛ فقدِ اختارُوا وقتَ العِشاءِ ، وحُلولَ الظلامِ ؛ لأَنَّ مِلامِحَ وُجوهِهِم وهم يَكذِبُون تكونُ خَفِيةً على الناظرِ الذي لا يُمكِنُ أَن يَّرَى احمرارَ وُجوهِهِم ، وتسارُعَ حرَكاتِ عيُونِهِم وشِفاهِهِم بارتِجافٍ واضطِرابٍ واعدامِ تناسُقٍ طبيعيٍّ ؛ فمَلامحُ الوجهِ بيانٌ نفسيٌّ كبيرٌ جدًا تُظهِرُ حقيقةَ الإنسانِ عندَما يكونُ في حالةٍ قلقةٍ ومُخالفةٍ للصوابِ والصدقِ.

ويرَى (د. عبدالعاطي غريب علام) أَنَّ ((البياضَ كِنايةٌ عنِ الفوزِ والسعادةِ ، والسوادَ كِنايةٌ عنِ الخِزْيِ والشقاوةِ))[93] إذ أَسهَمَت هذه الأَلفاظُ برَسمِ اللوحةِ النفسيةِ وتشكيلِها بأَنَّ قُوةَ الهَولِ النفسيِّ الذي يَقبِضُ على النفوسِ تكونُ انعِكاسًا على الوجه[94] إذ استَعمَل الخِطابُ القرآنيُّ قرينةَ الوجْهِ للدَّلالةِ على الرُّعبِ والخوفِ وذلك لِمَا يَطرَأُ عليهِ من اصفِرارٍ أَوِ احمِرارٍ وتَشَبُّعٍ في عضلاتِه؛ فهم كقولِه تعالى: (**فلَمَّا**

---

(91) المتشابه والمختلف في النحو العربي 71.

(92) التعبير القرآني والدَّلالة النفسية 69-70.

(93) دراسات في البلاغة العربية 168.

(94) الإعجاز النفسي في الخطاب القرآني 428.

رَأَوهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وقِيلَ هذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ) [الملك/27] علاوةً على ((أَنَّ اللونَينِ المُتضادَّينِ يُقَوِّي كلٌّ منهُما الآخَرَ عن طريقِ إبرازِ التبايُنِ))[95].

في الآيةِ تصويرٌ باللونِ ، وتصويرٌ بالحركةِ ؛ فالمعاني تُرسَمُ ، وهي تتفاعَلُ في نفوسٍ آدَمِيَّةٍ حَيَّةٍ ((فالتضادُّ أَوِ التقابلُ يتحققُ بينَ الأَلوانِ المُتكاملةِ. ومَبعَثُ الانسجامِ أَنَّ التضادَّ يُؤدِّي إلى التوازنِ))[96].

والأَرجحُ عندي أَنَّ السياقَ قدِ استحضَرَ (ابْيَضَّتْ ، اسْوَدَّتْ) صفةً للوَجهِ على سبيلِ التشبيهِ الواقعِ بينَ وَعْدِ الخيرِ واطمِئنانِ صاحبِه الذي يُناسِبُهُ اللونُ الأَبيضُ بما يَجلِبُهُ من إقبالٍ نفسيٍّ وشعورٍ بالأَمانِ والفوزِ لكُلِّ مَنِ انتهجَ سبيلَ الهُدَى ، ووَعِيدِ العذابِ وإنذارِ العقابِ الذي يُناسبُه اللونُ الأَسودُ بما يَجلِبُهُ مِن نُفورٍ نفسيٍّ وشعورٍ بالخوفِ والخُسرانِ لكُلِّ مَنِ انتهَجَ سبيلَ الضَّلالِ.

يرَى (د. صالح مُلا عزيز) أَنه ((قد يَتعارَضُ اللونُ الأَبيضُ معَ اللونِ الأَسوَدِ على هيئَةِ التضادِّ الثُّنائيِّ. والتضادُّ عُنصرٌ من عناصرِ الجَمالِ في الخِطابِ القرآنيِّ ؛ لأَنَّهُ يُظهِرُ حقائقَ الأَشياءِ في بُعدَيها الإيجابيِّ والسَّلْبيِّ ، ويَترُكُ فاعِليتَه المُتوازِنَةَ في تربيةِ النفسِ الإنسانيةِ حتى لا يَقذِفُ به الخوفُ إلى القُنُوطِ ، ولا يُغرِيهِ الرَّجاءُ بالقُعُودِ. إنَّ بياضَ الوُجوهِ يُشيرُ إلى طُمَأْنينةِ نُفوسِ المُؤمنينَ الصالحينَ ، وما يَترُكُهُ الإيمانُ مِن آثارِ الإشراقِ على وُجُوهِهِم كما أَنَّ سَوادَ الوُجُوهِ يُعبِّرُ عن الفَزَعِ الذي استولَى على قلُوبِ الكافِرينَ ، وما خَلَّفتْهُ ظُلمةُ الكُفْرِ مِن آثارِ الغَمِّ والكآبةِ على وُجوهِهِم ؛ فكلاهُما يُحقِّقُ وَحدةَ المَشهدِ))[97]. وهذا – بحسَبِ حَرِكِيَّتِه – ((مَشهَدٌ حِسِّيٌّ لكنَّه مُنبَعِثٌ عن تأثُّرٍ نفسيٍّ أَلقَى ظِلَّهُ على الوُجوهِ ؛ فابْيَضَّتْ ، وعلى تلك الوُجوهِ ؛ فاسْوَدَّتْ))[98].

ومن مَوارِدِ اللونِ في القرآنِ الكريمِ بما يُفصِحُ عنه كِنايةً قولُه تعالى: **(ويَومَ القِيامةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا علَى اللهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيسَ في جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ)** [الزمر/60] ؛ فالسَّوادُ لَونٌ يَدُلُّ على العُتمةِ

---

(95) التصوير الملون ، عبدالفتاح رياض 415.

(96) اللغة واللون ، د. أَحمد مختار عمر 138.

(97) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني 158. وهذا رأيُ (د. صالح ملا عزيز) في كتابه (جماليات الإشارة النفسية) وقد نسَبَهُ الباحث (قويدر قيطون) في أُطروحته الموسومة بـ(الإعجاز النفسي في الخطاب القرآني) إلى نفسِه 252.

(98) مشاهد القيامة ، سيد قطب 203

والظُّلمةِ وانحِجابِ الرُّؤيا ؛ لذا يُعبَّرُ بهِ عن مواقفِ العُسْرِ والشقاءِ والشِّدَّةِ ، ويُعبَّرُ به ذَمًّا وقَدْحًا بمَن يَّكونُ سُلُوكُهُ شيئًا منحَرِفًا قد خرَجَ من رِحابِ النورِ واليُسرِ إلى مَضايِقِ العُسْرِ والظلامِ ؛ فناسَبَ أَن يُّوصَفَ الكافرونَ باسوِدادِ الوُجوهِ لأَنَّهُمُ اختارُوا الظلامَ في حياتِهِم فغَطَّاهُم بعُقوباتِه بعدَ مماتِه.

ويرَى (د. فاضل السامرائيُّ) في هذا التقابلِ أَنَّ ((الذينَ اسوَدَّتْ وُجُوهُهُم هُمُ المُخاطَبُون فيه. وأَمَّا الذين ابْيَضَّت وُجُوهُهُم فهُم غائِبون ... فأُخبِرَ عنهُم بضميرِ الغَيبَةِ ؛ فقُدِّمَ القولُ في المُخاطَبِين كما فُعِلَ أَولا ؛ فجَرَى الكلامُ على نَسَقٍ واحدٍ في التقديمِ والتأخيرِ))[99] ؛ فللتقديمِ والتأخيرِ في الاستعمالِ اللغويِّ التركيبيِّ الخاصِّ دَلالاتٌ نفسيةٌ مَقصودةٌ مِن المتكلِّمِ وهو يُوجِّه خِطابَه للمُتلقِّي ؛ فيَفهَمُ المُتلقِّي هذه الدَّلالاتِ التي تُحرِّكُ لدَيهِ مشاعرَ يُحلِّلُ بمُوجِبِها المعانيَ المُرادةَ مِن تقديمِ المتكلِّمِ ما حقُّهُ التأخيرُ في الاستعمالِ اللغويِّ التركيبيِّ العامِّ. وهذا ما وَثَّقته كتُبُ النحوِ والبلاغةِ في شأنِ تقديمِ ما حقُّهُ التأخيرُ مِن جهةِ الاهتمامِ بما يُقدِّمُ وما يُبدِيهِ هذا التركيبُ من أَبعادٍ نفسيةٍ تُؤثِّرُ في السامعِ بناءً على مُرادِ المُتكلِّمِ ، ومَقاصِدِ كلامِه[100].

(99) أَسئلة بيانية 38–39.

(100) ينظر: الكتاب 27:1 ، ودلائل الإعجاز 84 ، والإيضاح في علوم البلاغة 52:1 ، واللمع 86.

المبحثُ الثالثُ/ التقابلُ في سياقِ التوكيدِ:

التوكيدُ حُجَّةٌ لُغويةٌ يُقوِّي بها المُتكلمُ ما يَعرِضُهُ من خِطابٍ غايتُه إزالةُ الشكِّ مِن ذِهنِ السامعِ ؛ فهو – إذًا – ذو بُعدٍ نفسيٍّ واضحٍ ؛ لأَنَّ الشكَّ مِن مُتَبَنَّياتِ النفسِ الإنسانيةِ. وإذَا كان حضورُه مطلوبًا ومقبولًا في حوارٍ أَو موقفٍ ؛ فإنَّه غيرُ مقبولٍ إيرادًا في حِواراتٍ ومواقفَ أُخَرَ يكونُ المتكلِّمُ فيها على أَعلى قدْرٍ من ثقتِهِ بقَبولِ السامعِ كلامَه.

إنَّ التوكيدَ مِن مواثيقِ الاطمئنانِ النفسيِّ ودَرْءِ الحَيرةِ والترددِ والتخبطِ والوُقوعِ في الخطأِ والندَمِ ، وهذه فضاءاتٌ اجتماعيةٌ ونفسيةٌ لا تَخلُو منها الحياةُ الإنسانيةُ ، تُعالجُ سَلبياتِها اللغةُ بأَساليبِها البيانيةِ البليغةِ.

والتوكيدُ أُسلوبٌ لُغويٌّ إقناعيٌّ له أَدواتُهُ وطرائقُه وعباراتُه وموارِدُه النمطيةُ ، ومِنها التقابلُ المُتضادُّ ؛ فهو موضوعي في هذه الرسالةِ التي تَختَصُّ ببيانِ الأَبعادِ النفسيةِ المُتجلِّيةِ مِن تقابلِ ضِدَّينِ لُغوِيَّين.

إنَّ التوكيدَ والتأكيدَ بمعنًى واحدٍ ؛ فـ((وَكَّدَ العَقْدَ والعَهدَ أَوثَقَه ، والهمزةُ فيه لُغةٌ ، وبـ(الواوِ) أَفصحُ))[101]. وهو أُسلوبٌ لُغويٌّ عربيٌّ يَستدعِيه الكلامُ والحوارُ والخِطابُ والكتابُ، ((وفائدتُهُ التحقُّقُ ، وإزالةُ التجوُّزِ في الكلامِ))[102].

ويُؤتَى بالتوكيدِ في الجُملةِ توكيدًا للإسنادِ بينَ طرفَيها (المُسنَدِ، والمُسنَدِ إليهِ) إنْ ذُكِرَا أَو لتوكيدِ مضمونِ العِبارةِ إنْ خَلَتْ مِن رابطِ الإسنادِ ؛ ((فالتأكيدُ ضَرْبٌ من التقيُّدِ فمتى نَفَيتَ كلامًا فيه تأكيدٌ ؛ فإنَّ نَفيَكَ ذلك يَتوجَّهُ إلى التأكيدِ خصوصًا ويَقَعُ له))[103].

والتوكيدُ نوعانِ: لفظيٌّ ، ومعنويٌّ. ومِن أَدواتِ التوكيدِ في سِياقِ ما سأَعرضِ له (إنَّ ، أَنَّ، لامُ التوكيدِ ، قد ، ضميرُ الفَصلِ (هو) ، كلُّهم).

فالتوكيدُ – إذًا – قَيدٌ لفظيٌّ دَلاليٌّ يُؤكِّدُ المضمونَ الذي تُساقُ لبيانِه الجملةُ. ((وقد يَتصورُ المخاطَبُ طرَفَيِ الجُملةِ ولكنَّه يترددُ في إسنادِ أَحدِهما إلى الآخَرِ ؛ فيُستَحسَنُ هنا توكيدُها بمؤكِّدٍ واحدٍ ويُسمَّى الخبرُ فيها طَلَبيًّا. وقد يَحكُمُ المخاطَبُ بخِلافِ هذا الإسنادِ وعندَها يجبُ توكيدُ الجُملةِ بأَكثرَ مِن مؤكِّدٍ وحَسْبَ إنكارِ المُخبَرِ أَوِ السامعِ ؛ ويُسمَّى الخبرُ فيها إنكاريًّا))[104].

وتأتي هذه الاستعمالاتُ اللغويةُ للتوكيدِ بناءً على المعنى الذي يَستدعِيه المَقامُ في الخطاب.

ومن فوائدِ التوكيدِ البلاغيةِ أَنه يُفيدُ ((تقريرَ الكلامِ ... [و] إثباتَ الشُّمولِ ...))[105] ، ويَعمَلُ على ((إزالةِ الشكوكِ ، وإماطةِ الشبُهاتِ عمَّا أَنتَ بصدَدِه. وهو دَقيقُ المَأخَذِ ، كثيرُ الفوائدِ))[106].

ومِن هذه الفوائدِ يتوثَّقُ أَنَّ للتوكيدِ أَبعادًا نفسيةً مقصودةً علاوةً على أَبعادِه البلاغيةِ المقصودةِ إذ ((يُقصَدُ بالتوكيدِ تَمكينُ الشيءِ في النفسِ ، وتقويةُ أَمرِهِ))[107].

---

(101) لسان العرب (وكد) 466:3.

(102) أَسرار العربية ، أَبوالبركات الأَنباري ، تح: محمد بهجت البيطار 283.

(103) دلائل الإعجاز 217.

(104) الجُملةُ الخبريةُ في نهجِ البلاغةِ ، د. علي عبدالفتاح محيي 289. وينظَر: الإيضاح في علوم البلاغة 18:1.

(105) بداية البلاغة ، د. السيد إبراهيم الديباجي 98.

(106) الطراز ، العلويّ ، مراجعة: محمّد عبدالسلام شاهين 176:2.

فالتوكيدُ – إذًا – لا يُؤتَى به في الكلامِ إلَّا بقَصدٍ ، وهذا القصدُ مُرتبطٌ بالأَثرِ الذي يُرادُ تفعيلُه لدَى السامعِ الذي لا يَخلو من واحدةٍ من حالاتِه الفِكرية ليكونَ خاليًا من أَيِّ رَدٍّ على الكلامِ الذي يَسمعُه ، أَو أَن يكونَ محتاجًا إلى توثيقِ هذا الكلامِ ، أَو أَن يكونَ مُنكِرًا مضمونَه ؛ فالمتكلِّمُ يُراعِي مَقامَ المُخاطَبِ ، ويَبني كلامَه بما يُناسبُه ؛ لذا تتجلَّى للتوكيدِ أَغراضٌ نفسيةٌ أُخرى منها أَنَّ المُخاطِبَ يُعلِمُ السامعَ بأَنَّه يُلقِي ((كلامَه جازمًا ، قاصدًا لِمَا يَدُلُّ عليه كلامُه ، مُثبَتًا منه ، لا يقولُه عن توهُّمٍ أَو ثرثرةٍ أَو تضليلٍ أَوِ اختراعٍ أَو نحوِ ذلك كما يَفعَلُ صانِعُوا القَصصِ باستعمالِ قُدُراتِهِمُ التَّخيُّليةِ في تأليفِ قَصصِهِمُ المُختَرَعةِ))[108].

ومِن موضوعاتِ هذا التقابلِ المتضادِّ بأَبعادِهِ النفسيةِ الدَّلاليةِ ومواردِها في النصِّ القرآنيِّ ما يأتي:

1–التقابُلُ بينَ الحقِّ والباطلِ:

قال تعالى: (**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحقُّ وأَنَّ ما يَدعُونَ مِن دُونِهِ هو الباطِلُ...**) [الحج/62]، و[لقمان/30].

جاء في هذا النصِّ القرآنيِّ تركيبانِ مُتقابلانِ دَلاليًّا مُتضادَّانِ معنويًا مُؤكَّدًا كلٌّ منهُما بـ(أَنَّ) التي أَفادتِ التوكيدَ[109]. وتأتي (إنَّ ، وأَنَّ) في مواردِ استعمالِهما ((لتوكيدِ النسبةِ بينَ الجُزءَينِ ، ونَفيِ الشكِّ عنها ، ونفيِ الإنكارِ لها بحَسَبِ العِلمِ بالنسبةِ والتردِدِ فيها ، والإنكارِ لها ؛ فإنْ كان المُخاطَبُ عالِمًا بالنسبةِ فهما لمُجرَّدِ توكيدِ النسبةِ ، وإنْ كان مُتردِّدًا فيها فهما لنَفيِ الشكِّ عنها ، وإن كان مُنكِرًا لها فهُما لنَفيِ الإنكارِ لها. فالتوكيدُ لنَفيِ الشكِّ عنها مُستَحسَنٌ ، ولنَفيِ الإنكارِ واجبٌ ولغيرِهما لا))[110].

---

(107) م.ن. وينظر: التعبير القرآني والدَّلالة النفسية 293.

(108) البلاغة العربية 186:1. وينظر: التوكيد في القرآن ، د. عبدالله بن حامد 415.

(109) دلائل الإعجاز 325.

(110) شرح التصريح ، الشيخ خالد الأزهريّ ، تح: محمد باسل عيون السود 294:1. وينظر: المقرب ، ابن عصفور 106:1 ، وشرح قطر الندى ، ابن هشام 148 ومعاني النحو 263:1.

وجاء التركيبُ الأَولُ (**أَنَّ اللهَ هُوَ الحقُّ**) مؤكَّدًا بضميرِ الفصلِ (هو) فيَكونُ بذلك مؤكَّدًا بمؤكِّدَينِ معًا. وقد بان مِن توكيدِهِ بمؤكِّدَين توثيقُ الحقِّ للهِ سبحانَه وتعالى توثيقًا تنتصِرُ به نفوسُ المؤمنين ، وتَطمئِنُّ به قلوبُهم.

قال (الطاهرُ بنُ عاشور) في هذا النصِّ: ((إنَّ اللهَ هو الربُّ الحقُّ الذي إذا أَرادَ فَعَلَ وقَدَّرَ؛ فهو يَنصُرُ أَولياءَه. وإنَّ ما يدعُوه المشركون مِن دونِ اللهِ هو الباطلُ ؛ فلا يستطيعُون نَصرَهم ، ولا أَنفسَهُم يَنصُرُون ... والمعنى أَنَّه الحقُّ في الإلهيةِ ؛ فالقَصرُ في هذه الجملةِ المُستفاد من ضميرِ الفَصلِ قَصْرٌ حقيقيٌّ))[111] أي أَنَّ التوكيدَ بأَكثرَ مِن مُؤكِّدٍ يُنهِي ما يَكونُ ضدَّه ، ويُوهِنُ شأنَه.

أَمَّا ما يُقابِلُه من نَظْمٍ وهو قولُه تعالى: (**وإِنَّ ما تَدْعُونَ مِن دُونِهِ الباطِلُ**) فقد جاء مُؤكَّدًا بمُؤكِّدٍ واحد هو (أَنَّ) المفتوحةُ (الهمزةِ) مِن دونِ ما تَقويَةٍ له بمُؤكِّدٍ آخرَ دَلالةً على الاكتفاءِ بتوكيدِه طَلَبيًّا إزالةً للإنكارِ بأَقلِّ جُهدٍ ومساعدةٍ ؛ فالباطلُ مهما كَثُرَ أَعوانُهُ وانتشَرَت آثارُه فإنَّه يتلاشَى ويَتهاوَى ويَمَّحِي نهائيًّا بوجودِ أَهلِ الحقِّ. وهذا هو البُعدُ الرئيسُ للتوكيدِ بحسَبِ عددِ مؤكِّداتِ التركيبِ الواحدِ المستعمَلَةِ فيهِ المُضي إلى الأَبعادِ النفسيةِ المقصودِ إثارتُها في ضميرِ السامعِ انصياعًا للحقِّ ، وإذعانًا للعَدلِ ، وتركًا للباطلِ والظلمِ ((إذ تُؤكَّدُ الجُملُ الإسميةُ المُجرَّدةُ مِن التوكيدِ بمُؤكِّدٍ واحدٍ حينَ يكونُ المُخاطَبُ شاكًّا في مَدلولِ الخبَرِ طالِبًا التثبُّتَ من صَنِيعِه نحوَ: (إِنَّ الصِّدقَ فَضيلَةٌ) ، ويُؤكَّدُ بأَكثرَ من مُؤكِّدٍ حينَ يكونُ المُخاطَبُ مُنكِرًا))[112] ؛ ولهذا تُؤكَّدُ الجُملةُ لإثباتِ حقيقةِ الخبر.

وفي مَعرِضِ البيانِ المختصِّ بهذا النصِّ القرآنيِّ المتقابَلِ فيه برُكنَينِ رئيسَينِ مُتضادَّينِ قال (د. فاضل السامرائيُّ): ((فأَنتَ تُلاحظُ تشابُهَ الآيتَينِ إلا في وُجودِ ضميرِ الفَصلِ في آيةِ الحَجِّ (**هُوَ الباطِلُ**) ، وخُلُوِّها منه في آيةِ لُقمانَ (**الباطِلُ**). وسِياقُ كلٍّ من الآيتَينِ يُوضِّحُ ذلك ؛ فآيةُ (الحَجِّ) واقعةٌ في سِياقِ الصراعِ مع أَهلِ الباطلِ ومُجاهدتُهُم أَشَقُّ أَنواعِ الجِهادِ. ويَبدأُ الصراعُ بعدَ ذِكْرِ الأُممِ السافلةِ [113] وتكذيبِهِم لرُسُلِهِم ... وهذا من نتائجِ الصراعِ؛ الهِجرةِ من الدِّيارِ والأَرضِ والقتلِ والموتِ ؛ فهنا أَنصارُ الباطلِ ساعُون لإطفاءِ نورِ اللهِ مُعاجِزون مُعانِدون. ولا تَجِدُ مثلَ هذا في (سورةِ لُقمانَ)

---

(111) التحرير والتنوير 17:311-317.

(112) الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، محمود السيد حسن مصطفى 161-162.

(113) الصوابُ: السالفةُ.

وإنَّما هو عَرضٌ لأَصحابِ الباطلِ مِن وَجهٍ آخَرَ ليس فيه هذا الصراعُ .... فأَنتَ ترَى أَنَّ السياقَ مع أَهلِ الباطلِ هنا يَختلِفُ ؛ فهُم في الصورةِ الأُولى ساعُون معاجزُون ومعاندُون مُتمكِّنون في الأَرضِ نتيجةَ هجرةِ المؤمنين أَو قَتلِهِم أَو موتِهِم ؛ فاحتاج الأَمرُ إلى زيادةِ تثبيتِ المؤمنينَ، وعدمِ افتتانِهِم بسُلطةِ أَصحابِ الباطلِ ، وتَمكُّنِهم من رِقابِ الناسِ ؛ فإنَّ للسلطانِ فِتنةً ورَهبةً ؛ فاقتضَى السياقُ توكيدَ أَنَّ ما هُم عليه (هُوَ الباطلُ) ، وأَمَّا الآيةُ الأُخرى ففي سِياقِ الجَدَلِ العقليِّ والمُحاجَّةِ بينَ الفريقَينِ وليس فيها ذِكْرٌ لصولةِ الباطلِ وبَطْشِه ؛ فلم يَقتَضِ السياقُ ما اقتضاهُ في الآيةِ الأُولى من توكيدٍ))[114].

ومِن الأَغراضِ النفسيةِ اللازمِ توافُرُها لأُسلوبِ التوكيدِ ((مُراعاةُ أَحوالِ المُخاطَبِين الذين نَتحدَّثُ إليهِم باستخدامِ أُسلوبِ التوكيدِ... الذي يُبرِزُ تلك المَعانيَ النفسيةَ ؛ فالخبرُ له أَغراضٌ يُلقَى مِن أَجلِها. وعِلمُ المعاني مِن شأنِه أَن يَّدُلَّنا كيفَ يكونُ الكلامُ مُطابِقًا لمُقتضَى الحالِ وهو ما تَتحدَّثُ عنه مُراعاة المقامات ؛ فمَقامُ المُنكِرِ يَختلِفُ عن مَقامِ الشَّاكِّ المُتردِّدِ ، وهذا يَختلِفُ عن خالي الذِّهنِ الذي لا شَكَّ ولا تَرَدُّدَ عندَه ؛ فالمُتكلِّمُ يَنبغِي أَن يُراعِي هذه الأَحوالَ ؛ فما كان مُوجَّهًا إلى خالي الذِّهنِ لا إنكارَ لدَيهِ ولا شَكَّ في نفسِه أَو تَردُّدٍ يُلقِي الخبرَ إليه في العادةِ خاليًا من التأكيدِ ، وما كان مُوجَّهًا إلى مَن كان في نفسِه شَكٌّ أَو تَردُّدٌ حَسُنَ تأكيدُ الخبرِ له لإزالةِ ما في نفسِهِ من الشكِّ))[115].

2-التقابلُ بينَ الأَبرارِ والفُجَّارِ:

وهو التضادُّ الدَّلاليُّ بتركيبَينِ انتظَمَهُما قولُه تعالى: **(كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ)** [المطفِّفين/7] تقابُلا مع قولِه تعالى: **(كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ)** [المُطفِّفين/18].

يَعرِضُ هذا النصُّ القرآنيُّ الكريمُ تقابُلا دَلاليًّا مُتضادًّا قائمًا على تركيبَينِ رئيسَينِ مُؤكَّدًا مَضمونُ كلٍّ منهُما بـ(إنَّ) التي تُفضِي إلى توكيدِ مَضمونِ الجُملةِ [116] وتوثيقِهِ وترسيخِه في ذِهنِ السامعِ بواقعٍ لا يَجعَلُ للرَّيبِ التردُّدَ في مِصداقِ هذا المَضمونِ من أَثَرٍ يُذكَرُ.

---

(114) التعبير القرآني 134-135.

(115) التعبير القرآني والدلالة النفسية 294-295.

(116) ينظر: الكتاب 311:2 ، والأُصول في النحو 266:1.

وقد سُبِقَ هذانِ التركيبانِ – الواردانِ في سِياقِ التقابلِ الدَّلاليِّ المُتضادِّ – بحرفِ الرَّدْعِ والنفيِ الذي يَتضمَّنُ عُمْقًا دَلاليًّا يُفصِحُ عنِ الوُجوبِ والإيجابِ ما يَزيدُ على دَلالةِ التوكيدِ بـ(إنَّ) ترسيخًا وتوثيقًا وتوكيدًا عامًّا ؛ فـ(كَلا) تكتسِبُ دَلالتَها على الإيجابِ بما بعدَها مِن توثيقٍ رَدًّا على ما قبلَها من مضمونٍ مرفوضٍ.

ونجدُ في هذينِ التركيبَينِ المُتقابلَين المتضادَّينِ توكيدًا آخَرَ بحرفِ (اللامِ) الداخلِ على خبرِ (إنَّ) في كلٍّ منهما: (**لَفِي سِجِّينٍ)** ، (**لَفِي عِلِّيِّينَ)** ، وهو اقترانٌ متواشجٌ بينَ حرفَي توكيدٍ يُستعمَلُ ((عندَ المبالغةِ في التوكيدِ وذلك عندَما يكونُ المُخاطَبُ مُنكِرًا أَو مُنَزَّلا هذه المنزلةَ))[117]. ونَجدُ توكيدًا ثالثًا تَكشِفُهُ لنا صِيغةُ المُبالغةِ بالوزنِ الصرفيِّ (فِعِّيْيٌّ) الذي جاء عليهِ مُفرَدُ كلمةِ (عِلِّيِّين) وهو (عِلِّيٌّ) ، وبالوزنِ الصرفيِّ (فِعِّيلٌ) الذي جاءت عليه كلمةُ (سِجِّينٍ) ؛ فهذا التشديدُ في منتَصَفِ الوزنِ بتضعيفِ الحرفِ من دلائلِ المبالغةِ والتوثيقِ والتقويةِ والتوكيد.

وبصَرفِ النظرِ عن الإفاضةِ في دَلالةِ كلٍّ من (عِلِّيِّينَ) ، و(سِجِّينٍ) التي زَخَرَت بها كُتبُ (التفسيرِ ، واللغةِ)[118] ؛ فإنَّ دَلالةَ المُبالغةِ في هاتَينِ الكلمتَينِ واضحةٌ جدًّا ، وهي مُبالغةٌ واردةٌ في سياقٍ توكيديٍّ يُرسِّخُ موضعِ كتابِ المُؤمنينَ (وهُمُ الأَبرارُ) ، وكتابِ الكافرين (وهُمُ الفُجَّارُ) ؛ فـ((جَمعُ البَرِّ أَبرارٌ وهو كثيرًا ما يُخَصُّ بالأَولياءِ ، والزُّهَّادِ، والعُبَّادِ))[119] ؛ فهُمُ ذوُو الأَنفُسِ الآمِنةِ المطمئنَّةِ التي أَقرضتْ بتجارتِها في الدنيا اللهَ تعالى قرضًا حسنًا وجدَتهُ قد ضُوعِفَ له جزاءً أَحسَنَ ؛ فضَحِكَت به مستبشِرةً أَمَّا((الفُجَّار [فـ] جَمْعُ فاجِرٍ وهو المُنْبَعِثُ في المعاصِي والمحارم))[120]. ويَقترِنُ الفاجِرُ بالكافرِ بدليلِ قولِه تعالى: **(أُولئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ)** [عبس /42] ؛ فهُم ذوُو الأَنفُسِ

---

(117) معاني النحو 1:297.

(118) قال (الزمخشريُّ) في(الكشَّافِ): ((سُمِّيَ (سِجِّينًا (فِعِّيلا) من السَّجْنِ وهو الحَبسُ والتضييقُ؛ لأَنَّه سببُ الحَبسِ والتضيقِ في جَهنَّمَ ، أَو لأَنَّه مَطروحٌ – كما رُوِيَ – تحتَ الأَرضِ السابعةِ في مكانٍ وَحْشٍ مُظلمٍ ، وهو مَسكَنُ إبليسَ وذُرِّيتِه استهانةً به وإذالةً ...[أَمَّا] (عِلِّيُّونَ) [فـ]سُمِّيَ بذلك إِمَّا لأَنه سببُ الارتفاعِ إلى أَعالي الدرجاتِ في الجَنَّةِ ، وإِمَّا لأَنه مرفوعٌ في السماءِ السابعةِ حيثُ يَسكُنُ الكُرُوبِيُّونَ تكريمًا له تعظيمًا)). 4:561–562.

(119) لسان العرب (برر) 4:51.

(120) م.ن. (فجر) 5:45.

الخائفةِ المرعوبةِ التي عَصَتِ اللهَ تعالى بلَهْوِها ولَعِبِها في النيا ؛ فوَجدَت مآلَها عذابًا جزاءً لأَعمالِها ؛ فابتأَسَتْ كالحةً مُغبَرَّةً مُرهَقَةً بقَتَرَة.

إنَّ العِلمَ بمآلِ الأَبرارِ السامِي هذا تكريمًا وجزاءً لهم بالأَحسَنِ الأَكمَلِ دافعٌ نفسيٌّ وقَّادٌ للناسِ المؤمنينَ في الدنيا ممَّن لم تَتَلْهُ يدُ الموتِ بعدُ إذ يسعَى الإنسانُ أَن يكونَ مِن الأَبرار أَو معَهم بحقيقةِ قولِه تعالى: (**ربَّنا فاغفِرْ لنا ذُنوبَنا وكَفِّرْ عنَّا سَيئاتِنا وتَوَفَّنا معَ الأَبرارِ**) [آل عمران/193] ، وقولِه سبحانَه: (**إنَّ الأَبرارَ يَشرَبُونَ مِن كأسٍ كانَ مِزاجُها كافُورًا**) [الإنسان/5] ، وقولِه تعالى: (**وما عِندَ اللهِ خَيرٌ للأَبرارِ**) [آل عمران/198].

وتجدُرُ الإشارةُ إلى أَنَّ هذا التقابلَ المتضادَّ بينَ الأَبرارِ والفُجَّارِ لم يَكُنِ المورِدَ الوحيدَ في النصِّ القرآنيِّ ، بل ناظَرَهُ قولُه تعالى:(**إنَّ الأَبرارَ لَفِي نَعيمٍ ، وإنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحيمٍ**) [الإنفطار/13-14].

والخُلاصةُ أَنَّ الحُكمَ الإلهيَّ للأَبرارِ سَمَا بهِم في النَّعيمِ بالخُلودِ الأَبديِّ ، وهو للفُجَّارِ قد غارَ بهم في الجَحيمِ بالخُلودِ الأَبديِّ.

إنَّ التأَثيرَ النفسيَّ نتيجةَ بيانِ هذينِ الحُكمَينِ الإلهيينِ الرئيسَينِ يُنتِجُ جَوَّ الاطمئنانِ التامِّ للأَبرارِ من جهةٍ يُقابلُها جَوُّ الرَّهبةِ والخوفِ للفُجَّارِ من جهةٍ أَخرى؛ فالفوزُ ظَفَرًا أَبَدِيًّا للمؤمنينَ ، والخُسرانُ نتيجةً حتميةً للكافرينَ.

إنَّ ((المُقابلةَ تتكامَلُ معَ أُسلوبِ التصويرِ حيثُ إنَّ غرضَ الصورةِ وما يُقابِلُها أَمرٌ مقصودٌ في التعبيرِ القرآنيِّ لِمَا فيه مِن قُدرةٍ على التأثيرِ والإقناعِ. ولأَنَّ عَرضَ الصورةِ في اتجاهٍ واحدٍ قد لا يكونُ له نفسُ الحَظِّ [121] مِن الكمالِ في التعبيرِ مِثلَما تُعرَضُ الصورةُ وما يُقابِلُها في السياقِ نفسِه. وهذا يُسهِّلُ عمليةَ عَقدِ المُقارنةِ والمُفاضلةِ بينَهما ليأتيَ الحُكمُ النهائيُّ مناسبًا للمعرفةِ التامةِ))[122].

وثمةَ تقابلٌ آخرُ في هذينِ التركيبَينِ المتضادَّينِ – علاوةً على التقابلِ المتضادِّ ، والمؤكِّداتِ – بينَ لفظَي (كلا) الواردَينِ في كلٍّ منهما للرَّدْعِ ؛ فهي مع (الأَبرارِ) حرفُ رَدعٍ وزَجرٍ يَمنَعُ كلَّ مَنزِلٍ

---

(121) الصوابُ: الحظُّ نفسُه.

(122) المقابلة في القرآن الكريم ، بن عيسى باطاهر 234.

أَدنى منِ استِحقاقِهِم بتكريمِهِم في (عِلِّيِّين) ، وهي مع (الفُجَّارِ) حرفُ رَدعٍ وزَجرٍ يَمنَعُ كلَّ مَنزِلٍ لا يستحِقُّونَه خارجَ تعذيبِهِم في (سِجِّين).

3-التقابلُ بينَ العُسرِ واليُسرِ:

قامَ قولُه تعالى: **(فإنَّ معَ العُسرِ يُسرًا ، إنَّ معَ العُسرِ يُسرًا)** [الشرح/5-6] على هذا التقابلِ بتَكرارٍ تركيبيٍّ كاملٍ مؤلَّفٍ من تركيبَينِ رئيسَينِ هما طرفا هذا التقابلِ الدَّلاليِّ بما اضطَمَّ عليهِ كلُّ تركيبٍ وطرَفٍ منهما على لفظَينِ مُتضادَّينِ مُتعاقبَينِ متوالِيَينِ هما (العُسرِ) ، و(يُسرًا) اللذينَ انعقَدَ التقابلُ المتضادُّ بهما تحديدًا.

إنَّ هذا التقابلَ قائمٌ في كلِّ رُكنٍ من رُكنَيهِ على أَداةِ التوكيد (إنّ) التي أَلقَت بدَلالةِ التوكيدِ على مضمونِ جُملتِها الإسميةِ المنسوخةِ بها برُكنَيها الرئيسَينِ الاسمِ (يُسرًا) ، والخبرِ (معَ العُسرِ) تنبيها نفسيًّا للحمايةِ الإلهيةِ التي يُظلِّلُ اللهُ تعالى بها عبادَه بعدَ ابتلائِه إيَّاهُم بعُسرٍ اختبارًا ، أَو عقابًا ، أَو تكفيرَ ذنوبٍ فيأمُرُ بالتيسيرِ لهم وعليهم تزامُنًا تصاحُبيًّا مع العُسرِ الذي ذاقُوا تبعاتِه.

وقدِ ضَمَّ هذا النصُّ ثلاثةَ مُؤكِّداتٍ اثنانِ منها في التركيبِ المنفردِ الواحدِ ؛ فهما مؤكِّدانِ داخليانِ أَولُهُما أَداةُ التوكيدِ (إنَّ) بما أَفادتهُ من قيمةٍ بلاغيةٍ كبيرةٍ بهذه الدَّلالةِ التوكيديةِ الرابطةِ بين المبتدأِ والخبر ، والآخَرُ هو التوكيدُ بالتقديم والتأخير الذي وردَ بتقديمِ (الخبرِ) وهو (معَ العُسرِ) على الاسمِ (يُسرًا) المُقابلِ المُضادِّ له بما يُضفِيه من اطمئنانٍ نفسيٍّ على كلِّ من تُلِمُّ به شِدةٌ أَو عُسرٌ بأَن يُبقِيَ بابَ التفريجِ على نفسِه مفتوحًا على مصراعَيهِ إيمانًا منه بأَنَّ اللهَ تعالى هو المُدافعِ عنِ عبادِه المؤمنين بحقيقةِ قولِه: **(إنَّ اللهَ يُدافِعُ عنِ الذينِ آمَنُوا)** [الحج/38] ، وأَنَّه ما سَلَّطَ على عبادِهِ من (عُسرٍ) إلا وكان (اليُسرُ) منه حاضرًا معَه أَو لاحقًا مُزيلا له بحقيقةِ قولِه تعالى: **(يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسرَ ولا يُرِيدُ بِكُمُ العُسرَ)** [البقرة/185] ، وقولِه تعالى: **(سيَجعَلُ اللهُ بعدَ عُسرٍ يُسرًا)** [الطلاق/7].

أَمَّا التوكيدُ الثالثُ فهو خارجيٌّ (خارجَ النصِّ الواحدِ) وهو توكيدٌ لفظيٌّ بإعادةِ الجُملةِ كاملةً تكرارًا لَفظيًّا هو التركيبُ الآخَرُ (**إِنَّ مَعَ العُسرِ يُسرًا**) المؤكِّدُ للتركيبِ الأَولِ المماثلِ تمامًا (**إِنَّ مَعَ العُسرِ يُسرًا**) بدَلالةٍ عميقةٍ تُضاعِفُ هذا الغِطاءَ النفسيَّ الآمِنَ المُؤَمِّنَ الذي يُظَلِّلُ اللهُ به عبادَه المؤمنينَ كيلا تُضعِفَهُمُ الظروفُ القاهرةُ ، والمصائبُ الدائرةُ التي تُلِمُّ بهم.

وفي هذا المورِدِ قال (د. فاضل السامرائيُّ): ((إذ لا يُريدُ اللهُ سبحانَه مِن التَّكريرِ رَفْعَ غَفلةِ السامعِ ، ولا دَفعَ ظَنِّ الغَلَطِ عن نفسِه – تعالى اللهُ عن ذلك – وإنما هو لتَقويةِ الحُكمِ، وتَمكِينِه في نُفوسِ المؤمنينَ وتَطمِينِهم به))[123].

وفي ظل هذا البيانِ القرآنيِّ ذهَبَ (الطاهرُ بنُ عاشورٍ) إلى أَنَّ ((سِياقَ الكلامِ وعدٌ للنبيِّ محمدٍ (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم) بأَن يُيَسِّرَ اللهُ له المَصاعبَ كلَّما عَرَضَت له ؛ فاليُسرُ لا يَتخلِفُ عنِ اللحاقِ بتلكَ المصاعبِ. وذلك مِن خصائصِ كلمةِ (مَعَ) الدَّالةِ على المُصاحبةِ ... وفي الآية عُسْرٌ خاصٌّ طارئٌ يَّعرِضُ للنبيِّ محمد (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم)... فالتعريفُ في العُسرِ تَعريفُ العَهدِ ، أَي العُسرُ الذي عَهِدَتَه وعَلِمتَه. وهو من قَبيلِ ما يُسمِّيهِ نحاةُ الكوفةِ بأَنَّ (أَل) فيه عِوَضٌ عنِ المُضافِ إليه ... فتكونُ السورةُ كلُّها مقصورةً على بيانِ كرامةِ النبيِّ (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم) عندَ ربِّه تعالى ... وجاء الحرفُ (إِنَّ) للاهتمامِ بالخبرِ ... وتنكيرُ (يُسرًا) للتعظيمِ أَي معَ العُسرِ الطارئِ عليكَ تَيسيرٌعظيمٌ يَغلِبُ العُسرَ... وجُملةُ (**إِنَّ مَعَ العُسرِ يُسرًا**) مُؤكِّدةٌ لجُملةِ (**فإِنَّ مَعَ العُسرِ يُسرًا**). وفائدةُ هذا التأكيدِ تحقيقُ اطِّرادِ هذا الوَعدِ ، وتَعميمُه لأَنه خبرٌ عجيبٌ))[124].

إِنَّ تكرارَ (يُسرًا) نكرةً يَدُلُّ على تعدُّدِ هذا (اليُسرِ) ، وعدمُ مَحدوديتِه مُقابلَ تحديدِ (العُسرِ) بمجيئِه مُعرَّفًا بـ(أَل) وكأَنَّما هو حَدَثٌ معروفٌ مُتوقَّعٌ.

ويرَى (الإمامُ أَحمدُ بنُ الزُّبير الغِرناطيُّ/ ت 708هـ) في قولِه تعالى:(**فإِنَّ مَعَ العُسرِ يُسرًا**) أَنَّ مضمونَه بحسبِ تركيبِه المنفردِ والمزدوَجِ هذا يَكشِفُ عن إرادةٍ إلهيةٍ رحيمةٍ من أَنَّ اللهَ تعالى ((بشَّر عبادَه بأَنَّ العُسرَ يَتبعُهُ اليُسرُ ، وتأكَّد ذلك بـ(إِنَّ) المؤكِّدةِ للخبرِ، وزِيدَ تأكيدًا بالتَّكريرِ وتوسيعِ التأنيسِ بالإشعارِ الحاصلِ من تنكيرِ اليُسرِ وتعريفِ العُسرِ؛ فإِنَّ العربَ إذا أَعادَتِ الاسمَ بأَداةِ

---

(123) معاني النحو 4:531.

(124) التحرير والتنوير 30:413-415.

العَهد وهي (الأَلِفُ واللامُ) كان المذكورُ ثانيًا هو المَذكورُ أَولا ، وسواءٌ كان المذكورُ أَولا نكرةً أَو معرفةً ؛ نقولُ: (لَقِيتُ رجُلا فأَكرَمْتُ الرجُلَ) إنما تُريدُ (الرَّجُلَ) الذي لَقِيتَه. فإن قُلتَ: (لَقِيتُ رجُلا فأَكرَمْتُ رجُلا) كان الثاني غيرَ الأَولِ. هكذا كلامُهُم. وقد وقع (اليُسرُ) في الآيةِ مُنَكَّرًا في المَوضِعَينِ فأَشعَرَ بالتوسِعة ؛ ولهذا قيلَ: لن يَّغلِبَ عُسرٌ يُسرَينِ ؛ فتحصَّل من التَّكريرِ ، وتنكيرِ ما نُكِّرَ توسِعةُ طرَفِ الرجاءِ والتأنيسِ ، وذلك المناسبُ لِمَا بُنِيَت عليهِ السورةُ. واللهُ أَعلمُ))[125].

وبهذا التأمينِ الإلهيِّ تتحققُ رسالةُ الرحمةِ للبشَرِ بفوزٍ واضحٍ للمؤمنينَ تستبشرُ به النفسُ ، ويَصلُحُ به البالُ ، وتَطيبُ به الحالُ مُقابلَ انحِباسِ النَّفْسِ بالعُسرِ الذي يُلقِي ظِلالَه المُخيفةَ علَى الإنسان.

ووثَّقَ (د. كريم حسين ناصح) أَنَّ المؤكِّداتِ التي تَرِدُ في الجُملةِ الإسميةِ في النصِّ القرآنيِّ تُضفِي على مضمونِه دَلالةَ الثبوتِ والتوثيقِ والترسيخِ بالتوكيدِ زيادةً على دَلالةِ الجُملةِ الإسمية على الثبوتِ أَصلا ما يُرسِّخُ الدَّلالاتِ النفسيةَ لدى المُتلقِّي توثيقاً وتركيزًا وتثبيتًا بما يَمنحُهُ الطُّمأنينةَ والأَمانَ باليُسرِ القريبِ جدًّا الذي يُزيلُ كلَّ عُسْرٍ ويَمحُوهُ [126]. وبهذا تُحققُ الجُملةُ الإسميةُ دَلالتَها اللغويةَ والنفسيةَ في نفسِ السامعِ أَو المُتلقِّي بثبوتِها وتوكيدِها.

4-التقابلُ بينَ تَزكيةِ النفسِ ودَسِّها:

ورد هذا التقابلُ في قولِه تعالى: **(قَدْ أَفلَحَ مَن زَكَّاها ، وقَدْ خَابَ مَن دَسَّاها)** [الشمس/9-10].

انتظَمَ في هذا النصِّ الكريمِ تقابلٌ دَلاليٌّ متضادٌّ بتركيبَينِ فِعليَّينِ تَصدَّرَت كلا منهُما أَداةُ التوكيدِ (قد) التي أَفادَتِ التحقيقَ[127]. وقد عَقَدَتِ (واوُ) العطفِ أَوِ الاستئنافِ - بحَسَبِ سِياقِ النصِّ دَلاليًّا - هذا التقابلَ الدَّلاليَّ المُتضادَّ بينَ التركيبَينِ **(قَد أَفلَحَ مَنْ زَكَّاها)** ، و**(وقَد خَابَ مَنْ**

(125) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل ، تح: سعيد الفلاح 1147:1.
(126) ينظر: الخطاب النفسي في القرآن الكريم 168.
(127) مغني اللبيب 190. وينظر: همع الهوامع 73:2.

دَسَّاهَا) علاوةً على البيانِ الواضحِ للوَزنِ الصرفيِّ ودَلالتِه في هذا التقابلِ في الفِعلَينِ (زَكَّى) بوَزنِ (فَعَّلَ) الذي يُرادُ به التدرُّجُ في وُقوعِ الفِعلِ[128] ، ومُضيُّ مَراحلِ تحقيقِه ومدَياتِ تتابُعِها.

ويرَى (سيد قطب) في هذا الشأنِ أَنَّ ((هناكَ إلى جانبِ هذه الاستعداداتِ الفِطريةِ الكامنةِ قوةً واعيةً مُدركةً مُوجِّهةً في ذات الإنسانِ هي التي تُناطُ بها التبعَةُ ؛ فمنِ استخدامِ هذه القوةِ في تَزكيةِ نفسِه وتَطهيرِها وتَنميةِ استعدادِ الخيرِ فيها وتغليبِه على استعدادِ الشرِّ ؛ فقد أَفلَحَ. ومَن أَظلَمَ هذه القوةَ وخبَّأَها وأَضعَفَها ؛ فقد خابَ: **(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها)))**[129].

إنَّ تزكيةَ النفسِ تتحصَّلُ بعدَ تجارِبَ من المواقفِ والاختباراتِ والابتلاءاتِ التي يُحقِّقُ فيها الإنسانُ المؤمنُ طهارةً نفسيةً له تَحميهِ مِن الوُقوعِ في المَحذورِ والخطأِ.

إنَّ الفِعلَ (دَسَّ) بوَزنِ (فَعَّ) فِعلٌ ثُلاثيٌّ مُدغَمةٌ (لامُهُ) معَ (عينِه) إدغامًا يُرادُ به التشديدُ على الدَّلالةِ المُفضِيةِ إلى معناه ؛ فالدَّسُّ ضَمٌّ وإخفاءٌ وتَعميةٌ وعَدمُ إظهارٍ ومنعُ كَشفٍ ؛ فهو – إذًا – فِعلٌ يُناسِبُ صاحبَ النفسِ البَخيلةِ والشحيحةِ الذي يَحرُصُ على أَموالِه بأَنواعِها كافةً التي فيها حقٌّ شرعيٌّ عليهِ لغيرِه من المحتاجين ؛ فهو يَضُمُّ ما يمتلِكُ ويُخفيهِ ويَدُسُّهُ.

ويرى (د. أَحمد نصيف الجنابيُّ) في هذا الموطنِ التقابليِّ ((أَنَّ في النفسِ الإنسانيةِ خُطوطًا متقابلةً فيها نوازِعُ الخيرِ ، وفيها نوازِعُ الشرِّ ، وقد فاز من رَبَّى جانبَ الخيرِ ورعاهُ ، وكَبَحَ جانبَ الشرِّ ودحَرَه ؛ قال تعالى: (**قَد أَفلَحَ ...**) وفي ذلك قال النبيُّ محمدٌ (ص): (كُلُّ مَولودٍ يُولَدُ على الفِطرةِ)[130] وفيها ميلٌ إلى الانقلابِ مِن ضوابطِ الإيمانِ ؛ ولهذا فَتَحَ الربُّ الكريمُ بابَ الرحمةِ ليتوبَ مُسيءُ الليلِ ومُسيءُ النهارِ ؛ لأَنه خالقُ الإنسانِ ويَعلمُ سِرَّه ونجواهُ ، ويَعلمُ حقيقتَه ، قال تعالى: (**فَمَن شاءَ فَلْيُؤمِنْ ومَن شاءَ فَلْيَكفُرْ**) [الكهف/29] ، وما ذلك إلا لوُجودِ الاستعدادِ عندَ

---

(128) يُنظر: الميزان 104:5.

(129) في ظلال القرآن 3917 – 3918.

(130) ينظر: مسند الإمام أَحمد ، تح: محمد عبدالقادر عطا 425:14 ، وصحيح البخاري ، تح: د. مصطفى ديب البغا 321:5 ، والسنن الكبرى ، البيهقي 74:2 ، وأَمالي المرتضى ، تح: محمد أَبوالفضل إبراهيم 64:1 ، وميزان الحكمة ، الرَّيشَهري 64:3.

الإنسانِ لسلوكِ إحدى السبيلَين))[131] ؛ لذا تلاءَمَ فِعلُ الفلاحِ المؤكَّدُ بـ(قد) معَ فِعلِ التزكيةِ وهو ما عليه المؤمنُ الصالحُ ، وتلاءَمَ فِعلُ الخَيبةِ المُؤكَّدِ بـ(قد) معَ فِعلِ الدَّسِّ الذي عليه الكافرُ الحريصُ على الدنيا وحطامها.

قال (د. عزَّالدين إسماعيل/ ت 2007م) في قولِه تعالى:(**قَد أَفلَحَ مَن زكَّاها**): ((قد أَفلحَ من زَكَّى اللهُ نفسَه فكَثُر تطهيرُها مِن الكُفرِ والمعاصي ، وأَصلحَها بالصالحاتِ من الأَعمالِ... وقولِه تعالى:(**قَد خابَ مَن دَسَّاها**) وقد خابَ في طِلْبَتِهِ فلم يُدرِكْ ما طَلَبَ والتَمَسَ لنفسِه من الصلاحِ مَن دَسَّاها ، يعني مَن دَسَّسَ اللهُ نفسَهُ فأَحمَلَها ، ووَضَعَ منها بخُذلانِه إياها عنِ الهُدَى حتى رَكِبَ المعاصيَ ، وتَرَكَ طاعةَ اللهِ))[132].

إنَّ لفِعلِي التزكيةِ والدَّسِّ آثارَهُما النفسيةَ سواءٌ أَكانت إيجابيةً ، أَم سَلبيةً. وفي هذا الجانبِ قال (السيدُ محمدتقي المُدَرِّسيُّ): إنَّ ((القلبَ مصدرُ الاستِلهامِ ، وهو مُستودَعُ الخيرِ. ولكُلِّ قلبٍ أُذُنانِ – كما جاءَ ذلك في حديثٍ شريفٍ[133] – يَنفُثُ الشيطانُ مِن إحداهُما سُمومَه ووساوِسَه ، وفي الأُذُنِ الأُخرى تَبُثُّ الملائكةُ الهُدَى ، والبصائرَ الحقَّةَ. والإنسانُ مُخَيَّرٌ بينَ الاستِماعِ بأَيِّهما شاءَ ... فهو بإمكانِه الاستِماعُ بأُذُنِهِ اليُمنَى حيثُ تَهدِيهِ الملائكةُ إلى الحقِّ ، كما أَن بإمكانِه الاستِماعُ باليُسرَى حيثُ تَخدَعُهُ الشياطينُ ، وتَقودُه إلى الضلالةِ))[134].

5-التقابلُ بينَ المؤمنين ، والكافرين:

ورد هذا التقابلُ بينَ قولِه تعالى: **(قَد أَفلَحَ المُؤمِنُونَ)** [المؤمنون/1] ، وقولِه تعالى: **(... إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)** [المؤمنون/117].

يَظهَرُ هذا التقابلُ المتضادُّ دَلاليًّا بينَ هذين التركيبَينِ في السورةِ الواحدةِ وإن تباعَدَ موضِعاهُما بين أَولِ (سورةِ المؤمنونِ) في قولِه تعالى:(**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**) وآخرِها في قولِه تعالى:(**إِنَّهُ لا يُفلِحُ**

---

(131) ظاهرة التقابل في علم الدلالة 18.

(132) نصوص قرآنية في النفس الإنسانية 53-54.

(133) قال الإمامُ الصادقُ (عليهِ السلامُ): ((إنَّ للقلبِ أُذُنَينِ ؛ فإذا هَمَّ العبدُ بذَنبٍ قال له رُوحُ الإيمانِ: لا تَفعَلْ. وقال له الشيطانُ: افعَلْ)). أُصول الكافي ، الشيخ الكُليني 2:267.

(134) في رحاب الإيمان 207.

الكافِرُونَ) ، **وهو** تقابلٌ دَلاليٌّ قائمٌ على تركيبَينِ فِعلِيَّينِ قد تضمَّنَ كلٌّ منهما توكيدًا يُوثقُ مضمونَه بالتوكيدِ الإيجابيِّ معَ (المؤمنين) ، وبالتوكيدِ السِّلبيِّ مع (الكافرين) بحقيقةِ التَضادِّ الدَّلاليِّ الثابتِ بينَ طرفَيِ التركيبَينِ(المؤمنُون) ، و(الكافرُون).

وقد تصدَّرت أَداةُ التوكيدِ (قد) التركيبَ الأَولَ لتُؤكِّدَ بالإيجابِ مضمونَ الجُملةِ الفِعليةِ (أَفلَحَ المُؤمنُون) ذات الفِعلِ اللازمِ الذي إن ذُكِرَ فإنَّه يُرادُ به وصفُ فاعلِه به وأَنَّ الفاعلَ قد تلبَّسَ بصِفةِ الفعلِ ، أَي أَنَّ (المؤمنُون) قد تلبَّسُوا بـ(الفلاحِ) الذي تحصَّلَ من مجموعِ اتِّصافِهِم بـ(خُشوعِهم في صلاتِهِم ، وإعراضِهِم عنِ اللغوِ ، وفِعْلِهِم للزكاةِ، وحِفظِهِم لفُروجِهِم ، ورِعايتِهِم لأَماناتِهِم وعهدِهِم ، ومُحافظتِهِم على صلواتِهِم[135] ، صار صِفةً مُلازمةً لهم من تحصيلِ مجموعِ هذه الصفاتِ بكراماتِها الإلهيةِ ، ونفَحاتِها النفسيةِ، وفيوضِها الإيمانيةِ التي لا محالةَ من تكريمِ المتَّصفِينَ بها بالفلاحِ العامِّ[136].الذي هو بيانُ وَصفِ المؤمنينَ جُزءًا من ثباتِهِم على سبيلِ الحقِّ ، وتَمسُّكِهِم بعُروتِه الوُثقى.

وهذا ما أَكَّده حرفُ التحقيقِ (قد)[137] بما هو مَنارٌ إيجابيٌّ لأَبعادٍ نفسيةٍ سامِيَةٍ يَستلهِمُ منها المؤمنون كافةً ثِقتَهُم بأَنَّهم على خيرٍ وفيرٍ ، وأَنَّ جزاءَهُم جزاءٌ كبيرٌ.

وتجدُرُ الإشارةُ إلى أَنَّ هذا التوكيدَ بالفلاحِ للمؤمنينَ قدِ أَلقى بظِلالِ النعمةِ الإلهيةِ الكُبرى على المؤمنينَ كافةً بلا انحيازٍ لهم في زمانٍ أَو مكانٍ محدَّدَينِ بموجِبِ توثيقِ التأكيدِ بـ(قد ، والفعل الماضي) بيانًا لهذا الفلاحِ وكأَنه قد وقعَ وتحلَّى به المؤمنُونَ ، ونالوا مواهبَه وفيوضَه على سبيلِ القطعِ واليقينِ وإن كان ما وُعِدُوا به سيكونُ مُستقبَلا.

أَمَّا التركيبُ الآخرُ – وهو تركيبٌ اسميٌّ تضمَّن تركيبًا فعليًّا – فإنَّه قد صُدِّر بأَداة التوكيدِ (إنَّ)[138] التي جاء اسمُها ضميرَ شأنٍ هو (الهاءُ) ، وخبرُها هو الجُملةُ الفِعليةُ المنفيةُ (لا يُفلِحُ

---

(135) بحقيقةِ قولِه تعالى: **(قَد أَفلَحَ المؤمنُونَ ، الذينَ هُم في صَلاتِهِم خاشِعُونَ ، والذين هُم عنِ اللغْوِ مُعرِضُونَ ، والذين هُم للزَّكاةِ فاعِلُونَ ، والذين هُم لِفُرُوجِهِم حافِظُونَ ، إِلَّا على أَزواجِهِم أَو ما مَلَكَت أَيمانُهُم فإِنَّهُم غيرُ مَلُومِينَ ، فمَنِ ابتغَى وراءَ ذلك فأُولئِكَ هُمُ العادُونَ ، والذينَ هُم لأَماناتِهِم وعهدِهِم راعُونَ ، والذينَ هُم على صلواتِهِم يُحافِظُونَ)** [المؤمنون/1–9].

(136) يُنظر: علم المعاني ، د. عبدالعزيز عتيق 45– 46.

(137) ينظر: شرح التصريح 249:2 ، والشامل ، محمد سعيد إسبر وزميله 651.

الكافِرُون). وقد تلبَّس (الكافرُون) بموجِبِ وظيفةِ الفِعلِ اللازمِ (يُفلِحُ) دَلاليًّا بصفةِ (انتِفاءِ الفلاحِ عنهُم) انتِفاءً مؤكَّدًا نتيجةَ إشراكِهِم بادِّعائِهِم إلهًا آخَرَ معِ اللهِ سبحانَه بلا برهانٍ يَمتلِكونَه[139].

إنَّ القراءةَ النفسيةَ التي يَهدِي بها هذا النصُّ الكريمُ المقابلُ الناسَ تقومُ على تنبيهِهم من فتنةِ الإشراكِ باللهِ تعالى مِن غيرِ دليلٍ لديهِم يحتجُّونَ به ، وأَنَّ مَصيرَهمُ انعدامُ الفلاحِ، والانغماسُ في مآبِ الخُسرانِ المُبينِ فهو شرُّ مآبٍ يومَ الحسابِ.

ومِن هذا التقابلِ المُتحصَّلِ بينَ نصَّينِ متضادَّينِ أَولُهما من أَولِ السورةِ ، والآخَرُ من آخرِها ((أَدرَكَ (الزَّركَشِيُّ) القيمةَ الجَماليةَ المُتميزةَ ، والأَهميةَ العظيمةَ لفواتحِ السُّورِ وخواتِمِها من جهةِ الوظيفةِ النفسيةِ في المُتلقِّي مِن دُونِ أَن يُبَيِّنَ قيمتَها الجَماليةَ في ماهِيَّةِ تَضادِّ التقابلِ))[140] ؛ لذا كشفَ (الزَّركشِيُّ) عن العَلاقةِ بينَ خواتِمِ السورِ وفواتحِها بأَنَّ الخواتِمَ ((مِثلُ الفواتِحِ في الحُسْنِ ؛ لأَنَّه آخِرُ ما يَقرَعُ الأَسماعَ؛ فلهذا جاءَت مُتضمِّنَةً للمعاني البديعيةِ معَ إيذانِ السامعِ بانتهاءِ الكلامِ حتى يرتفِعَ معَه تَشَوُّفُ النفسِ إلى ما يُذكَرُ بعدُ))[141].

وقد تعاقبَ في هذا التركيبِ معنيانِ رئيسانِ أَوَّلُهما ثباتُ خُسرانِ الكافرينَ نتيجةَ عدَمِ فلاحِهِم بدَلالةِ التركيبِ الاسميِّ المؤلفِ مِن (إنَّ ، وإسمِها ، وخبرِها) بتوكيدِ مضمونِه ، والآخرُ انعدامُ التجدُّدِ والاستمرارِ الذي أَفاده نفيُ مضمونِ الفعلِ المضارعِ (يُفلِحُ) بـ(لا) النافيةِ.

وقد ذَهَبَ (عبدُالقاهر الجُرجانيُّ) لتوضيحِ الدَّلالةِ القرآنيةِ في قولِه تعالى: (**إِنَّـه لا يُفلِـحُ الكافِرُون**) إلى أَنه ((يُفيدُ من القُوةِ في نَفيِ الفلاحِ عنِ الكافرِينَ ما لو قيل: إنَّ الكافرينَ لا يُفلِحُونَ لم يُفِدْ ذلك ، ولم يَكُن ذلك كذلك إلا لأَنكَ تُعلِمُه إيَّاه مِن بعدِ تَقدِمَةٍ وتَنَبُّهٍ أَنتَ به في حُكمِ مَن بَدَأَ وأَعادَ ووَطَّدَ ثم بَيَّنَ ولَوَّح ثم صَرَّحَ))[142].

---

(138) ينظر: الكتاب 311:2. وينظر: الأُصول في النحو ، السراج ، تح: د. عبدالحسين الفتلي 266:1.

(139) بحقيقةِ قولِه تعالى: (**ومَن يَدْعُ معَ اللهِ إلهًا آخَرَ لا بُرهانَ له بهِ فإنَّما حِسابُهُ عندَ ربِّـهِ إنَّـهُ لا يُفلِـحُ الكافرُون**) [المؤمنون/117].

(140) التقابل الجمالي في النص القرآني 174. وينظر: البرهان في علوم القرآن 233:1-236.

(141) البرهان في علوم القرآن 270:1.

(142) دلائل الإعجاز 102.

لقد شَمِلَ انعدامُ الفلاحِ فئةً أُخرى شاذةً أَخلاقيًّا وشرعيًّا هي فئةُ (الظالمِينَ) الذينَ كشفَ اللهُ تعالى خُسرانَهُم بقولِه:(...**إِنَّه لا يُفلِحُ الظَّالِمُونَ**) [الأَنعام/2 ، 135] ، و[القَصص/37].

المبحثُ الرابعُ: التقابلُ في سياقِ الحِجَاجِ:

جاء في المُعجَمِ اللغويِّ أَنَّ الحِجَاجَ مِن (حَجَجَ) ومنهُ ((الحَجُّ [بمعنى] القَصدِ ؛ حَجَّ إِلينا فُلانٌ أَي قَدِمَ))[143].

ومِن هذا الأَصلِ أُخِذَتِ (الحُجَّةُ) وهي ((ما دُلَّ به على صِحَّةِ الدَّعوَى. وقيل: الحُجَّةُ والدليلُ واحدٌ))[144]. وبهذا الوصفِ قامَ الحِجَاجُ الذي يَقومُ للإِقناعِ بالدليلِ والبُرهانِ ؛ فالدليلُ والبُرهانُ أَداةُ الحِجَاجِ ، والإِقناعُ غايتُه.

والحِجَاجُ ((هو الاحتِجاجُ على المعنى المقصودِ بحُجَّةٍ عقليةٍ تَقطَعُ المُعانِدَ له فيه))[145] ؛ لذا يُعَدُّ العقلُ قُوةُ الحُجَّةِ ، ومِرآةُ الدليلِ.

فالتقابلُ الدَّلاليُّ المتضادُّ الذي سأَعرِضُ له في هذا المبحثِ هو (التقابلُ الحِجَاجيُّ) الذي يعني ((بإِيحاءاتِه البعيدةِ ومَقاصدِهِ الكثيرةِ آليةً مِثاليةً للكشفِ عنِ الحقائقِ المَخفِيةِ وراءَ البِنْيَةِ الجَماليةِ الخاصةِ

(143) لسان العرب (حجج) 226:2.
(144) التعريفات 86.
(145) الزركشي 468:3.

به ، يَعملُ على تحفيزِ المُتلقِّي بتصويرِه الكثيفِ والموحي للواقعِ حالةَ خضوعٍ وإقرارٍ في النفسِ))[146]. وهذا واضحٌ عندما يتمكَّنُ المُحاجِجُ من إقناعِ المُحاجَجِ.

لقد ((ظَهرَت دَلالةُ الحِجَاجِ في القرآنِ الكريمِ بمعانٍ مختلفةٍ كالحِوارِ ، الجَدَلِ ، المُناظرةِ. وجاءت كلُّ هذه الدَّلالاتِ لِتَصُبَّ في قالبٍ واحدٍ أَلا وهو محاولةُ استمالةِ وإقناعِ المُتلقِّي ، والتأثيرِ فيه))[147].

إنَّ الغايةَ مِن الحِجَاجِ الإقناعُ الذي يُوجَّهُ إلى المُخاطَبِ. ((وأَهمُّ شيءٍ يقومُ عليه الحِجَاجُ هو تقديمُ الطُّروحاتِ التي تدعو العقولَ إلى التدبُّرِ الموضوعيِّ والواعي في القضايا المقدمةِ بُغيةَ بِناءِ الرأيِ الصحيحِ ؛ فهو يُمثِّلُ قوةَ تَدفعُ المُخاطَبَ إلى التفكيرِ والتأملِ مِن أَجلِ الحصولِ على الإقرارِ بحقيقةٍ مُعينةٍ))[148]. وهذا ما يَجعَلُ الحِجَاجَ حاضِرًا بأَشَدِّ دَلائلِهِ وبراهينِه رُسوخًا وأَداءً وبأَقوى صورِ إقناعِه إلقاءً وتحقيقًا. وهذا ما يَنمازُ به الحِجَاجُ بينَ وسيلتِه وغايتِه – وهما طرفاهُ الرَّئيسَانِ –: البُرهانِ أَوِ الحُجَّةِ ، والإقناع.

أَنَّ للحِجَاجِ من تأَثيرِ الإقناعِ ما يتجاوزُ الحوارَ السطحيَّ العابرَ إلى تغييرِ الاعتقادِ مادامَ الحِجَاجُ نفسُه ((آليةً لُغويةً يُمكِنُ التعاملُ بهِ في مختلَفِ مجالاتِ التثاقُفِ العامةِ التي تُيَسِّرُ التواصلَ الإنسانيَّ. كما يُؤدِّي إلى الإقناعِ الذي يَفرِضُ المشاركةَ بينَ الطرفَينِ المُتحاوِرَينِ دُونَ إكراهٍ. وقد تطالُ اعتقادَ المُقتَنِعِ فيَلتَزِمُ بما يَعتَقِدُ به مُحاوِرُهُ إذا اقتَنَعَ برأيِهِ ، واعتقَدَ بصِحَّةِ الدليلِ القائمِ عليه هذا الرأيُ))[149].

ومِن موضوعاتِ الحِجَاجِ وموارِدِه التي انتظَمها التقابلُ الدَّلاليُّ المتضادُّ في القرآنِ الكريمِ ما يأتي:

1-التقابلُ بينَ الشُّكرِ والكُفرِ:

وشاهدُهُ قولُه تعالى: **(وإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُم لَئِن شَكَرتُم لَأَزِيدَنَّكُم ولَئِن كَفَرتُم إِنَّ عذَابِي لَشَدِيدٌ)** [إبراهيم/7].

---

(146) التقابل الحجاجي في الخطاب القرآني 21.

(147) الحجاج في النص القرآني في سورة الانبياء: 169. الصوابُ: (استمالةِ المُتلقِّي وإقناعِه).

(148) م.ن. 168. وينظر: الحجاج بين النظرية والأُسلوب ، باتريك شارودو ، تر: د. أَحمد الودرني 17.

(149) الإعجاز النفسي في الخطاب القرآني 344.

ورَدَ في هذا النصِّ الكريمِ تقابُلٌ دَلاليٌّ مُتضادٌّ تضمَّنَ تركيبَينِ متقابلِينِ تضمَّنا حِجَاجًا فيه دعوةٌ إلهيةٌ في طرفِهِ الأَولِ لأَن يَّسلُكَ الإنسانُ مَسلَكَ الشُّكرِ للهِ تعالى عن نِّعمِهِ التي أَغدَقَها عليه شُكرًا عَمَليًّا أَدائيًّا امتِثالا لقولِه تعالى: (**واعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكرًا**) [سبأ/13] لا أَن يقتصِرَ هذا الشُّكرُ على القولِ فقط ، وهو حِجَاجٌ إقناعيٌّ يُوثِّقُه قولُه تعالى: (**وما بِكُم مِّن نِّعمَةٍ فمِنَ اللهِ ....**)) [النحل/53].

وقد انتظَمَهُ أُسلوبُ الشرطِ القائمِ على أَداةِ الشرطِ (إنْ) ، وفعلِ الشرطِ (شَكَرَ) المُسنَدِ إلى المخاطَبِينَ المُحاجَجِينَ ، وجوابُهُ المتعلِّقُ بتحقُّقِهِ (أَزيدُ) المُسنَدُ إلى المُخاطِبِ المُحاجِجِ (اللهِ تعالى).

ولأَهميةِ مضمونِ هذا الخِطابِ الحِجاجيِّ إبلاغًا وتأثيرًا جاء هذا التقابلُ مؤكَّدًا بـ(اللامِ المُوطِّئَةِ للقَسَمِ) في (لَئِنْ) التي ترتبطُ معها رسمًا ، وبـ(لامِ التوكيدِ) الواقعةِ في جوابِ القَسَمِ (لأَزِيدَنَّكُم) ، وبـ(نونِ التوكيدِ الثقيلةِ) المتصلةِ بفعلِ جوابِ القسَمِ المضارعِ الذي يدُلُّ على التجددِ والاستمرارِ للحَدَثِ ؛ فـ((إنَّ للكلمةِ خصائصَ في ذاتِها تَستمدُّها مِن اللغةِ ومِن التداولِ تجعلُها مؤهَّلةً بطبيعتِها لتكونَ ذاتَ صِبغةٍ حِجاجيةٍ))[(150)].

ولا يَخفَى على مُدَّبِّرٍ ما في هذا الجَوابِ (لأَزِيدَنَّكُم) – وهو خِطابٌ مُباشرٌ للمُحاجَجِينَ – من بِشارةٍ نفسيةٍ تُصلِحُ البالَ ، وتُسعِدُ الحالَ ؛ فما الزيادةُ من خيرٍ إلا سعادةٌ كُبرى تُزجَى إليهِم جزاءً لهم عن شُكرِهم الذي يقومُ على عبادةِ ربِّهِم ، والحمدِ له ، والثناءِ عليهِ ؛ إقرارًا بوَحدانيتِه.

إنَّ الدعوةَ الإلهيةَ السَّخِيةَ العُظمَى هذه واضحةٌ من دَلالةِ الحَثِّ على الشُّكرِ والترغيبِ والتحبيبِ فيهِ ، وهي بذاتِها تَبعَثُ على الراحةِ النفسيةِ لدى الإنسانِ الشاكرِ يَشعُرُ بها ؛ فتطيبُ بها ولها نفسُه إقرارًا منه بأَنَّ المُنعِمَ قد منحَهُ عِزًّا معنويًّا أَو ماديًّا يَدومُ بدوامِ جزائِه بالشُّكرِ عملا يتجلَّى بفِعلِ الخيراتِ ، ومساعدةِ ذوي الحاجاتِ ، والحثِّ العمليِّ على الطيِّبات.

ومِثلُهُ التركيبُ الذي يُقابِلُهُ بالدَّلالةِ المُضادَّةِ إذ جاء الحِجَاجُ الإلهيُّ فيه المُجَّهِ إلى خَلْقِهِ قائمًا على التعليقِ الشرطِيِّ المؤلَّفِ من أَداةِ الشرطِ (إنْ) ، وفعلِ الشرطِ (كَفَرَ) المُسنَدِ إلى المخاطَبِينَ المُحاجَجِينَ ، وجوابِهُ المتعلِّقِ بتحقُّقِهِ (إنَّ عذابي لَشديدٌ) الذي جاء جملةً اسميةً منسوخةً مؤلفةً من (إنَّ) المؤكِّدةِ مضمونَ جملتِها ، وتوثيقَ اتِّصافِ المسنَدِ إليهِ فيها (عذابي) بالمُسنَدِ (شديدٌ) المؤكَّدِ هو أَيضًا بـ(لامِ

(150) الحِجاج في القرآن منة خلال أَهم خصائصه الأُسلوبية ، عبدالله صولة 74.

التوكيدِ). وهو جوابُ شَرطٍ جاءَ إخبارًا عامًّا من المُحاجِجِ (اللهِ تعالى) ، وليس خِطابًا مباشِرًا للمُخاطَبِينَ المُحاجَجِين إذ لم يقُل: (لأُعَذِبَنَّكُم) كما قال: (لأَزيدَنَّكُم) كرمًا ورحمةً منه لعبادِه بعدَمِ توجيهِ خِطابِ التعذيبِ إليهِم مباشرةً لشِدَّةِ وَقعِهِ عليهِم ؛ فخَفَّفَ عنهم ؛ فهو برحمتِهِ وأَدَب خِطابِه جلَّ وعلا قد منَحَ هؤلاءِ المُخاطَبينَ فرصةَ التمكُّنِ بالتقوى من مهاوِي الكُفرِ الذي يَستدعي التعذيبَ جزاءً للكافرين الذين ما كانُوا إلا بأَمرِهِ موجودِينَ، ويعيشُون في نعمتِه مُكرَّمِين ، وعليهِمُ الاهتداءُ مُلتَزِمِينَ أَو تائبينَ.

وقد ذهب النحويونَ إلى أَنَّ جوابَ القسَمِ المذكورِ في التركيبَينِ المتقابلَينِ كليهِما قد أَغنى عن ذِكرِ جوابِ الشرطِ[151] وهو ما يَلزَمُ أَن يُكتَفَى به عن تقديرِ جوابٍ للشرطِ لم يُذكَرْ في النصِّ أَساسًا[152].

قال (الطاهرُ بنُ عاشورٍ): ((وجُملةُ (**لَئِن شَكَرتُم**) مُوطِّئةٌ للقَسَمِ. والقَسمُ مُستعمَلٌ في التأكيدِ. والشُّكرُ مُؤذِنٌ بالنعمةِ. والكُفرُ مُرادٌ به كفرُ النعمةِ ، وهو مُقابلةُ المُنعمِ بالعِصيانِ. وأَعظمُ الكُفرِ جَحْدُ الخالقِ أَو عبادةُ غيرِهِ معَه ، وهو الإشراك. كما أَنَّ الشُّكرَ مُقابلةُ النعمةِ بإظهارِ العبوديةِ ، والطاعةِ))[153].

إنَّ الاطمِئنانَ النفسيَّ مِن قولِه تعالى: (**لَئِن شَكَرْتُكم لَأَزِيدَنَّكُم)** رسالةٌ بَيِّنةُ الأَثرِ والغايةِ بما تُمثِّلُه مِن رصيدٍ يتنامَى للإنسانِ في مَصرِفِ التجارةِ الرابحةِ معَ اللهِ سبحانَه من جهةِ المُنعِمِ، ومعَ فُيُوضِ الخيرِ التي يَعيشُ فيها الإنسانُ الشاكرُ مِن جهةِ النعمةِ. وهذا الرصيدُ النفسيُّ الإيجابيُّ يَزيدُ النعمةَ على الإنسانِ الشاكرِ ، ويُوثِّقُ سعادتَهُ في الحياةِ بصلاحِ البالِ ، وسلامةِ الحالِ. وهذا جانبٌ من فُيوضِ اللغةِ العربيةِ البيانيةِ بأَلفاظِها ودَلالاتِها باستعمالِ (لأَزِيدَنَّكُم) ؛ ((فاللغةُ وسيلةٌ للتعبيرِ عنِ المشاعرِ والأَحاسيسِ الإنسانيةِ المختلفة))[154] ؛ فالكلماتُ التي تَظهَرُ إنما هي وسائلُ للتعبيرِ عمَّا يَدُورُ في أَنفسِنا ومشاعرِنا.

---

(151) ينظر: الكتاب 444:1 ، وشرح المفصل ، ابن يعيش ، تح: أَحمد السيد 22:9 ، وشرح عمدة الحافظ ، ابن مالك ، تح: د عبدالمنعم أَحمد هريدي 257 ، وشرح ابن عقيل 44:4 ، والجملة الخبرية في نهج البلاغة 45.

(152) ينظر: دَلالة الاكتفاء في الجُملة القرآنية ، د. علي عبدالفتاح محيي 71–73.

(153) التحرير والتنوير 193:13–194. وينظر: بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أُسلوبية ، د. عفَّت الشرقاوي 209.

(154) التعبير القرآني والدلالة النفسية 77.

ويُقارِبُ هذا النصَّ الكريمَ دَلالةً عامةً قولُه تعالى: (**قالَ هذَا مِن فَضلِ رَبِّي لِيَبلُوَنِي أَأَشكُرُ أَم أَكفُرُ ومَن شَكَرَ فإنَّما يَشكُرُ لِنفسِهِ ومَن كَفَرَ فإنَّ ربِّي غنِيٌّ كريمٌ**) [النمل/40] وقولُه تعالى: (**ولَقد آتَينا لُقمانَ الحِكمةَ أَنِ اشكُر للهِ ومَن يَّشكُرْ فإنَّما يَشكُرُ لِنفسِهِ ومَن كَفَرَ فإنَّ اللهَ غنِيٌّ حمِيدٌ)** [لقمان/12].

وقد افتُتِحَ هذا النصُّ التقابُليُّ تمهيدًا لمضمونِه المتضادِّ دعوةً لنماءِ الخيرِ بأَسبابِه ، وتحذيرًا مِن عذابِ الجَحْدِ لتحقيقِ موجِباتِه وأَسبابِه بقوله تعالى: (**وإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُم)** ((أَي أَعلَمَ المُحسِنُ إليكم إعلامًا عظيمًا بَليغًا يَنتَفِي عنه الشكوكُ قائلا: (**لَئِن شَكَرتُم)** ، وأَكَّدَه لِمَا للأَنفُسِ مِن التكذيبِ بمِثلِ ذلك لاعتقادِها أَنَّ الزيادةَ بالسعيِ في الرزقِ ، والنقصِ بالتهاونِ فيه **(لأَزِيدَنَّكُم)** مِن نُعْمَى ؛ فإنَّ الشُّكرَ قَيْدُ المَوجودِ ، وصَيدُ المفقودِ... و**(ولَئِن كَفَرتُم)** النعمةَ فلم تُقَيِّدُوها بالشُّكرِ لأُنقِصَنَّكُم ، ولأُعذِبَنَّكُم **(إنَّ عَذابي)** بإزالتها... **(لَشَديدٌ)** فخَافُوهُ))[155].

إنَّ الخِطابَ القرآنيَّ بفيوضِ عطائِه يَضَعُ شَرطًا لشُكْرِ النعمةِ على أَنه لوازِمِ الإيمانِ الصريحةِ التي كشَفَ عنها قولُه تعالى: (**يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّباتِ ما رَزقناكُم واشكُرُوا للهِ إنْ كُنتُم إيَّاهُ تَعبُدُونَ)** [البقرة/172] ، وقولُه سبحانَه: (**فكُلُوا مِمَّا رَزقَكُمُ اللهُ حَلالًا طَيِّبًا واشكُرُوا نِعمتَ اللهِ إنْ كُنتُم إيَّاهُ تَعبُدُونَ)** [النحل/114].

2-التقابلُ بينَ العِلْمِ والجَهلِ:

ورد هذا التقابلُ منتَظِمًا حِجَاجًا في قولِه تعالى: (**ها أَنتُم هٰؤُلاءِ حاجَجْتُم فيما لكُم بهِ عِلْمٌ فلِمَ تُحاجُّونَ فيما ليسَ لكُم بهِ عِلْمٌ واللهُ يَعلَمُ وأَنتُم لا تَعلَمُونَ)** [آل عمران/66].

ورَدَ في هذا النصِّ الكريمِ تقابلٌ دَلاليٌّ مُتضادٌّ بينَ نصَّينِ مُترابِطَينِ في سياقٍ حِجَاجيٍّ واحدٍ أَولُهما قولُه تعالى: (**ها أَنتُم هٰؤُلاءِ حاجَجْتُم فيما لكُم بهِ عِلْمٌ**) الذي وردَ بأُسلوبِ الخبَرِ المباشرِ لحقيقةٍ خارجيةٍ ثابتةٍ مَنَحَ بها هذا النصُّ اليهودَ والنصارَى شيئًا من الوَجاهةِ ممَّا كان لهُم به عِلمٌ عن النبيِّ إبراهيمَ (عليهِ السلامُ) ، والآخَرُ قولُه تعالى: (**فلِمَ تُحاجُّونَ فيما ليسَ لكُم بهِ عِلْمٌ**) الذي ورَدَ بأُسلوبٍ استفهاميٍّ توبيخِيٍّ يُقرِّعُهم ، ويُحدِّدُ قُدرتَهُم المعرفيةَ ، ويُبيِّنُ جَهلَهُم فيما غابَ علمُه عنهم ممَّا يختصُّ إبراهيمَ

---

(155) نظم الدرر ، البقاعي ، مراقبة: د. محمد عبدالمعيد 10:384-385. وينظر: معترك الأَقران ، السيوطي ، تصحيح: أَحمد شمس الدين 3:311. وقد قرأْتُ تدبُّرًا أَنَّ قولَه تعالى: **(إنَّ عذَابِي لَشدِيدٌ)** إخبارٌ عامٌ ، لا خِطابٌ مباشرٌ مثلَ **(لأَزِيدَنَّكُم)** رحمةً منه تعالى لعبادِه كما مرَّ.

(عليهِ السلامُ) ، وسيرتَه ، ومكانتَه العظيمة ؛ فـ((يَمضي في التنديدِ بهم ، وإسقاطِ قيمةِ ما يُدلُونَ به مِن حُجَجٍ ، وكشفِ تَعنُّتِهِم ، وقلَّةِ اعتمادِهم على منهجٍ منطقيٍّ سليمٍ في الجِدالِ والحوار))[156].

لقد صغَّرَ هذا الحِجَاجُ شأنَهُم ، وأَسقَطَ حُجَّتَهُم ، وبلَغَ مِن الإقناعِ ما بَيَّنَهُ قولُه تعالى في الآيةِ اللاحقةِ: **(وما كانَ إبراهيمُ يَهودِيًّا ولا نَصرانيًّا ولكِنْ كانَ حَنيفًا مُسلِمًا وما كانَ مِنَ المُشركِينَ)** [آل عمران/67] ؛ ((فالتقابلُ يأتي مُعزِّزًا للحِجَاجِ في بيانِ وجهِ الصِّلةِ العميقةِ بينَ المتقابِلَينِ ضِدِّيًّا مِن حيثُ الدَّلالةُ ، وسِرُّ أُسلوبِ المُقابلةِ كلِّه في تهيئةِ مفاجأةٍ، وتوضيحِ توترِ ما بينَهما))[157].

وبهُدَى دَلالةِ الاستفهامِ على هذا التوهينِ لمَقامِ هؤلاءِ المُحاجَجِينَ يَتضِحُ لنا أَنَّ ((الاستفهامَ هنا وإن تأخَّرَ عنِ السياقِ إلا أَنَّه ارتبَطَ بالسياقِ اللاحقِ به إذ إنَّ الآيةَ اللاحقةَ عَرَضَت هذا الإنكارَ بالتفصيلِ إذ عَرضَت إنكارًا آخرَ وهو لماذا تُحاجُّونَ بشيءٍ أَنتم تجهلونَه. والإنكارُ قد وُجِّه من قِبَلِ من هو عالمٌ بذلك وهو اللهُ سُبحانَه ؛ فالإنكارُ هنا قد عُرِضَ عن طريقِ الحُقبة التاريخيةِ أَولا ، وهي سَبْقُ إبراهيمَ لليهوديةِ والنصرانيةِ ، وعن طريقِ الحقيقةِ الواقعيةِ وهي عدمُ عِلمِهِم بما كان عليه إبراهيمُ ، وعِلمُ اللهِ سبحانَه وتعالى بكلِّ شيءٍ ؛ لذلك وُجِّهَ الإنكارُ مِن قِبَلِ العالِمِ إلى الجُهَّالِ من جهةٍ ، ومِن اللهِ إلى غيرِ العُقَّالِ من خلالِ الاستفهامِ بالهمزةِ **(أَفلا تَعقِلُون)**. وبعدَ هذينِ الإنكارَينِ حاولَتِ الآيةُ الثالثةُ في السياقِ ذاتِه أَن تُقوِّيَ ذلك الإنكارَ مِن خلالِ إثباتِ الحقيقةِ التي كان عليها إبراهيمُ (عليهِ السلامُ)))[158].

وهذا يُفضِي إلى أَنَّ الحُجَّةَ التي امتلَكَها النبيُّ محمدٌ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) هي حُجَّةُ عِلمٍ يَقينيٍّ ، وحُجَّةُ وَحيٍ صادقٍ. أَمَّا حُجَّةُ اليهودِ والنصارَى فهي حُجَّةٌ شخصيةٌ مِزاجيةٌ واهيةٌ كاذبةٌ لا دليلَ عليها ، ولا بُرهانَ.

إنَّ الانكسارَ النفسيَّ هادمٌ لِقُوى الباطلِ عندَما يُواجَهُ أَصحابُه بحُجَّةٍ قاصمةٍ لظهرِ الباطلِ وأَهلِه من أَهلِ الحقِّ يَنحطُّ شأنُهُم إزاءَها – لانعدامِ مِكنتِهِم مِن الردِّ عليها أَو إبطالِها – انحِطاطًا يَجعلُهُم في حاجزِ التسليمِ لخَصمِهِم ، والاعترافِ بظَفَرِهِ عليهِم علاوةً على أَنَّ اعتزازَ أَهلِ الحقِّ بقوةِ حُجَّتِهِم ، ورِفعةِ

---

(156) مناهج الجدل في القرآن الكريم ، د. زاهر عواض الألمعي 416.

(157) أُسلوبية الحجاج التداولي 195–196. وينظر: خصائص الأُسلوب في الشوقيات ، محمد الهادي الطرابلسي 121.

(158) الاستفهام المجازي وأَثره في السياق 88.

شأنِهِم يُفضي إلى اطمئنانِ أَنفسِهِم ، وصلابةِ موقفِهِم، واستِمكانِ سَطوتِهِم؛ ((فإذا كان اللهُ تعالى ذَمَّهُم وعابَ عليهِمُ المُحَاجَّةَ بغَيرِ عِلمٍ ولا مَنهَجٍ بَيِّنٍ فلا حاجةَ للردِّ عليهِم أَوِ الاشتغالِ بهذه الحُجَّةِ ؛ لأَنها ما سِيقَت إلا لأَجلِ المُماحَلةِ واتِّباعِ الهَوى وحِينئذٍ إهمالُها أَولى مِن الردِّ عليها ؛ لأَنها حُجَّةٌ ساقطةٌ داحضةٌ ؛ ولذا جاءتِ الآيةُ بعدَها بأُسلوبِ التقريرِ الذي لا يَقبَلُ النقاشَ والجِدالَ))[159].

إنَّ في القَصصِ القرآنيِّ عِبرةُ اقتِداءٍ ينتهِجُ بها المؤمنونَ طريقَ الصالحينَ فوزًا مُبينًا، ويَقِفُ عندها المنحرفونَ بينَ الإفادةِ منها لإصلاحِ أَنفسِهم وتغييرِ منهجِهِم إلى الأَصلحِ الأَمثلِ، أَوِ الإعراضِ عنها عِنادًا للبقاءِ في الكُفرِ والبِلَى ؛ فلعلَّ ((دَرْسَ المؤثراتِ النفسيةِ الدينيةِ في القَصَصِ القرآنيِّ يَكشِفُ عن حقائقَ هامةٍ في عَلاقةِ الشعورِ الدينيِّ بالعاطفةِ ، وارتباطِ الجانبِ الإلهيِّ بالنفسِ لِمَا في هذا القَصَصِ من إثاراتٍ متنوعةٍ ، ومِن تجارِبَ دينيةٍ كان الإنسانُ مِحورَها ، ومِن دَعَواتٍ سماويةٍ استفَزَّت مشاعِرَ الدّاعينَ والمَدعُوِّين ، وتَولَّدَ عنها صِراعٌ طويلُ المدَى بينَ أَهلِ الحقِّ ، وأَهلِ الأَهواءِ)) [160].

وهذا يعني أَنَّ للحِجَاجِ بُعدًا نفسيًّا هادِيًا للسامعِ أَوِ المُتلقِّي المُحاجَجِ عامةً ، ورَدْعًا كبيرًا للمُحاجَجِ إذا كان جاحدًا ؛ فـ((أُسلوبُ الحِجَاجِ في القرآنِ الكريمِ جاء لرَدِّ أَقوالِ الجَاحدينَ وأَعداءِ الدعوةِ الذين كانُوا يُجادِلُونَ بالباطلِ ، وبغَيرِ حُجَّةٍ ولا بَيِّنةٍ يَدعمُها العقلُ والحِسُّ والوُجدانُ وما يُشاهدُونَه في حياتِهِم مِن ظواهرَ طبيعيةٍ دالةٍ على الخالقِ))[161].

3-التقابلُ بينَ إرادةِ القَتلِ ، وعدَمِها:

نقرأُ لهذا الموضوعِ التقابلِيِّ بينَ طرفَيهِ الرئيسَينِ (القَبولِ) ، و(الرضا) قولَه تعالى: **(واتْلُ علَيهِم نَبَأَ ابنَيْ آدَمَ بالحقِّ إذ قَرَّبا قُربانًا فتُقُبِّلَ من أَحدِهما ولم يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قالَ لَأَقتُلَنَّكَ قالَ إنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ ، لَئِن بَسَطْتَّ إليَّ يَدَكَ لِتَقتُلَنِي ما أَنا بباسِطٍ يَدِيَ إليكَ لِأَقتُلَكَ إنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ العالَمِينَ)** [المائدة/27].

اجتمعَ في هذا النصِّ الكريمِ تركيبانِ متقابلانِ مُتضادَّانِ دَلاليًّا بمبدَأِ (عدَمِ القَبولِ الإلهيِّ) للتركيبِ الأَولِ منهما الذي قُوبِلَ به قُربانُ (قابيلَ) ؛ فقامَ عليه هذا التركيبُ وهو الركنُ الأَولُ لهذا التقابلِ بقولِه

(159) خصائص الأُسلوب القرآني ، د. أَبوبكر محمد فوزي البَخيت 464.

(160) سيكولوجية القصة في القرآن ، التهامي نقرة 427.

(161) الإعجاز النفسي في الخطاب القرآني 345.

تعالى: **(لَئِن بَسَطْتَّ إِليَّ يَدَكَ لِتَقتُلَنِي)** الذي انتظَمَهُ أُسلوبُ الشرطِ المؤلفِ في هذا الركنِ من أَداةِ الشرطِ (إِنْ) وجملةِ الشرطِ (بَسَطْتَّ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقتُلَني) المسبوقِ بالقسمِ المَدلولِ عليهِ بـ(اللامِ الموطئةِ للقسمِ) ، وبمَبدَأِ (القَبولِ الإِلهيِّ) للتركيبِ الآخَرِ منهما الذي قُوبِل به قُربانُ (هابيلَ/ عليهِ السلامُ) ؛ فقامَ عليهِ هذا التركيبُ وهو الركنُ الآخَرُ لهذا التقابلِ بقولِه تعالى: **(ما أَنا بباسِطٍ يَدِيَ إليكَ لِأَقتُلَكَ)** الذي انتظَمَه أُسلوبُ الشرطِ المؤلفِ في هذا الركنِ كُلِّه من جملةِ جوابِ الشرطِ كاملةً الذي انتظَمَتهُ الجُملةُ الاسميةُ المؤلفةُ من المبتدأِ (أَناْ) وخبرِهِ (باسطٍ) المؤكدِ بـ(الباءِ) الداخلةِ على خبرِ (ما) العاملةِ عمَلَ (ليس) في نفيِ مضمونِ الجملةِ الاسميةِ ، ومِن متعلِّقاتِ هذا الخبرِ ونتيجتِهِ.

لقد ألقى (هابيلَ/ عليهِ السلامُ) حُجَّتَهُ على أَخيهِ (قابيل) لعلَّهُ يرتدِعُ عمَّا يَنوِي فِعلَه مِن أَمرٍ نُكرٍ تولَّدَت أَسبابُه مِن مَرَضِ الحِقدِ والحسَدِ الذي نشأَ معَ (قابيلَ) بعدَ الابتلاءِ في الوجودِ في الدنيا ، وغَلَبَ على فِكرِهِ وهواجِسِ نفسِه ومَدافعِ نواياهُ التي قابلَها أَخوهُ الصالحُ بأَسمَى خُلُقٍ وهو يَعرِضُ له بلسانِ السِّلمِ طيبَ نفسِه التي بيَّنَ عنها أَنه لا يَنوي أَساسًا الإِساءةَ إِلى أَخيهِ بل يُريدُ له الخيرَ بالنُّصحِ والإِرشادِ بالتخويفِ من عاقبةِ هذا الجُرمِ من جهةٍ ، وببيانِ خَشيةِ اللهِ تعالى اللازمةِ على الإِنسانِ شُكرًا منه لخالقِه ، وامتِثالا لأَوامرِه من جهةٍ أُخرى.

ومن بابِ الإِشارةِ إِلى روابطِ الحِجَاجِ اللغويِّ فإِنَّ هذا النصَّ الكريمَ قد زَخَرَ بها من توثيقٍ توكيديٍّ بـ(اللامِ الواقعةِ) جوابًا للقسَمِ في تركيبِ (لَئِنْ) التي تُعزِّزُ الأَثَرَ المقصودَ من المتكلِّمِ ، وتُرسِّخُهُ في ذِهنِ السامعِ ، ومِن (تاءِ الفاعلِ المخاطَبِ) في (بَسَطْتَّ) التي تكشفُ عن تحديدٍ مقصودٍ للجرمِ المُزمَعِ إِيقاعُه وهو القتلُ الذي ينوي فِعلَهُ المُخاطَبُ نفسُه ، وكذلك (تاءُ المضارعةِ) في فِعلِ المُخاطَبِ (تَقتُلَنِي) التي تعودُ كلُّها جميعًا بخِطابِها المُوجَّهِ إِلى (قابيلَ) إِلقاءً لحُجَّةِ اللومِ عليهِ نتيجةَ إِدانتِه بحُجَّةِ نِيَّتِهِ القتلَ والشُّروعَ به ، ومن ضميرِ المتكلِّمِ (أَناْ) في قولِه تعالى: (ما أَناْ) التي أَلقَى بها (هابيلُ/عليهِ السلامُ) حُجَّتَه الخِطابيةَ بها عَلاوةً على روابطَ حِجاجِيةٍ أُخرى تُمثلُها (لامُ التعليلِ) في كلٍّ من (لِتَقتُلَنِي) ، و(لأَقتُلَكَ) التي تُفصِحُ عن مشروعيةِ الحِجَاجِ بالنُّصحِ وبيانِ المحبةِ وإِرادةِ السلامِ مقابلَ جريمةِ القتلِ التي نَهَى عنها الدِّينُ وحرَّمتها الشريعةُ، وأَنكرَها الضميرُ الإِنسانيُّ الحيُّ.

لذا يُفهَمُ الحِجَاجُ بهذا المقصَدِ التقابليِّ ((مِن وُجهةِ نظرِ البلاغةِ الجديدةِ حينَ يَحمِلُ بذرةَ خِلافٍ [أَنه يَ] تَضمَّنَ قصدًا – تأثيريًّا مضمرًا أَو مُعلَنًا بنِيَّةِ تحويلٍ أَو تعديلٍ وُجهةِ تفكيرِ المُخاطَبِ أَو حَملِهِ

على مَزيدِ موافقةٍ داخلَ مسارٍ تواصُليٍّ غيرِ إلزاميٍّ))[162]. وهذا توثيقٌ وظيفيٌّ أَنَّ النصَّ الحِجَاجيَّ رسالةٌ حِواريةٌ تَهدِفُ إلى إقناعِ المخاطَبِ ، وإلقاءِ الحُجَّةِ الدامغةِ عليه.

وفي قراءةِ الأَبعادِ النفسيةِ لهذا التقابلِ بمضمونِه الإنسانيِّ من (هابيلَ/ عليهِ السلامُ) ، والإجراميِّ من (قابيلَ) ذهَبَ (د. كريم حسين ناصح) إلى أَنَّ ((النَّوازِعَ الشريرةَ أَكثرُ ظهورًا في نفسِ الإنسان من نَوازعِ الخيرِ ؛ لأَنَّها مقترِنةٌ بالمُغرِياتِ التي تُداعِبُ شَهَواتِ الإنسانِ النازعةِ إلى التملُّك وإشباعِ الغريزةِ الجنسيةِ التي تدفعُه إلى الاغتصابِ والسيطرةِ على ما ليس له فيه حقٌّ ، وشهوةِ المُلكِ والسيادةِ بالوسائل التي تُمكِّنُه من ذلك وغيرِ ذلك من النَّوازِعِ التي تُبنَى على اضطِهادِ البشَرِ وإجبارِهِم على عمَلٍ ما لا يَرغبونَ فيه ؛ فعاشَ الإنسانُ منذ بَدْءِ الخَليقةِ تحتَ وَطأَةِ هذا الصراعِ))[163] ؛ ما يُفصِحُ لنا عن بُعدٍ نفسيٍّ ظالمٍ أَشدَّ الظلمِ عندَ (قابيلَ) تُجاهَ أَخيه (هابيلَ/ عليهِ السلامُ) لم يُراعِ بإفرازاتِهِ السَّلبيةِ مَقامَ الأَخِ، ولا مَقامَ الوالدَينِ بل لم يُراعِ بهِ الخَشيةَ اللازمةَ على البشَرِ مِن اللهِ سبحانَه.

وذكَرَ (د. عزُّالدين إسماعيل) أَنَّ هذه الجَريمةَ هي ((أَولُ جريمةِ قَتلٍ عرفَتْها البشريةُ. ويَهُمُّنا ما ترتَّبَ عليها من تشريعٍ ، وما استنَدَ إليه هذا التشريعُ ودَلَّ عليه في الوقتِ نفسِه من معنى قَتلِ النفسِ. أَمَّا التشريعُ فهو تحريمُ قَتلِ النفسِ ظُلمًا وعُدوانًا))[164].

ولا تخلُو جريمةُ (قابيلَ) هذه مِن دوافعَ نفسيةٍ قائمةٍ على الحِقدِ والحَسَدِ وتمنِّي زوالِ النعمةِ التي كان يراها على أَخيه (هابيلَ/ عليهِ السلامُ) وهي نِعمةُ القناعةِ والإيمانِ والتقوى التي جعَلَتهُ مُقرَّبًا بالخيرِ والدعاءِ والحِظوةِ لدى أَبيه (آدمَ/ عليهِ السلامُ) رضًا للهِ تعالى. وهذا من أَشَدِّ الأَمراضِ النفسيةِ فَتكًا بالمجتمعِ إذ لا يَنجُو من حاقدٍ حاسدٍ مَحسودٌ إلا بحفظٍ من اللهِ تعالى بشِفاءِ الحاسِدِ من مرضِه ، أَو بالدفاعِ الإلهيِّ عنِ المحسودِ.

تجدُرُ الإشارةُ هنا إلى أَنَّ أَداةَ الحصرِ (إنَّما) الواردةِ في هذا النصِّ التقابليِّ قد أَفاضت بدَلالاتٍ إيحائيةٍ اختزَلَت جُملا وأَلفاظًا عندما حَصَرَتِ التقبُّلَ – وهو الرِّضا الإلهيُّ ، والتسديدُ السماويُّ – بالسِّيرةِ العمَليةِ والإيمانيةِ العُليا الخالصةِ مِن (الرِّياءِ، والكُفرِ ، والنفاقِ ، والفسادِ، والإساءةِ ، والذنبِ) وهي

---

(162) الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة ، أَمينة الدهري 143.

(163) الخطاب النفسي في القرآن الكريم 48.

(164) نصوص قرآنية في النفس الإنسانية 166.

التقوى ؛ فهذا التقبُّلُ لا يَنالُه إلا مَن حَقَّت فيه هذه الصفةُ التي تمحُو كلَّ صِفةٍ تُضادُّها من تلك الصفاتِ العمَليةِ المُنكَرةِ، وهذه حُجّةٌ بالغةٌ مازَ بها (هابيلُ/ عليهِ السلامُ) الخيرَ مِنَ الشرِّ ، والحَسَنَ مِن القبيحِ فحُسِمَ به فوزُ القُربانِ الذي سيَقبَلُه اللهُ تعالى من أَحدِهما من دُونِ قُربانِ الآخَرِ. لقدِ اختَزَلَت (إنَّما) هذه ((المسالِكَ التأويليةَ التي تَصِلُ الحُجَّةَ بالنتيجةِ))[165].

4-التقابلُ بينَ الإيمانِ بالباطلِ ، والكُفرِ بالنعمةِ:

وردَ هذا التقابلُ في قولِهِ تعالى: (**أَوَلَم يَرَوا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ويُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَولِهِم أَفَبِالباطلِ يُؤمِنُونَ وبِنِعمةِ اللهِ يَكفُرُونَ)** [العنكبوت/67].

ضمَّ هذا النصُّ الكريمُ تقابلا دَلاليًّا مُتضادًّا بينَ الإيمانِ بالباطلِ الذي يُقصَدُ بهِ هنا عدمُ الإيمانِ باللهِ تعالى والشركُ به وعدمُ اللجَأُ إلى حَرَمِهِ الآمِنِ (مكَّةَ) عبادةً له قدْر لَجَأِ المُخاطَبينَ المُحاجَجِينَ إلى ما يُحيطُ بهذا الحَرَمِ من مناطقَ لا أَمانَ فيها وهم في كُفرِهم ماضُون ، والكفرِ بالنعمةِ التي لا مُنعِمَ بها إلا اللهُ سبحانَه ، وهي النعمةُ التي يَجبُ أَن تُشكَرَ لا أَن تُكفَرَ.

وقد وردَ هذا التقابلُ في سِياق أُسلوبِ الاستفهامِ الذي خَرَجَ فيهِ إلى معنَى الرَّدعِ والتبكِيتِ والتحييدِ والإدانةِ بالحُجَّةِ والبُرهانِ والدليلِ الإقناعيِّ القاطعِ ، والتقريرِ الإثباتيِّ. وهو استفهامٌ لا يُرادُ بهِ جَوابٌ مباشرٌ ؛ فالجَوابُ غيرُ المباشرِ عنه هو إدانةُ هؤلاءِ ، وإفحامُ حُجَّتِهِم وإبطالُها.

فكُلُّ ما تنالُه يدُ الإنسانِ مِن نعمةٍ إنما هي مِن الخالقِ جلَّ وعلا الذي أَوجَدَ الإنسانَ، ونَعَّمَهُ ؛ فلا حياةَ للإنسانِ بلا هذه النعمةِ التي لا تُنالُ إلا بفضلِ اللهِ تعالى عليه من خِلقتِه وإيجادِهِ وتربيتِه وتَخويلِه أَن يكونَ قادرًا على العيشِ في ظِلِّ النِّعَمِ التي لا تُعَدُّ ولا تُحَصى.

إنَّ هذه الحياةَ الكريمةَ -التي لا يَقوَى إنسانٌ على امتِلاكِها مهما امتَلَكَ مِن مُقوِّماتِ الدنيا وسُلطانِها - ليست من القُدرةِ الإنسانيةِ بمكانٍ أَن يَدَّعِيَها أَحَدٌ لنفسِهِ ابتِكارًا وابتِداعًا كي يَحِقَّ له أَن يُسخِّرَها بالباطلِ لمنافعِهِ الشخصيةِ ، ومَلذَّاتِهِ الدنيويةِ ، وغَيِّهِ ، وانحِلالِه ما يَجعَلُ إدانةَ كلِّ مَن تنكَّرَ لهذهِ النعمةِ بالكُفرِ وعدمِ الإيمانِ ، وبالفسادِ والتِّيهِ حُجَّةً دامِغةً عليهِ بالتقريعِ واللومِ والتبكيتِ والتعْرِيةِ والتسفيهِ. وهذه

---

(165) القاموس الموسوعي للتداولية ، جاك موشلر - آن ريبول ، ترجمة مجموعة من الأَساتذة 342. وينظر: التقابل الحجاجي في الخطاب القرآني 254.

حالُ الذينَ يتمَسَّكُونَ بالباطلِ ويَتْرُكُون الحقَّ ؛ لذا وردَ الاستفهامُ في هذا الحِجاجِ تقريريًّا بإفادتِه ((حَملَ المخاطَبِ على الإقرارِ والاعترافِ بأَمرٍ قدِ استقرَّ عندَه))[166] وقد تضمَّنَ ((معنى التقريرِ. والاستفهامُ التقريريُّ استفهامٌ إنكاريٌّ يُفيدُ النفيَ ، وإذا دخَلَ عليه النفيُ أَفادَ الإيجابَ ؛ لأَنَّ نفيَ النفيِ إثباتٌ))[167].

إنَّ الحِجَاجَ الذي يُوظَّفُ لإقرارِ المُخاطَبِ بحقيقةٍ كان قد حاربَها بيانُ حقٍّ سَمَتْ بهِ اللغةُ في حواراتِها المختصَّةِ بهذا الميدانِ الفِكريِّ بحسَبِ الأُسلوبِ الإقناعيِّ المستعمَلِ في هذا الحِجَاجِ كالاستفهامِ هنا الذي ((وإنْ تظاهَرَ بالاستفسارِ فإنَّه لا يَطلُبُ الخبرَ بل يَبحَثُ في إقرارِه على المُخاطَبِ / الخَصمِ ليَضَعَهُ أَمامَ تبِعاتِه. وبواسطةِ هذا الاستفهامِ أَيضًا يُسحَبُ الخَصمُ للاعترافِ بآرائِهِ على رؤُوسِ الأَشهادِ ، والآراءُ إذ أَصبحَت مَكشوفةً ومُثبَتَةَ التبَنِّي يَسهُلُ على المناظرِ إبرازُ تهافُتِها وكشفُ تناقُضِها. وعليه فاستفهامُ التقريرِ استنتاجٌ وليس استفسارًا))[168].

إنَّ الرُّكنَ الأَولَ لهذا التقابلِ الحِجَاجيِّ وهو قولَه تعالى: (**أَفَبِالباطِلِ يُؤمِنُونَ**) تركيبٌ يَكشِفُ عن منهَجِ الضَّلالِ الذي اتَّبعَه أَهلُ الكفرِ والفاسقون ، وهو منهجٌ لا تَسلُكُه ولا تَنتَفِعُ منه بالباطلِ إلا النفسُ الأَمَّارةُ بالسُّوءِ ، إنَّه منهجٌ يُلقِي بأَبعادِهِ السيئةِ الضارَّةِ نفسيًّا على مَن يُلزِمُ نفسَه باتِّباعِه. أَمَّا الرُّكنُ الآخَرُ له وهو قولُه تعالى: (**وبِنِعمَةِ اللهِ يَكفُرُونَ**) فهو تركيبٌ يَكشِفُ عن منهجِ الحقِّ الذي يَجِبُ أَن يُقِيموا حَياتَهُم عليهِ بسُلُوكِه واتِّباعِه مادام قائمًا على فَضلِ اللهِ تعالى بنِعمتِه التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى؛ فجاء إلزامُ هؤلاءِ بأَنَّهم جَعَلُوا الإيمانَ عندَهم بما هو باطلٌ ، وجَعَلُوا الكفرَ عندَهُم بما هو حقٌّ ؛ لذا جاءَ التقابلُ في هذا النصِّ القرانيِّ حِجَاجًا لأَنَّ أَصلَ الحِجَاجِ ((عَمَلُ تاثيرٍ ، ونشاطُ إقناعٍ ؛ فالمتكلِّمُ حينَ يُقدِّمُ الفِكرةَ يَبدَأُ بعدَ ذلك التبادلُ الحِواريُّ حولَها ؛ فإنه سيَظَلُّ مَسكُونًا بهاجسِ التأثيرِ على الآخرِ ، مَشدودًا إلى مُحاولةِ استِدراجِه وإقناعِه مِن خِلالِ تقديمِ الفِكرةِ طافحةً بالبراهينِ والأَدلةِ والأَقيسَةِ والأَجوبةِ

---

(166) البرهان 331:2.

(167) الجدل في القرآن الكريم ، يوسف عمر 314. وينظر: أُسلوب الاستفهام في القرآن الكريم 108.

(168) بلاغة الإقناع في المناظرة ، د. عبداللطيف عادل 217.

الجَاهزةِ المَبنيةِ على الأَسئلةِ الافتراضيةِ التي تُلزِمُ الطرَفَ الآخرَ (المُعترِضَ) الوقوفَ أَمامَها، وتأَمُّلَها ، ومِن ثَمَّ إمَّا التسليمُ للفِكرةِ ، أَوِ المزيدُ مِن الاعتِراضِ))[169].

ويعني هذا أَنَّ الباطلَ لا يُمكِنُ أَن يَّكونَ خيرًا لهم ، لكنَّهم آمنُوا به لسَوَادِ أَنفسِهم، وكَفَرُوا بالنعمةِ التي يجبُ أَن يُؤمِنُوا بها كي تَسْمُوَ أَنفسُهُم .

5-التقابلُ بينَ الأَعمَى والبَصيرِ:

ورد هذا التقابلُ في قولِه تعالى: **(قُلْ مَن رَّبُّ السَّماواتِ والأَرضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَولِياءَ لا يَملِكُونَ لِأَنفُسِهِم نَفعًا ولا ضَرًّا قُلْ هَل يَستَوِي الأَعمَىٰ والبَصِيرُ أَم هَل تَستَوِي الظُّلُماتُ والنُّورُ أَم جَعَلُوا للهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كخَلقِهِ فتَشابَهَ الخَلقُ علَيهِم قُلِ اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ وهُوَ الواحِدُ القهَّار)** [الرعد/16].

في هذا النصِّ الكريمِ استفهاماتٌ متتابعةٌ ورَدَت بتَقابلاتٍ دَلاليةٍ مُتضادَّةٍ تَكشِفُ عن أَبعادٍ نفسيةٍ يَكونُ عليها المُخاطَبُون المُشرِكُونَ بسِياقِ الحِجَاجِ المُتتابِعِ بالبَراهينِ والتحدِّياتِ التي سَلَّطها اللهُ علَيهِم على لسانِ نبيِّهِ المصطفى (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) وهو يَرُدُّ على المشركينَ بما هم عاجزُون عنِ الصُّمودِ أَمامَه ، وبما عَدِمُوا فيه الدليلَ الذي يُقدِّمونَه ؛ فالخِطابُ الاستفهاميُّ الحَجَاجيُّ يغتنِمُ ((الفرصةَ للتصريحِ بالنتيجةِ المُضمَرَةِ وتَرابُطاتِها المُمكِنةِ))[170] التي تُفحِمُ الخصمَ، وتُوهِنُ خِطابَهُ ، وتُسقِطُ حُجَّتَه ، وتُخسِرُهُ الظَّفَرَ.

وهذا يُفصِحُ لنا عن إرادةٍ واهيةٍ ، وحُبسَةٍ نفسيةٍ كبيرةٍ نتيجةَ إقرارِ هذا الخصمِ إقرارًا نفسيًّا داخليًّا بأَنَّهم فريقٌ لا يَمتَلِكُونَ الدليلَ الذي يُجِيبُون به ؛ فهم يَعلَمُون أَنَّ الأَعمَى يرَى كلَّ شيءٍ أَسودَ وإِن كان هذا الشيءُ ناصعَ البياضِ في ذُروةِ النهارِ المُشمِسِ ؛ فلا مَيزَ عندَهُ بالنظرِ المَعدومِ بينَ ما يَنفعُ وما يَضُرُّ عَكسَ البصيرِ الذي يَرَى الأَشياءَ بنقائِها وإِن عُرِضَت أَمامَه في ليلٍ مُظلِمٍ ؛ لأَنَّ يَقينَ عَينِه يُبصِّرُهُ بحقيقةِ الشيءِ الذي يراهُ ؛ فيمِيزُ ما يراهُ نافعًا مما يراهُ ضارًّا.

---

(169) الدفاع عن الأَفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري ، د. محمد بن سعد الدكان 36. ويُنظر: الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء أُنموذجا ، إيمان درنوني 94.

(170) التقابل الحجاجي في الخطاب القرآني 83. ويُنظر: تجديد المنهج في تقويم التراث ، د. طه عبدالرحمن 174.

لقد تضمَّنَ هذا الحِجَاجُ المُفحِمُ الخَصمَ استفهاماتٍ إنكاريةً لأَنَّ ((السؤالَ يَحمِلُ معَه الجَوابَ ، ولا يَستطيعُ المَسؤُولُ [المُحاجَجُ] إنكارَه ؛ أَمرَ اللهُ النبيَّ محمد (صَلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) أَن يُجيبَ عنهُم **(قُلِ اللهُ)**))[171].

ولو تتبَّعنا مواردَ التقابلِ الحِجَاجيِّ في هذا النصِّ الكريمِ لوجدنا أَنَّها كلَّها قد وردَت تحت العنوانِ التقابليِّ المتضادِّ العامِّ بينَ (الأَعمَى) ، و(البصيرِ) على التعاقُبِ الآتي:

1- التقابلُ المتضادُّ حِجَاجًا في قولِه تعالى: (**قُلْ مَن رَّبُّ السَّماواتِ والأَرضِ قُلِ اللهُ ...)** بينَ قولِ السؤالِ (... **مَن رَّبُّ السَّماواتِ والأَرضِ ...)** الذي لا يُؤمنُ المُخاطَبُونَ المُحاجَجُونَ بمضمونِه ؛ فلا يستطيعُونَ الإجابةَ عنه صراحةً لأَنَّ إجابتَهُم ستُسقِطُ حُجَّتَهُم (وهذه حالُ الأَعمَى) ، وقولِ الجوابِ على لسانِ النبيِّ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) (...**قُلِ اللهُ ...)** الذي يأتي تقريرًا منهُ إفحامًا لهم كأَنَّهُم هم مَن قالَه وقرَّرَه (وهذه حالُ البصير).

2- التقابلُ المتضادُّ حِجَاجًا في قولِه تعالى: (... **قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَولِياءَ لا يَملِكُونَ لِأَنفُسِهِم نَفعًا ولا ضَرًّا ...)** في سؤالِ الاستِهجانِ هذا بينَ اتِّخاذِ ما لا نفعَ ولا ضَرَّ منه لا على نفسِه ولا على مَن سواهُ أَولياءَ (... **أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَولِياءَ لا يَملِكُونَ لِأَنفُسِهِم نَفعًا ولا ضَرًّا ...)** ؛ وهذه حالُ الأَعمَى ، وبينَ تركِ اتخاذِ اللهِ تعالى وليًّا المُكنَّى عنه سُبحانَه بالضميرِ (الهاءِ) في **(مِن دُونِهِ)** وهو الواجبُ اتخاذُه وليًّا وحدَه لا شريكَ له ؛ وهذه تذكرةٌ بحالِ البصير.

3- التقابلُ العامُّ المتضادُّ حِجَاجًا في قولِه تعالى: (... **قُلْ هَل يَستَوِي الأَعمَىٰ والبَصِيرُ...)** في موردِ السؤالِ بينَ (الأَعمَى) وما يُكنَّى به عنهُ ممَّا اشتَمَل عليهِ هذا النصُّ بتقابلاتِهِ العديدةِ المتعاقبةِ ، و(البصيرِ) وما يُكنَّى به عنهُ ممَّا اشتَمَل عليهِ هذا النصُّ بتقابلاتِهِ العديدةِ المتعاقبةِ بيانًا لعدَمِ استوائِهِما ؛ فالأَعمى هو الضالُّ ، والبصيرُ هو المُهتدِي ؛ وهذه حقيقةُ حالِ كلٍّ منهما.

4- التقابلُ المتضادُّ حِجَاجًا في قولِه تعالى: (... **أَم هَل تَستَوِي الظُّلُماتُ والنُّورُ ...)** في مَوردِ السؤالِ بينَ (الظُّلُماتِ) التي هي حالٌ حقيقيةٌ لكلِّ أَعمَى ، و(النورِ) الذي هو حالٌ حقيقيةٌ لكلِّ بصيرٍ بيانًا لعدَمِ استوائِهِما ؛ فالأَعمى سُلُوكًا هو المُظلِمةُ حياتُه تخبُّطًا فيها ، والبصيرُ سُلُوكًا هو المُنوِّرةُ حياتُهُ انكِشافًا فيها.

---

(171) الكاشف 4:362.

5- التقابلُ المتضادُّ حِجَاجًا في قولِه تعالى: (...**أَم جَعَلُوا للهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كخَلقِهِ فتَشابَهَ الخَلقُ علَيهِم قُلِ اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ وهُوَ الواحِدُ القهَّار)** في مَوردِ السؤالِ عن جَعْلِ الخِلقةِ مشتركةً بينَ اللهِ تعالى وما اتَّخذهُ هؤلاءِ المُخاطَبونَ المُحاجَجُونَ من شُركاءَ للهِ ممَّا لا يَملِكُ قُدرةَ الخَلْقِ التي تفرَّدَ بها اللهُ سُبحانَه وحدَه مع بيانِ سُخريةِ السؤالِ الرادعِ بأَنَّ عَمَاكُم قد أَضَلَّكُم حتى ظننتُم أَنَّ خَلْقَ اللهِ لا يُميَّزُ عن خَلْقِ هؤلاءِ الشُّركاءِ بما حُسِمَ برَدعِهِمُ القاصِمِ لظَهرِ حُجَّتِهِم المَيتَةِ توجيهًا للنبيِّ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) بقولِه تعالى: (...**قُلِ اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ وهُوَ الواحِدُ القهَّار**).

فهذا جانبٌ ممَّا وفقني اللهُ تعالى لقراءتِه من فيوضاتِ هذه التقابلاتِ الحِجَاجيةِ التي تُظهِرُ انكسارَ أَنفُسِ المشركينَ نتيجةَ فشلِهِم ، وانعدامِ حُجَّتِهِم مُقابلَ سُمُوِّ نفسِ النبيِّ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) وهو مُحصَّنٌ بقوةِ اللهِ تعالى ، وعَظَمَةِ حُجَّتِهِ البالغةِ إفحامًا، وإقناعًا. وهو ما تَنتَصِرُ به أَنفُسُ المؤمنين ظَفَرًا ، وفوزًا عظيمًا.

إنَّ المُشركينَ يَعلمُون أَنَّ الظلُماتِ التي تَضِيعُ فيها كرامةُ الإنسانِ ، وتُطَوَّقُ بها قُدُراتُهِ وإرادتُه وحريتُه لا تَستوي مع النورِ الذي يَهدِي السالكينَ في رِحابِه وآفاقِه ؛ فهم – إذًا – في موقفٍ نفسيٍّ تُوثِّقُ حقيقتَه هذه المقابلاتُ بأَنَّهم في خُسْرٍ في جولتِهِمُ الحِجَاجيةِ هذه ، وهو الخسران الذي يُصيبُ كلَّ مُشركٍ يَتخِذُ ما لا يَضُرُّ ولا يَنفَعُ إلهًا معَ اللهِ الذي له مَلكُوتُ السماواتِ والأَرضِ وما فيهِنَّ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ ؛ لذا جاءَهم توبيخٌ إلهيٌّ هو مِن صالحِهِم إن أَرادُوا الهُدى بالبصيرةِ بعدَ العمَى بقولِه تعالى: (... **أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَولِياءَ لا يَملِكُونَ لِأَنفُسِهِم نَفعًا ولا ضَرًّا** ...) استِفهامًا حِجاجِيًّا ((بمعنى التوبيخِ على فِعلٍ وقَعَ وكان الأَولَى أَلا يَقَعَ ، أَو على تَركِ فِعلٍ ما كان يَنبغِي أَن يَّقَعَ))[172].

إنَّه الاستفهامُ الذي لو أَلزَمَهُم بجوابٍ لَكشَفَ عن جوابٍ واحدٍ منهُم لا بَديلَ عنه قطُّ هو: نَعَمْ ؛ لقدِ اتَّخَذنا مِن دُونِ اللهِ آلهةً ممَّا صَنَعنا بأَيدينا لا تَملِكُ لنا ولا لأَنفسِها نفعًا ولا ضَرًّا ، ولَبِئْسَ ما اتَّخذْنا ؛ فتَعْسًا لنا !

وهذه الآيةُ الكريمةُ بسلسلةِ تقابلاتِها يُناظِرُ موضوعَها قولُه تعالى: (**مَثَلُ الفَريقَينِ كالأَعمَى والأَصَمِّ والبَصيرِ والسَّميعِ هل يَستَوِيانِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ)** [هود/24] الذي جاء بفُيُوضِ هِدايةٍ تُرشِدُ ((إلى أَنَّه لَمَّا

---

(172) من بلاغة القرآن ، د. أَحمد أَحمد بدوي 126.

ذَكَرَ انسِدادَ العَينِ أَتبَعَهُ بانسِدادِ السَّمعِ ، وبضِدِّ ذلك لَمَّا ذَكَرَ انفِتاحَ البصَرِ أَعقبَهُ بانفِتاحِ السَّمعِ ؛ فما تَضمنَتهُ الآيةُ الكريمةُ هو الأَنسَبُ في المقابلةِ ، والأَتَمُّ في الإعجاز))[173]. والمقابلةُ بينَ الآيتَينِ تتأَتَّى عبرَ أُسلوب الاستفهامِ ليُعلِنَ عنِ الانسدادِ. وهذا يُسمَّى (التقابلَ المعنويَّ) الذي عَبَّر عنه (ابنُ الأَثيرِ/ ت 630هـ)[174] بقولِه: ((واعلَمْ أَنَّ في تقابلِ المعاني بابًا عَجيبَ الأَمرِ يَحتاجُ إلى فَضلِ تأمُّلٍ وزيادةِ نظَرٍ))[175] ؛ فالمعاني لا تَحُدُّها أَلفاظٌ ولا تَراكيبُ ، وهي كما قال (الجَاحظُ/ ت255هـ): ((مَطرُوحةٌ في الطريقِ))[176] ؛ فالتقابلُ بالتراكيبِ ومعانيها ذو أَثرٍ بالغٍ في تَهييجِ النفسِ خَشيةً من تقصيرٍ قد فَعَلَتْهُ ، أَو تَطييبِها جَزاءً عن حُسنَى قد أَنجزَتْها.

المبحثُ الخامسُ/ التقابلُ في السياقِ البلاغيِّ:

(173) البرهان في علوم القرآن 511:3.

(174) عن مدونتي الحواريةِ العلميةِ معَ (أ.د. رجاء عجيل الحسناوي) بتاريخ 16/ 1/ 2025.

(175) المثل السائر 284:2.

(176) الحيوان ، تح: عبدالسلام محمد هارون 315:5.

إنَّ لِفُنونِ القولِ البلاغيةِ وَقعًا كبيرًا وأَثرًا حاضرًا في نفسِ المُتلقِّي ؛ لذا تأتي بصُورِها وأَنماطِها وتراكيبِها واستعمالاتِها المناسبةِ لحالِ المُخاطَبِ والسامعِ ، المُلائمةِ انقِيادًا لمُرادِ المُتكلِّمِ. وما جاءَ به القرآنُ الكريمُ هو الأَبلغُ نظمًا ، والأَشدُّ وقعًا ، والأَمضَى أَثرًا ، ومنه ما انتظمَهُ التقابلُ الدَّلاليُّ المتضادُّ التي قامت عليهِ رسالتي هذه.

ولو أَنَّ مُتكلِّمًا آخَرَ أَتَى بنَظمٍ آخَرَ ولم يأتِ بمِثلِ هذا النظمِ الأَبلغِ أَثرًا بل عبَّرَ بسِواه ما كان بذي تأثيرٍ في المُخاطَبِ ، أَوِ السامعِ.

وإذا كانتِ (الكتُبُ ، والرسائلُ ، والبحوثُ ، والمقالاتُ) اللغويةُ قدِ استوفَت بإفاضةٍ التفاصيلَ الدقيقةَ لفنونِ البلاغةِ العربيةِ ، وما تضُمُّه من أَساليبَ كـ(الاستعارةِ ، والتشبيهِ ، والتمثيلِ ، والكنايةِ ، والمَجازِ ، وسواها) ما يَجعَلُ تكرارَها هنا مِن زيادةِ القولِ مادامت قد أَصبحَت من بَدْهِيَّاتِ المعرفةِ ؛ لذا لم أَقف عندَ عَرضِ الدَّلالاتِ اللغويةِ والاصطِلاحيةِ بمَعرِضِ العنواناتِ الفرعيةِ البلاغيةِ داخلَ المبحثِ بلِ التَزمتُ بعنوانِ موضوعِ المقابلةِ المأخوذةِ من النصِّ القرآنيِّ المُستشهَدِ به نفسِه مع بيانِ الأُسلوبِ البلاغيِّ الذي وردَ به هذا النصُّ بنَظْمِ التقابلِ الدَّلاليِّ المتضادِّ وما يُقرَأُ عنه من بيانٍ دَلاليٍّ نفسيٍّ.

ومِن موضوعاتِ التقابلِ الدَّلاليِّ المتضادِّ التي اكتنَفَها الجانبُ البلاغيُّ في النصِّ القرآنيِّ بأَبعادِه النفسيةِ المَقروءَةِ من التدبُّرِ والإيحاءاتِ التي يَفيضُ بها النصُّ وعَلاقاتُ ارتباطِ تراكيبِه، وأَلفاظِه ما يأتي:

1-التقابلُ بينَ الحقِّ ، والباطلِ:

ورد هذا التقابلُ في قولِه تعالى: (**بَلْ نَقذِفُ بالحَقِّ علَى الباطِلِ فيَدمَغُهُ فإذَا هُوَ زاهِقٌ، ولَكُمُ الوَيلُ مِمَّا تَصِفُونَ)** [الأَنبياء/18].

نقرأُ في هذا النصِّ الكريمِ تقابلا دَلاليًّا متضادًّا بينَ لفظَينِ مُفردَينِ – بما اكتنفَهُ كلٌّ منهما من معانٍ – هما (الحقِّ) ، و(الباطلِ) قد وَرَدَ بتعبيرٍ حَرَكِيٍّ حِسِّيٍّ فيه استعارةٌ لعَمليةِ الضَّربِ على الدِّماغِ نتيجةَ خَلَلٍ في السُّلوكِ وانحرافٍ في الأَداءِ الذي ما يَتحكَّمُ فيه إلا الدِّماغُ نفسُه.

وقدِ استُعمِلَ الفِعلُ (نَقذِفُ) المُسنَدُ إلى ضميرِ التعظيمِ الإلهيِّ مُوَجَّهًا به الحقُّ بكمالاتِه استعارةً ليبانِ سُرعةِ هذا الحَدَثِ وكأَنَّه قذيفةٌ انطلَقَت لِمَحْوِ هدفِها الباطلِ بمَصاديقِه ؛ فليس بخَفِيٍّ على عارفٍ ما للتعبيرِ بالقذفِ بكمالاتِ الحقِّ الدامغةِ من قوةِ تَمكُّنٍ تَهوِي بالباطلِ كلِّهِ كما يَهوِي الإنسانُ

على الأَرضِ بعدَ تعرُّضِهِ إلى ضربةٍ قويةٍ بسُرعةٍ هائلةٍ وقدِ ارتَجَّ دِماغُهُ ، وانعدَمَ ارتِكازُه ، وفقدَ إدراكَهُ مع لَحْظِ أَنَّ الدَّمغَ الذي نعرِفُ مِصداقَه في حياتِنا الدَّارجةِ اليومَ لا يَكونُ من موقعٍ أَو شخصٍ أَدنى (أَقصرَ) إلى موقعٍ أَو شخصٍ أَعلى (أَطوَلَ) بل يكونُ من موقعٍ أَو شخصٍ أَعلى (أَطوَلَ) إلى موقعٍ أَو شخصٍ أَدنى (أَقصرَ) ؛ لأَنَّ الدِّماغَ في هامِ الرأسِ الأَعلى. وللمتبصِّرِ أَن يتخيَّلَ بهذه الاستعارةِ البديعِ تصويرُها الحركيُّ كيفَ يُدمَغُ شخصٌ مُسيءٌ بضربةٍ قاضيةٍ على رأسِهِ تَنزِلُ عليهِ كالقذيفةِ الماحقة ؟!

إذًا ؛ لقدِ استُعيرَ (الدَّمْغُ) على الباطلِ بقوةِ القذيفةِ التي يُرمَى بها العدُوُّ دَلالةً على شِدَّةِ وَقعِ ضَربةِ الحقِّ على الباطلِ كما يَضرِبُ شخصٌ طويلٌ قويٌّ جدًّا رأسَ شخصٍ قصيرٍ ضعيفٍ جدًّا ضربةً نافذةً بسرعةٍ هائلةٍ ؛ فيَشُجَّ رأسَه حتَّى تَبلُغَ ضَربتُه دِماغَه تحقيقًا لإزهاقِ نفسِهِ ، وإذهابِها هالكةً.

إنَّ لهذه الاستعارةُ حركيتَها الفِكريةَ التي تَجعَلُ الفِكرَ يتمثَّلُ أَحداثَ هذا الصراعِ بينَ الحقِّ والباطلِ بما يُظهِرُ يُسرَ الغَلَبَةِ لدى الحقِّ ، وعُسرَ الخُسرانِ عندَ الباطلِ ؛ فهي ((استِعارةٌ لطيفةٌ لأَنَّ أَصلَ استِعمالِ القَذفِ والدَّمغِ في الأَجسامِ ، ثم استُعِيرَ القَذفُ لإيرادِ الحقِّ على الباطلِ ، والدَّمغُ لإذهابِ الباطلِ ؛ فالمُستعارُ منهُ حِسِّيٌّ ، والمُستعارُ له عَقلِيٌّ ؛ فكأَنهُ قيل: بل نُورِدُ الحقَّ الشبيهَ بالجِسمِ القَوِيِّ على الباطلِ الشبيهِ بالجِسمِ الضعيفِ ؛ فيُبطِلُهُ إبطالَ الجِسمِ القويِّ الضعيفَ (**فإذَا هُوَ)** – أَيِ الباطلُ – (**زاهِقٌ**) هالكٌ ذاهبٌ))[177].

لقد ورَدَ هذا التقابلُ بصُورةٍ بلاغيةٍ حِسِّيَّةٍ مَعنوِيةٍ معًا قِوامُها قوةُ الحقِّ ، وضَعفُ الباطلِ، وهي القوةُ التي تَستدعِي إيمانًا ثابتًا ، ويقينًا راسِخًا لا يَصمُدُ أَمامَها باطلٌ واهِنٌ واهٍ.

وممَّا يَجدُرُ بيانُه ((إنَّ استعارةَ المَثَلِ القرآنيِّ لألفاظِه وكلماتِه رُكنٌ من أَركانِه البلاغيةِ التي تَصقُلُ الشكلَ ، وتُضِيءُ الهيكَلَ العامَّ ، ولا تُستعمَلُ فيه باعتبارِها استعارةً فحَسْبُ ، بل لأَنَّها أُسلوبٌ

(177) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أَبوالبركات النسفي 398:2. وينظر: نظم الدرر 400:12.

مُشرِّفٌ من أَساليبِ الصورةِ الفنيةِ التي تَجمَعُ إلى جنبِ العُمقِ في نقلِ اللفظِ وإضافةِ المعنى الحِسَّ والحياةَ في النصِّ الأَدبيِّ))[178].

فللمَثَلِ القرآنيِّ – إذًا – فضاءاتٌ بلاغيةٌ باستعاراتِه وأَلفاظِه وما تَكتَنِفُه مِن إيحاءاتٍ دَلاليةٍ واسعةٍ تَكشِفُ عن حقائقَ مَعنويةٍ زخَّارةٍ.

وقد ذهَبَ (د. مثنى كاظم صادق) في هذا الاستعمالِ القرآنيِّ ((إلى أَنَّ العَلاقةَ الاستعاريةَ ذاتُ أَساسٍ حِجَاجِيٍّ مُقنِعٍ بتبليغِ السياقِ لفِكرةِ انتصارِ الحقِّ على الباطلِ. وقد جاء الحِجَاجُ بالاستعارةِ لِيُوحِيَ بقوةِ هذا الانتصارِ... فقدِ استُعيرَ القذفُ للإيرادِ، والدَّمغُ للمَحْوِ والإزالةِ ، والمزوق[179] للذِّهابِ... وقد جاءت (إذَا) الفُجائيةُ لِتُثبِتَ هذه النهايةَ ، وتُخلِّصَها إلى الحالِ عن طريقِ الجُملةِ الاسميةِ الدَّالةِ على استقرارِ الانتصارِ للحقِّ في النهايةِ))[180].

إنَّ الاستعارةَ بابٌ بلاغيٌ واسعٌ من أَبوابِ البيانِ البلاغيِّ الذي انمازَت به اللغةُ العربيةُ، وما هو واردٌ منها بهذا الوصفِ في القرآنِ الكريمِ بفيوض بيانها إنَّما هو دليلٌ على ذلك.

2-التقابلُ بينَ البُخلِ ، والإسرافِ:

نشهَدُ هذا التقابلَ في قولِه تعالى: (**ولا تَجعَلْ يَدَكَ مَغلُولَةً إِلىٰ عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ فتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا)** [الإسراء/29].

ورَدَ في هذا النصِّ الكريمِ تقابلٌ دَلاليٌّ مُتضادٌّ نشهَدُهُ بتصدُّرِ (لا) الناهيةِ لتَركيبَينِ مُتقابِلَين أَولُهُما قولُه تعالى: **(لا تَجعَلْ يَدَكَ مَغلُولَةً إِلىٰ عُنُقِكَ)** وهو تركيبٌ فِعلِيٌّ جاءَ كِنايةً عنِ النهيِ عنِ البُخلِ والشُّحِّ والامتناعِ عنِ الإنفاقِ والصرفِ على مُتطلَّباتِ الحياةِ الضروريةِ واللازمةِ يُقابِلُه التركيبُ الآخَرُ وهو قولُه تعالى: **(ولا تَبسُطْها كُلَّ البَسْطِ)** وهو تركيبٌ فِعليٌّ جاءَ كِنايةً عنِ النهيِ عنِ البَذْخِ والإسرافِ وتجاوُزِ الحَدِّ الذي لا يُبقِي شيئًا ولا يَذَرُ.

---

(178) الصورة الفنية في المثل القرآني 214. وينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعي، د. محمد العمري 82.

(179) الصوابُ: الزُّهُوقُ.

(180) أُسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المَكية 188.

إنَّ معنى التركيبَينِ من غيرِ (لا) الناهيةِ مذمومٌ ؛ فـ(تجعلُ يَدَكَ مَغلولةً إلى عُنُقِكَ) معناهُ البُخلُ ، و(تَبسُطُها كُلَّ البَسْطِ) معناهُ البَذخُ إسرافًا ؛ فهُما سَلبيانِ على الرغمِ من أَنَّهما تركيبانِ متقابلانِ بالتضادِّ الدَّلاليِّ ؛ فليس واحدٌ منهما تركيبًا إيجابيًّا يُقابلُ الآخَرَ وهو تركيبٌ سَلبيٌّ ، وكِلاهُما يُفصِحُ عنِ الأَبعادِ النفسيةِ المَذمومةِ ، والأَخلاقِ الماليةِ القبيحةِ ، واتخاذِ المنهجِ المرفوضِ الذي يُمثِّلُه كلٌّ منَ البُخلِ والإسرافِ.

وقد تصدَّرَت (لا) الناهيةُ كُلا من هذَينِ التركيبَينِ الفعْلِيَّينِ المذمومَينِ معًا ، المتضادَّينِ بتقابُلِهما تهذيبًا للنفسِ الإنسانيةِ المأمورةِ بالتصدُّقِ 4، والزكاةِ رعايةً للفُقراءِ والمساكينِ وسواهما من المحتاجينَ عبى وجهِ الدَّوامِ ، أَو على وجهِ الظرفِ الطارئِ.

إنَّ الوصفَ الإلهيَّ الأَمثَلَ بهاءً للنبيِّ محمدٍ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) بما يجعلُهُ مَثالا أَسمَى للأَخلاقِ البشريةِ بحقيقةِ قولِه تعالى: (وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عظيمٍ) [القلم/4] يأخُذُ هذا الخِطابَ الكِنائيَّ التقابليَّ المتضادَّ من حِوارِ المُخاطَبِ المباشرِ شخصيًّا إلى حوارِ الناسِ عامَّةً بلسانِ الخاصِّ الذي يُرادُ به العامُّ.

لقد كنَّى اللهُ سُبحانَه لوصفَ البُخلِ بتغليلِ اليدِ – أَي وضعُ الغُلِّ (القَيْدِ) فيها – وجعلِها مغلولةً إلى العُنُقِ ؛ فـ((الكِنايةُ في القرآنِ الكريمِ تَقومُ بدَورٍ هامٍّ في إبرازِ المَعنى وتصويرِه ، وهي كذلك تَرسُمُ صورةً مُهذَّبةً ومُؤدَّبةً ، وبذلك تَتجنَّبُ كلَّ ما يُؤذِي الأُذُنَ. [وبهذا النصِّ التقابليِّ تضادًّا] ...استطاعَتِ الكِنايةُ أَن تَنقُلَ إلينا المعنى قويًّا ومؤثرًا... [وأَن تَتضَمَّنَ] الاعتدالَ والتوسُّطَ))[181] إذ تَتضَمَّنُ الآيةُ معنى التوازنِ بينَ الإسرافِ والبُخْلِ والإفراطِ والتفريط.

وثمةَ مَفاسِدُ شخصيةٌ وأُسَريةٌ ، واجتماعيةٌ من هذينِ المَرَضَينِ الإنسانيَّينِ بيَّنَ هذا النصُّ حقيقتَها[182] ؛ فنهَى عنها وحذَّر منها نَهيًا مانعًا ، وتحذيرًا بارعًا ؛ فمِن مقاصدِ ((النهيِ الصريحِ في القرانِ الكريمِ [أَنَّه] يَدعُو إلى التوازنِ أَوِ الاعتِدالِ ، والتمسُّكِ بالأَخلاقِ والآدابِ الفاضلةِ ، والتَّحلِّي

(181) من دَلائل الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، محمد أَبوعيد155–156. وينظر: التعبير البياني 215.

(182) ينظر: البيان في تفسير القرآن 72.

بها))[183] ؛ فالوَسطيةُ والاعتدالُ من أَوامرِ اللهِ تعالى التي دعا خَلقَه إلى انتهاجِهما ، والعمل بهما اتِّزانًا لازمًا في الحياةِ الماديةِ والمعنويةِ. أَمَّا الإفراطُ والتفريطُ فمنهجانِ سَلبيانِ يُهدِرانِ كثيرًا من الحُقوقِ والطاقاتِ التي يحتاجُها الإنسانُ ومجتمعُه بحقيقةِ قولِه تعالى: (**وكذلِكَ جَعلناكُم أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهداءَ علَى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عليكُم شَهِيدًا...**) [البقرة/143] ، وقولِه تعالى: (**لا يُؤاخِذُكُمُ اللهُ باللَّغْوِ في أَيمانِكُم ولٰكِن يُؤَاخِذُكُم بما عَقَّدتُّمُ الأَيمانَ فكَفَّارَتُهُ إطعامُ عَشَرَةِ مساكِينَ مِن أَوسَطِ ما تُطعِمُونَ أَهلِيكُم أَو كِسوَتُهُم أَو تَحرِيرُ رَقَبةٍ فمَن لَّم يَجِدْ فصِيامُ ثلاثةِ أَيَّامٍ ذلكَ كَفَّارَةُ أَيمانِكُم إذَا حَلَفْتُم...**) [المائدة/89].

3-التقابلُ بينَ تأسيسِ البُنيانِ الحقِّ ، وتأسيسِ البُنيانِ الباطلِ:

يَبينُ لنا هذا التقابلُ في قولِه تعالى: (**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنيانَهُ علىٰ تَقوىٰ مِنَ اللهِ ورِضْوَانٍ خيرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنيانَهُ علىٰ شَفَا جُرُفٍ هارٍ فانهارَ بهِ في نارِ جَهنَّمَ واللهُ لا يَهدِي القومَ الظَّالِمِينَ**) [التوبة/109].

في هذا النصِّ الكريمِ الذي قامَ على مَوردٍ بلاغيٍّ رئيسٍ بالاستِعارةِ مسبوقٍ باستفهامٍ تقريريٍّ – أَدَّتهُ كلٌّ مِن (همزةُ الاستفهامِ) ، و(أَمُ المُعادِلةُ) التي ترتبِطُ بدَلالتِها في سياقِ التوازنِ الاستفهاميِّ بينَ طرفَينِ ترجيحًا تقريريًّا قاطعًا لأَحدِهما على الآخَرِ – تقابلَ الرُّكنُ الأَولُ فيهِ (تأسيسُ البُنيانِ الحقِّ) من طرفَي هذه المقابلةِ المتضادَّةِ وهو قولُه تعالى: (**مَنْ أَسَّسَ بُنيانَهُ علىٰ تَقوىٰ مِنَ اللهِ ورِضْوَانٍ ...**) وهو التركيبُ المُختَصُّ بالبُعدِ الإيجابيِّ الإيمانيِّ المَحمودِ وفُيوضِهِ النفسيةِ الطيبةِ التي تشُدُّ أَزرَ المؤمنِينَ المُتَّقينَ معَ الركنِ الآخِرِ (تأسيسِ البُنيانِ الباطلِ) من طرفَيها وهو قولُه تعالى: (**...مَّنْ أَسَّسَ بُنيانَهُ علىٰ شَفَا جُرُفٍ هارٍ فانهارَ بهِ في نارِ جَهنَّمَ ...**) وهو التركيبُ المختصُّ بالبُعدِ السَّلبِيِّ النفاقيِّ المَذمومِ المُضادِّ بإفرازاتِهِ النفسيةِ قبيحةِ التي تَردَعُ المنافقينَ المتاجرينَ بالدِّينِ لمصالحِهِمُ الشخصيةِ الدنيوية.

وقد جَرَتِ استعارةُ هذا التأسيسِ الإنشائيِّ لبُنيانٍ يُقِيمُهُ صاحبُه على حافَّةٍ تحتَها وادٍ يُهدِّدُها بالانهيارِ نتيجةَ تَشقُّقِها استِعارةً تمثيليةً كِنائيةً تُصوِّرُ حقيقةً واقعيةً لمَن يُؤسِّسُ بُنيانَه المادِيَّ والمعنويَّ على أَساسٍ واهٍ من التدليسِ والتحايُلِ ، والكُفرِ والتطاوُلِ.

---

(183) أَساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم ، يوسف عبدالله الأَنصاري 409.

وهذا التمثيلُ بهذه الاستعارةِ جانبٌ بلاغيٌّ مَجازيٌّ ؛ ((فالمَجازُ هنا تَمثيليٌّ مُركَّبٌ. ولتحقيقِ تصويرِ المعنى بصورةِ المَحسوسِ كانت أَجزاءُ الصورةِ كذلك مَجازيةً ؛ فالبُنيانُ هو الدِّينُ الخالصُ ، وشَفَا الجُرْفِ الهار[184] هو الباطلُ والنفاقُ. وجاء من ذلك كلِّه ذلك المعنى الآسِرِ))[185] ؛ إذ كشَفَ لنا عن دَلالاتٍ إيحائيةٍ واسعةٍ جدًّا تُفصِحُ عن مَضامينِ هذا التقابلِ.

إنَّ في هذا النصِّ التقابليِّ بتضادٍّ طرفَيهِ بينَ الإيجابِ والسَّلبِ يتضمنُ ((استعارةً تمثيليةً لـ((تصويرِ المعنى بشيءٍ من التمثيلِ لتقريبِ الصورةِ والمعنى ، وإيضاحِ القَصدِ للمُتلقِّي... والجَامعُ في الصورةِ الأُولى هو الثباتُ والنجاةُ في حالةِ المؤمنِ ، وفي الثانيةِ التصدُّعُ والهَلاكُ))[186] في حالةِ الكافرِ. ولكُلٍّ منهما أَبعادُهُ النفسيةُ التكريميةُ للمؤمنينَ ، والتقريعيةُ للمنافقين.

وقد ذهَب (الزَّمَخْشَرِيُّ) إلى أَنَّ المُرادَ بقولِه تعالى: (**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنيانَهُ...**) هو من أَسَّسَ ((بنيانَ دِينِه على قاعدةٍ قويةٍ مُحكَمَةٍ ، وهي الحقُّ الذي هو تقوَى اللهِ ورِضوانُه (**...خيرٌ أَم مَّنْ ...**) أَسَّسَهُ على قاعدةٍ هي أَضعفُ القواعِدِ ، وأَرخاها ، وأَقلِّها بقاءً وهو الباطلُ والنفاقُ الذي مَثَلُهُ مَثَلُ (... **شَفَا جُرُفٍ هار...**) في قِلَّةِ الثباتِ والاستِمساكِ. وَضَع (شَفَا الجُرُفِ) في مُقابلةِ (التقوَى) ؛ لأَنَّه جُعِل مَجازًا عمَّا يُنافِي التقوَى))[187].

وهذا يَعني أَنَّ مَبانيَ الإنسانِ العَقَدِيةِ إذا كانت سليمةً صحيحةً رصينةً كانت نتائجُ أَعمالِه سليمةً صحيحةً كذلك ؛ لأَنَّ البِناءَ قَوِيٌّ وأُسُسُه قويةٌ. أَمَّا إذا كانت مَبانِيهِ العَقَدِيةُ سَقيمةً خاطئةً واهيةً هشَّةً كانت نتائجُ أَعمالِه سقيمةً خاطئةً واهيةً هشَّةً كذلك؛ لأَنَّ مَبانِيَهُ واهيةٌ ركيكةٌ هشَّةٌ ، وأُسُسُهُ كذلك. ((وتَبدُو مشاهدُ القيامةِ في القرآنِ – بتوظيفِ الصورةِ المَجازيةِ – قوةً مُتسلِّطةً ضاغطةً على عواطِفِ المُتلقِّي باتجاهينِ أَحدُهما ترغيبيٌّ ، والآخَرُ ترهيبيٌّ ؛ فهذانِ الاتجاهانِ بمنزلةِ الأَساسِ الذي

---

(184) الصوابُ: الهاري.

(185) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، د. عبدالعظيم المطعني 1:471.

(186) ينظر: نظرية البيان العربي ، د. رحمن غركان 293–294.

(187) الكشاف 2:332–333.

بُنِيَت عليهِ مشاهدُ القيامة))[188]. وهذا مِن صَميمِ الحِكمةِ الإلهيةِ لخَلقِه في بيانِ جَلْبِ المَصالحِ ، ودَرْءِ المَفاسِدِ.

4-التقابلُ بينَ إيتاءِ المُلكِ ، ونَزعِه:

وهو التقابلُ الذي وردَ به قولُه تعالى: (**قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ المُلْكِ تُؤتِي المُلْكَ مَن تَشاءُ وتَنزِعُ المُلْكَ مِمَّن تَشاءُ وتُعِزُّ مَن تَشاءُ وتُذِلُّ مَن تَشاءُ بِيَدِكَ الخَيرُ إِنَّكَ علَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**) [آل عمران/26].

بالتدبُّرِ الوافي في هذا النصِّ الكريمِ نَجِدُ أَنَّ تقابلا متضادًّا واضحًا قد وردَ في طرفَينِ متقابلَينِ فيهِ هما قولُه تعالى: (...**تُؤتِي المُلْكَ مَن تَشاءُ**...﴾ وهو مَورِدُ الرحمةِ الإلهيةِ للابتلاءِ الاختباريِّ بهذا المَنحِ والإتيانِ للمُلْكِ لمَن تمتَّعَ به وهو يَخشَى اللهَ سُبحانَه ، وقولُه تعالى المُضادُّ: (...**وتَنزِعُ المُلْكَ مِمَّن تَشاءُ**...) وهو مَوردُ الغضبِ الإلهيِّ للتأديبِ بهذا السَّلْبِ والنَّزعِ للمُلكِ ممَّن كان يتمتَّعُ به فلم يَرقُبِ اللهَ فيه.

إذًا ؛ قام هذا النصُّ بهذه الاستعارةِ المُعبَّرِ لها بعمِليَّتَيِ (الإتيانِ) والمَنْحِ ، و(النَّزعِ) والأَخذِ ؛ فالمَنحُ الإلهيُّ قد كُنِّيَ عنه بالإتيانِ ، والإتيانُ بحقيقتِهِ بالحركةِ والوُصولِ بقَصدٍ مُحدَّدٍ إلى مقصودٍ مُحدَّدٍ ، وهنا تتجلَّى النعمةُ الإلهيةُ بأَنَّه يَجعلُ مِن مِنحةً حِسِّيةً تُعطَى ، وتَنتقِلُ بانسيابيةٍ توجيهيةٍ لتكونَ ذاتيةً فيما بعدَ التملُّكِ.

أَمَّا الأَخذُ الإلهيُّ فقد كُنِّيَ عنه بالانتزاعِ المأخوذِ من النَّزعِ وهو خَلعُ الشيءِ مِمَّا كانَ ملتصِقًا به ؛ وهذه حقيقةُ ما لدى الإنسانِ ممَّا هو ليس لهُ ولا منه في أَساسِه ؛ فالمُلكُ شيءٌ خارجيٌّ لا يَمتَلِكُه الإنسانُ نفسُه ، ويُمكِنُ انتزاعُه منه كما يُنزَعُ القميصُ ممَّن يرتدِيهِ ؛ فيَصيرُ عارِيًا مُجرَّدًا منه لا يَقوَى على سَتْرِ نفسِه بغيرِ ما نُزِعَ منه ؛ لأَنه اللباسُ الساتِرُ. وهذا يَحصُلُ نتيجةَ العِقابِ الذي يَستحِقُّه المُذنبُ أَوِ الابتلاءِ الذي يُختَبَرُ به الإنسانَ.

ومن مبادِعِ البيانِ هذا المَوردُ القرآنيُّ التقابليُّ المتضادُّ ((فهناكَ لفظةُ (تُؤتِي) التي تُقابِلُ لفظةَ (تَنزِعُ) وهما يُمثِّلانِ عَلاقةً دَلاليةً ، ومِن جانبٍ آخَرَ يُمثِّلانِ آصِرَةً ذِهنيةً ، وقد يُمثِّلانِ آصِرةَ تَوازُنٍ... والآيةُ الكريمةُ تكشِفُ عن سُلطانِ اللهِ الشاملِ سبحانَه وتعالى وقدرتِه القادرةِ الكاملة وإرادتِه

(188) التصوير المجازَي أَنماطه ودلالاته في مشاهد القيامة في القرآن 146.

التي تحتوي كلَّ شيءٍ ، وتتصرفُ في الكونِ والأَشياءِ بلا حدودٍ ؛ فالإتيانُ يُوحِي بالبَسْطِ والعَطاءِ ، والإغداقُ قد يُصبِحُ نَزْعًا وأَخذًا وحِرمانًا))[189].

إنَّ المُلكَ للهِ تعالى وحدَه ؛ فهو مالكُ المُلكِ الذي (**لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ والأَرضِ ، يَبْسُطُ الرِّزقَ لِمَن يَّشَاءُ ويَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ**) [الشورى/12].

قال (أَبوالسُّعُودِ العماديُّ/ ت 951هـ) في بيانِ هذا التقابلِ من وُجهةٍ بلاغيةٍ: ((فالمُلكُ الأَولُ حقيقيٌّ عامٌّ ومَملوكِيتُهُ حقيقيةٌ ، والآخَرانِ مَجازيانِ خاصَّانِ ونِسبتُهُما إلى صاحبِهما مَجازيةٌ. وقيلَ: المُلكُ الأَولُ عامٌّ والآخَرانِ بَعضانِ منه فتأمَّلْ))[190] ؛ فالمُلْكُ للهِ وحدَه الذي (**بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كلِّ شَيءٍ وهُوَ يُجِيرُ ولا يُجَارُ علَيهِ**) [المؤمنون/88].

وممَّا يُستأَنَسُ بذِكرِه أَنَّ هذا النصَّ التقابليَّ قدِ افتُتِحَ بـ(اللهُمَّ) وهو نِداءٌ للهِ تعالى يُفيدُ الدُّعاءَ ؛ فـ((مِنَ الأَساليبِ التي اتَّبَعَها القرآنُ – لتحقيقِ أَعلَى درَجاتِ التفاعلِ بينَ المُرسِلِ والمُتلقِّي في عمليةِ التواصُلِ – أُسلوبُ النداءِ الذي يُعَدُّ أَحَدَ أَبرزِ مَظاهرِ اللغةِ الانفعاليةِ ؛ نظرًا لِمَا في أَدواتِه من المُحفِّزاتِ الناتجةِ عنِ الانفعالِ والمُؤدِّيةِ للوظيفةِ الانتباهيةِ عندَ المُخاطَبِ. وتُوفِّرُ هذه الوظيفةُ الانفعاليةُ من القِيمةِ الإبلاغيةِ والحِدَّةِ التعبيريةِ ما لا طاقةَ لغيرِها به))[191] ؛ فالنداءُ قَصدٌ ودَعوةٌ لا يُوجِّهُها المُتكلِّمُ إلا لمُنادَى ذي شأنٍ وأَثَرٍ وحُضورٍ في ميدانِ قَصَدَه بالنداءِ على سبيلِ خيرٍ.

5–التقابلُ في الإنفاقِ بينَ الإيمانِ ، والرِّياءِ:

نقرأُ هذا التقابلَ في قولِه تعالى: (**يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُم بالمَنِّ والأَذَىٰ كالَّذِي يُنفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ ولا يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فمَثَلُهُ كمَثَلِ صَفْوانٍ علَيهِ تُرابٌ فأَصابَهُ وابِلٌ فتَرَكَهُ صَلْدًا لا يَقْدِرُونَ علَىٰ شيءٍ مِّمَّا كَسَبُوا واللهُ لا يَهدِي القومَ الكافِرِينَ**) [البقرة/214].

ورَدَ في هذا النصِّ الكريمِ تقابلٌ دَلاليٌّ مُتضادٌّ انتظَمَهُ تركيبٌ تَشبيهِيٌّ تضمَّنَ استعارتَينِ مُتضادَّتَينِ بينَ سِيرةٍ حُسنَى مُصطَنَعةٍ للتباهي هي (الرِّياءُ في التصدُّقِ) وحقيقةٍ واقعةٍ لهذه الحُسنَى هي (التصدُّقُ) على المحتاجينَ المؤمنين بما فيهِ تهذيبٌ وتزكيةٌ للنفسِ من شوائبِ النفاقِ وعوالقِ

---

(189) خطرات في اللغة القرآنية ، د. فاخر الياسري 155.

(190) تفسير أَبي السُّعود المُسمَّى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أَبوالسعود 21.

(191) الدَّلالة النفسية في القرآن الكريم مقاربة في سِيماء التواصل 200.

الغرورِ والكِبْرِ ؛ فتركيبُ (**لا تُبطِلُوا صَدَقاتِكُم بالمَنِّ والأَذَى**) يتضمنُ رُكنَيِ التقابلِ المتضادِّ معًا في نَظمِ جُملةٍ واحدةٍ مُصدَّرةٍ بـ(لا الناهيةِ) التي يُحذَّرُ بها المؤمنُونَ – في الرُّكنِ الأَولِ السَّلبيِّ من رُكنَيِ التقابلِ هذا – مِن فِتنةِ المَنِّ والأَذَى من المُنفِقِ على المُنفَقِ عليهِ بالاستِهزاءِ به أَوِ استِصغارِه وإذلالِه أَو تعييرِه وإهانتِه مُقابلَ الرُّكنِ الآخَرِ الإيجابيِّ (صَدَقاتِكُم) الذي يتضمَّنُ الحَثَّ على (إعطاءَ الصَّدَقَةِ) بوصفِها تشريعًا خيريًّا لازمًا.

أَمَّا موردُ التشبيهِ التقابليِّ لإبطالِ الصَّدَقاتِ بعدَ هذا التقابلِ الرئيسِ (**لا تُبطِلُوا صَدَقاتِكُم بالمَنِّ والأَذَى**) فقد جاءَ بمَورِدَينِ مُتعاقبَينِ هما:

1- قولُه تعالى: (**كالَّذِي يُنفِقُ مالَهُ رئاءَ النَّاسِ ولا يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ**) الذي تضمَّنَ طرفَيِ تقابلٍ مُتضادٍّ تشبيهيٍّ جديدٍ أَولُهما (**كالَّذِي يُنفِقُ مالَه...**) وهو جانبُ الخيرِ بإنفاقِ المالِ ، والآخَرُ (**...رئاءَ النَّاسِ ولا يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ**) وهو جانبُ الشرِّ بالرِّياءِ حُبًّا بالسُّمعةِ وجلْبِ نظَرِ الناسِ إليهِ ليَعلَمُوا هم أَنه يُنفِقُ فيَمدَحونَه ، لا التِفاتًا إلى اللهِ تعالى فقط ؛ لأَنه لا يُؤمنُ باللهِ ولا بيومِ الحِساب.

2- قولُه تعالى: (**فمَثَلُهُ كمَثَلِ صَفْوانٍ علَيهِ تُرابٌ فأَصابَهُ وابِلٌ فتَركَهُ صَلْدًا لا يَقْدِرُونَ علَىٰ شيءٍ مِّمَّا كَسَبُوا واللهُ لا يَهدِي القومَ الكافِرِينَ**) الذي تضمَّنَ تمثيلا للذي يُنفِقُ (**فمَثَلُهُ**) أَي مَثَلُ هذا المُنفِقِ وإنفاقِه – وهو فِعلُ خيرٍ لو أَنه أَحسَنَ أَداءَه لوجهِ اللهِ تعالى – كحَجَرٍ شديدِ الملاسةِ عليهِ تُرابٌ لا يَكادُ يقوَى على التمسُّكِ بهذا الحَجَرِ لشدةِ مَلاستِه ؛ فغَسَلَهُ انصِبابُ مَطَرٍ شديدٍ أَزالَ كلَّ ذرةِ تُرابٍ كانت قد عَلِقَت به ؛ فتركَه أَملَسَ منزوعًا من أَي تبعةٍ لذلكَ الترابِ الذي كان يُغطِّيهِ ما يأخُذُ هذه الصورةَ الحرَكيةَ الرائعةَ لنقرأَ بها زوالَ الأَجرِ من كلِّ صدَقةٍ يتبعُها مَنٌّ أَو أَذًى لا تُمنَحُ لوجهِ اللهِ تعالى سِرًّا ، أَو عَلَنًا بتوقيرٍ وحِفظٍ لماءِ الوجهِ ، بل تُمنَحُ رياءً وصاحبُها مُراءٍ كافرٍ.

إنَّ صورَ التشبيهِ في هذا النصِّ التقابليِّ قد جاءت متعددةً بتقابلاتِها ، واستعاراتِها وأَمثالِها تداخلا بيانيًّا يُفصِحُ عن كمالِ البيانِ القرآنيِّ الذي تَقِفُ اللغةُ بأَكملِ نصوصِها البشَريةِ عاجزةً عن بلوغِ هذا المستوَى من التداخلِ التقابليِّ التشبيهيِّ الاستعاريِّ التمثيليِّ.

قال (د. عبدُاللهِ أَحمد الزيوت): ((هذا المَثَلُ يُثيرُ الخوفَ في المؤمنِ ليَرتَدِعَ عمَّا يُبطِلُ صدقاتِه ، ويَحُولُ بينَه وبينَ ثوابِها في الدارِ الآخرةِ. وهكذا تَعمَلُ الأَمثالُ القرآنيةُ على إظهارِ الذَّمِّ للأَمر

وتحقيرِه أَو إبطالِه أَو بيانِ سُوءِ عاقبتِه وشدةِ عذابِهِ لإثارةِ النُّفورِ والاشمئزازِ منه والخوفِ والحَذَرِ من عقابِه وُصولا إلى الردعِ ؛ ممَّا جعلَها ضِمنَ طُرُقِ الردعِ في القرآنِ الكريمِ))[192] ؛ فأُسلوبُ التمثيلِ – إذًا – مِن أَساليبِ الردعِ للنفسِ الإنسانيةِ الجَامحةِ نحوَ مَلذَّاتِها وانحلالِها ولَهْوِها ولَعِبِها بما تكشِفُهُ هذه التقابلاتُ التي ((تُشبِّهُ حالَ هؤلاءِ الذين يتصدَّقونَ بأَموالِهم ، ثم يُتبِعُونَ هذا العملَ النبيلَ في ذاتِه مَنًّا على مَن يتصدَّقون عليهِم ، وجَرحًا لمشاعرِهِم بما يُذيعُونه من حديثِ عطائِهِم إيَّاهُم وإنفاقِهم عليهِم، وأَيضًا حالُ أُولئكَ الذين يُنفِقون أَموالَهم في سبيلِ اللهِ لا عن رغبةٍ حقيقيةٍ في الإنفاقِ ، ولا عن باعثٍ أَصيلٍ في الخيرِ وإنما رغبةً في الظهورِ أَمامَ الناسِ دونَ أَن يُؤسَّسَ ذلك على عقيدةِ الإسلامِ الأُولى وهي الإيمانُ باللهِ واليومِ الآخِرِ. تُشبِّهُ الآيةُ حالَ هؤلاءِ وأُولئِكَ جميعًا في فقدانِ المِهادِ الطيِّبِ والأَساسِ الصالحِ الذي يَرتَكِزُ عليه العملُ ، وما يترتبُ على ذلك من عَبَثِ الجُهدِ وسَلبيةِ النتيجةِ بحالِ الحَجَرِ الصَّلْدِ الأَملسِ))[193].

وبعدَ هذه السِّلسلةِ من التقابلاتِ بأَساليبِها البلاغيةِ في هذه الآيةِ تأتي الآيةُ الأُخرى التي تَعقُبُها بمعنى آخَرَ مُقابلٍ عامٍّ مُضادٍّ للمعنى الأَولِ العامِّ الذي انتظمتْهُ الآيةُ السابقةُ وهي قوله تعالى: **(ومَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموالَهُمُ ابتِغاءَ مَرضاتِ اللهِ وتَثبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كمَثَلِ جَنَّةٍ برَبْوَةٍ أَصابَها وابِلٌ فآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَينِ فإن لَّمْ يُصِبْها وابِلٌ فطَلٌّ واللهُ بما تَعملُونَ بَصِيرٌ)** [البقرة/256].

فهذا إنفاقُ المؤمنين المُتَّقينَ لأَموالِهِم طاعةً للهِ ؛ فيكونُ ثوابُهُم عظيمًا يفوقُ ما قدَّمُوا ممَّا لم يُتبِعُوهُ مَنًّا ولا أَذًى ، ولم يُقدِّمُوهُ طلبًا لرضا الناسِ وحُبِّ استحصالِ ثنائِهم ومديحِهِم[194].

إنَّ الصدَقةَ الممنوحةَ لوَجهِ اللهِ تعالى كالزرعِ الذي يُسقَى فيَنمُو ويُثمِرُ ويتفرَّعُ بفُيُوضٍ من الجَنَى والقِطافِ ؛ فالصدَقةُ – إذًا – تكريمٌ يَحظَى به المُتصدِّقُ نفسُه قبلَ المُتصَدَّقِ عليهِ بها. أَمَّا الرِّياءُ

---

(192) أُسلوب الردع في القرآن الكريم 63. وينظر: أَساليب الأَمر والنهي في القرآن الكريم 382.

(193) التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية ، د. شفيع السيد 86.

(194) ينظر: التعبير البياني 86–87 ، وموسوعة التفسير البلاغي ، نخبة من علماء مجمع القرآن الكريم بالشارقة 4:229–230.

فإذلالٌ يَكتَسبُهُ المُتصدِّقُ نفسُه لنفسِه قبلَ المُتصَدَّقِ عليهِ بها لأَنَّ صاحبَها بعيدٌ عنِ العِزِّ بصِدْقِ الأَداءِ ذليلٌ بالكَذِبِ بحالةِ الرِّياءِ.

الفصلُ الثانـي

مَجالاتُ التقابلِ المُتضادِّ، وموضوعاتُها ، ودَلالاتُهُ النفسيةُ

المبحثُ الأَولُ/ التقابلُ في المجالِ العَقَدِي.

المبحثُ الثانـي/ التقابلُ في المجالِ التشريعِي.

المبحثُ الثالثُ/ التقابلُ في المجالِ الاجتماعِي.

المبحثُ الأَولُ / التقابلُ في المجالِ العَقَدِيِّ:

توطِئةٌ:

العقيدةُ هي المَناطُ الذي يَحكُمُ الإنسانَ هدايةً له تَحقيقًا لكَمالاتِ النفسِ ونِعمةِ الحياةِ واطمِئنانِ القلبِ ؛ فما دامَ العقلُ هو المنظومةَ القياديةَ للإنسانِ بهِ يُوجِّهُ انفعالاتِهِ وتصرفاتِهِ ، وبهِ يَحكُمُ على مُحيطِهِ وعَلاقتِه بما يراه مناسبًا فإنَّ الاعتقادَ من لوازمِ هذه المنظومةِ العقليةِ به يَكتشِفُ الإنسانُ سببَ وجودِه ، ويهتدِي إلى خالقِه ، ويَعرِفُ ما يَحِقُّ لهُ وما يجِبُ عليه ، ومآلَهُ الذي سيَنتهي إليه ؛ فالعقيدةُ – إذًا – عَقدٌ بينَ الإنسانِ وثوابتِ وجودِه من جهةٍ ؛ لتحقُّقِ هذا العَقْدِ بينَه وبينَ خالقِه يقينًا من جهةٍ أُخرى.

ومن هذه الحقيقةِ يَبِينُ لنا أَنَّ القرآنَ الكريمَ قد أَولى العقيدةَ عنايةً كبرى في موارِدِ آياتِه وصورِه ، وعلى رأسِ أُصولِ الدِّينِ والعقيدةِ يأتِي التوحيدُ بمِصداقِ قولِه تعالى: **(ومَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)** [الذاريات:56] ، وقولِه تعالى: **(ولقَد بَعثْنَا في كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعبُدُوا اللهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)** [النحل/ 36]. ومن هذا الأَصلِ تتفرَّعُ الأُصولُ الأَربعةُ الأُخَرُ المؤديةُ إلى أصلِ التوحيدِ ، وهي (العَدْلُ ، والنبوةُ ، والإمامةُ ، والمعادُ).

إنَّ النفْسَ ترتكزُ على كلِّ بُعدٍ غَيبيٍّ يُؤمِّنُ لها الارتباطَ بالمُطلقِ فتتحولُ تلك الارتكازاتُ إلى مُدركاتٍ يَقينيةٍ تُسمَّى الاعتقاداتِ ؛ فتَستحكِمُ على الإنسانِ لتكونَ فيما بعدُ مُنطلَقًا لمواجهاتِه ورؤيتِه إلى الوجودِ والخالقِ والذاتِ ولا سيَّما ما يتعلقُ بالمُعتقَداتِ الدينيةِ بأُصولِها وفروعِها كالتوحيدِ ، والنبوةِ ، والمعادِ، وما كان من توابعِها كالإمامةِ التي هي من توابعِ النبوةِ ، والعَدلِ الإلهيِّ الذي هو من توابعِ التوحيدِ[195].

إنَّ العقيدةَ ((مأخوذةٌ من العَقْدِ بمعنى الربطِ ؛ وذلك لأَنَّ العقيدةَ هي المعلوماتُ التي ارتبطَت بالقلوبِ ، وترسَّخَت في الأَنفسِ فما يُوجَدُ في ذهنِ الإنسانِ من معلوماتٍ لا يُسمَّى عقيدةً ما لم يَتأَكَّدْ منه ، ويَقطَعْ به ، ويَعقِدْ عليه قلبَه))[196].

---

(195) ينظر: عقيدتنا المعرفة الدينية ، الشيخ مالك العاملي 9.

(196) المعارف الإسلامية ، مؤسسة المعارف الإسلامية للثقافة ، النجف الأَشرف 1.

والعقيدةُ بالمعنى العامِّ هي الإيمانُ واليقينُ الجَازمُ الذي لا يتخلَّلُه شكٌّ لدى مُعتقِدِه. وبالمعنى الأَخصِّ هي ما يَنعقِدُ عليهِ قلبُ المَرءِ ، ويَتخذُهُ دِينًا ومَذهبًا بما لا يتطرقُ إليه الشكُّ فيه ، وبالمعنى الأَخصِّ فيما يَجبُ للهِ عزَّ وجلَّ من الوَحدانيةِ والرُّبوبيةِ والإقرارِ بالعبادةِ، والإيمانِ بأَسمائِهِ الحُسنَى وصفاتِه العُليا ، وملائكتِه ، وكتبِه ، ورُسلِه ، واليومِ الآخِرِ[197].

وما جاء في القرآنِ الكريمِ من تصوُّراتٍ لمنظورِ العقيدةِ وعَلاقتِها بسلامةِ الإيمانِ للإنسانِ قد عُرِضَ بحالاتٍ متنوعةٍ لعقيدةِ المسلمِ ، والكافرِ ، والمؤمنِ ، والمشركِ ، وتجاوَزَ ذلك إلى بيانِ الطبيعةِ الإيمانيةِ للجماعاتِ المختلفةِ من المشركينَ واليهودِ والنصارَى والمنافقينَ والكافرينَ ؛ ((فلكُلِّ هؤلاءِ تصوُّراتٌ ذِهنيةٌ حولَ الكونِ وخالقِه، وعن الأُلوهيةِ والربوبيةِ كلٌّ بحَسْبِه ؛ فخاطبَهُمُ القرآنُ الكريمُ مصحِّحًا لهم اعتقاداتِهم بعَرضِ وجهةِ النظرِ القرآنيةِ ، ووُجهةِ نظرِهِم))[198].

وفي ظِلِّ التعالُقِ الوشيجِ بينَ النفْسِ والعِبادةِ يتحصَّلُ لنا البحثُ عنِ ((السؤالِ المركزيِّ في تلك الغاياتِ بما يَنبعِثُ عن إيجادِ آصرةِ العَلاقةِ بينَ تلك الممارساتِ العِباديةِ والانعكاسات النفسية ، وما الغايةُ منها ؟ وكيف تتجلَّى ؟

في الحقيقة إنَّ التنوعَ في تلك الممارساتِ باختلافِ الأَزمنةِ والأَمكنةِ والشخوصِ هو سلوكٌ ذاتيٌّ يؤسَّسُ على بُعْدٍ حسِيٍّ تارةً ، ومعنويٍّ تارةً أُخرى دافِعيتُهُ تنسَجِمُ مع حاجاتِ الإنسانِ ورغَباتِه الماديةِ والنفْسيةِ وإن كان البُعدُ الذي يَحمِلُ تلك الأَفعالَ في نهايتِه الكبرى دِينيًّا ؛ فإنَّ الهاجسَ الأَساسَ هو الشعورُ النفْسيُّ بالحاجةِ إلى إعادةِ التوازنِ المفقودِ في النفسِ رجاءً ورغبةً وخوفًا وغيرَ ذلك. ثُم إنَّ التعبيرَ عن تلك المنظومةِ التوحيديةِ بتلك المُمارساتِ العِباديةِ هي استشعارٌ لحضورِ المُطلَقِ في الوُجدانِ النفسيِّ بتلك التجلِّياتِ من الطقوسِ المختلفة))[199].

---

(197) مبادئ العقيدة الإسلامية ، د. مصطفى سعيد الخن 14 – 15. وينظر: عقيدتنا المعرفة الدينية 7 –10.

(198) دروس تمهيدية في العقائد ، عماد الكاظمي 6.

(199) مدونة حوارية مع أُستاذي المشرفِ (أ.د. هادي شندوخ حميد) في الساعة العاشرة صباحًا بتاريخ 2025/4/2.

وإن كانت تلك الأَعمالُ العباديةُ التوحيديةُ قد أُسِّست في ممارساتٍ سلوكيةٍ مختلفةٍ فإنَّ الإطارَ العامَّ أَو حَيْزَ ظُهورِها تعبيرًا هو اللغةُ ؛ لأَنَّها تُمثِّلُ النصيبَ الآخَرَ في الدَّلالةِ على تلك المَشاعرِ الواصفةِ. ولعلَّ أَحَدَ الأُطُرِ التي تتحوَّلُ فيها تلك اللغةُ للتعبيرِ عنِ المنحَى العَقَدِيِّ في تجلِّياتِ اللغةِ التقابلُ بما فيه من خصوصيةٍ إقناعيةٍ تُعمِّقُ الدَّلالاتِ في مفاهيمَ واسعةٍ من البُنَى العاطفيةِ الصانعةِ لحقائقَ ذاتِ معطياتٍ مكثفةٍ.

وتجدُرُ الإشارةُ إلى أَنَّ من مصاديقِ التقابلِ في مجالِ الاعتقاداتِ ما نَلحظُهُ في آياتٍ كثيرةٍ تتحدثُ عن المُقابلةِ بينَ الإيمانِ والكُفرِ[200] باختلافِ درجاتِ الإيمانِ والكفرِ، وكذلك التوحيدُ في الذاتِ والصفاتِ والأَفعالِ الخالقيةِ ، والربوبيةِ ، والعبادةِ، والطاعةِ.

ومن مواردِ التقابلِ الدَّلاليِّ المُتضادِّ بأَبعادِهِ النفسيةِ ما جاء بحسبِ أَصلِ الموضوعِ العَقَدِيِّ ما يأتي:

أَولا/ التقابلُ في مجالِ التوحيدِ:

لا يَقِفُ المُدَّبِّرُ عاجزًا عن الفَهْمِ النافذِ في ذِهنِه من مُعطياتِ قولِه تعالى: **(قُلْ هو اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ)** [الإخلاص/1-4] قَدْرَ ما يستدعيهِ هذا النصُّ القاطعُ من سياحةٍ فِكريةٍ – لكلِّ سائلٍ ومُتبصِّرٍ – في فضاءاتِ مقاطعِ هذا النصِّ الإعجازيِّ الكريمِ الذي ثَبَتَ فيهِ الجوابُ عنِ اللهِ تعالى شأنُه ، وانعدَمَ مِثْلُه لسائلٍ يُتخَيَّلُ سؤالُهُ: مَنِ اللهُ ؟

وسُئِلَ الإمامُ عليٌّ (عليهِ السلامُ) عنِ التوحيدِ ؛ فقال: ((التوحيدُ أَلا تَتوهَّمَهُ))[201] أَي يجبُ أَن يَعدَمَ الإنسانُ في وَهمِهِ ومُخيِّلتِه صورةً يَقيسُ اللهَ سبحانَه وتعالى بها ؛ فهو الذي وصفَ نفسَه

(200) ينظر: الفوائد العقدية ، عبدالرحمن اليماني ، تح: علي بن محمد العمران 23.

عزيزًا **(ليسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ)** [الشورى/11] ؛ فلا يُقاسُ بشيءٍ خَلَقَهُ هو، ولا يُقاسُ بهِ شيءٌ من خَلْقِهِ هو.

ومِنَ الموضوعاتِ التي وردَ التقابلُ الدَّلاليُّ المُتضادُّ لها في مجالِ التوحيدِ بما اضطَمَّ عليهِ من دَلالاتٍ نفسيةٍ ما يأتي:

1-التقابلُ بينَ الإحياءِ ، والإماتة:

ومن شواهدِه القرآنيةِ قولُه تعالى: **(وهُوَ الَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ ولَهُ اختِلافُ اللَّيلِ والنَّهارِ ۚ أَفَلَا تَعقِلُونَ)** [المؤمنون/80].

جاء في هذا النصِّ القرآنيِّ الكريمِ ما يتصلُ بحُجَّةٍ عَقَدِيَّةٍ بيَّنَها اللهُ سبحانَه لخَلقِه ، وجعلَها بُرهانًا لا قدرةَ لهم على إنكارِه أَو نسبتِه إلى غيرِه ، وهي الحُجةُ التي قام عليها التقابلُ الدَّلاليُّ المُتضادُّ بأَبعادِهِ النفسيةِ التي تَضمَنُ للإنسانِ صلاحَ بالِه وسلامةَ حالِه وكرامةَ سبيلِه ((إذ تُحققُ لديه الإيمانَ بأَنَّ اللهَ سبحانَه هو الذي يُحيِي وحدَه ، وهو يُمِيتُ وحدَه ، وهو الذي يُعاقِبُ الليلَ والنهارَ بمُعادلةٍ فلَكِيةٍ تتصلُ بالإحياءِ والإماتةِ اتصالا وثيقًا ؛ فإنَّ النهارُ الذي جعلَهُ اللهُ تعالى وقتًا للحركةِ وكسْبًا للعيشِ هو مصداقُ الحياةِ ، وإنَّ الليلَ الذي جعلَه اللهُ تعالى وقتًا للسُّباتِ والنومِ (الموتِ المؤقتِ) هو مصداقٌ للإماتةِ التي لا يَقوَى على الأَمرِ بها إلا اللهُ سبحانَه وتعالى))[202] ؛ والدليلُ على ذلك قولُه تعالى: **(وجَعَلْنا نَومَكُم سُبَاتًا ، وجَعَلْنا الَّيلَ لِباسًا)** [النبأ/9-10] ، وقولُه تعالى: **(اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوتِهَا والَّتِي لَم تَمُتْ في مَنامِها ۖ فيُمسِكُ الَّتِي قَضَىٰ علَيهَا المَوتَ ويُرسِلُ الأُخرَىٰ إِلىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ في ذٰلِكَ لَآياتٍ لِّقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ)** [الزمر/42].

---

(201) شرح نهج البلاغة ، ابن أَبي الحديد ، تح: محمد أَبوالفضل إبراهيم 227:20.

(202) عن مدونتي الحواريةِ العلميةِ معَ (أ.د. علي عبدالفتاح) بتاريخ 10/ 4/ 2025.

وحقيقٌ على أَن يُنظَرَ إلى (البَعثِ) في ظلِّ هذا النصِّ القرآنيِّ لأَنَّه ((لَمَّا كانت حقيقةُ البعثِ إيجادَ الشيءِ كما هو بَعدَ إعدامِه ذَكَّرَهُم بأَمرٍ طالَمَا لابَسُوهُ وعالَجُوهُ ومارَسُوهُ؛ فقال: (وله) أَي وحدَه لا لغيرِه ((اختِلافُ الليلِ والنهارِ))... فدَلَّ تعاقبُهُما على تغيُّرِهِما ، وتَغيُّرُهُما بذلك بالزيادةِ والنقصِ على أَنَّ لهما مُغيِّرًا لا يَتغيَّرُ ، وأَنَّه لا فِعلَ لهما وإِنَّما الفعلُ له وحدَه ، وأَنَّه قادرٌ على إعادةِ المَعدُومِ كما قَدَرَ على ابتِدائِه ... ولذلك ختَمَه بقولِه مُنكِرًا تسبيبَ ذلك لعدَمِ عَقْلِهِم: (أَفلا تَعقِلُون) أَي يكونُ لكم عقولٌ لِتعرِفُوا ذلك ؛ فتَعملُوا بما تَقتضِيهِ منِ اعتقادِ البَعْثِ الذي يُوجِبُ سلوكَ الصِّراطِ))[203].

فالتقريبُ بينَ فِعلَيِ (الإحياءِ ، والإماتةِ) باعثٌ على تحريكِ كوامِنِ النفسِ في الاستدلالِ على أَنَّ واهبَ الحياةِ والموتِ هو حيٌّ بذاتِه ، وديمومةُ الوجودِ قائمةٌ عليهِ؛ فالحياةُ سِرٌّ لا يُمكِنُ أَن يَهبَها أَيُّ أَحَدٍ بذاتِه سوى اللهِ عزَّ وجلَّ[204].

ويرَى (سيد قطب/ ت1966م)[205] في قولِه تعالى: (**هوَ الذِي يُحيِي ويُمِيتُ**) أَنَّ ((الحياةَ والموتَ حادِثان يَقعانِ في كلِّ لحظةٍ ، وليس إلا اللهُ يَملِكُ الموتَ والحياةَ ؛ فالبشرُ – أَرقى الخلائقِ– أَعجزُ مِن بثِّ الحياةِ في خليةٍ واحدةٍ ، وأَعجزُ – كذلك – مِن سَلْبِ الحياةِ سَلبًا حقيقيًّا عن حيٍّ من الأَحياءِ ... والبشرُ قد يكونُون سببًا وأَداةً لإزهاقِ الحياةِ ، ولكنَّهم هم ليسُوا الذينَ يُجرِّدُون الحَيَّ من حياتِه على وَجهِ الحقيقةِ إِنَّما اللهُ هو الذي يُحيِي ويُمِيتُ وحدَه دُونَ سِواه))[206].

وهذا يَدُلُّ على أَنَّ أَمرَ الإنسانِ كلَّه بيدِ اللهِ ، والدليلُ قولُه تعالى: (**هُوَ الَّذِي يُحيِي ويُمِيتُ ۖ فإذا قَضَىٰ أَمرًا فإنَّما يَقُولُ لهُ كُن فيَكُونُ**) [غافر/68] ، وقولُه تعالى: (**كَيفَ تَكفُرُونَ باللهِ وكُنتُم**

---

(203) نظم الدرر 174:13. وينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل 477:2.

(204) ينظر: تقريب القرآن إلى الأَذهان ، السيد محمد الحسيني الشيرازي 662:3.

(205) هو السيدُ إبراهيم حسين الشاذلي قطب (1906–1966).

(206) في ظلال القرآن 2477:4.

أَمواتًا فأَحياكُم ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُمَّ يُحيِيكُم ثُمَّ إِلَيهِ تُرجَعُونَ) [البقرة/28] ، وقولُه تعالى: **(وأَنَّهُ هُوَ أَماتَ وأَحيَا)** [النجم/44] ، وقولُه تعالى: **(هُوَ يُحيِي ويُمِيتُ وإِلَيهِ تُرجَعُونَ)** [يونس/5].

وقد أَكد (سيد قطب) أَنَّ المُرادَ من قولِه تعالى: **(ولَهُ اختِلافُ الليلِ والنهارِ)** إنما هو بيانُ ((سُنَّةٍ كَونيةٍ كسُنَّةِ الحياةِ والموتِ. هذه في النفوسِ والأَجسادِ ، وهذه في الكونِ والأَفلاكِ. وكما يَسلُبُ الحياةَ من الحَيِّ ؛ فيَعتِمُ جسَدُهُ ويَهمَدُ كذلك هو يَسلُبُ الضوءَ من الأَرضِ ؛ فتَعتِمُ وتَسكُنُ ، ثم تكونُ حياةٌ ويكونُ ضياءٌ يختلِفُ هذا على ذاك بلا فُتورٍ ولا انقطاعٍ إلا أَن يَّشاءَ اللهُ ((أَفَلا تَعقِلُونَ)) ، وتُدرِكونَ ما في هذا كلِّهِ من دَلائلَ على الخالقِ المُدبِّرِ المالِكِ وحدَهُ لتصريفِ الكَونِ والحياةِ ؟))[207].

2-التقابلُ بينَ القُدرةِ على الخَلْقِ ، والعَجْزِ عنه:

ومن مواردِ التوحيدِ التي تضمنت تقابلا دِلاليًّا مُتضادًّا قولُه تعالى: **(أَفَمَن يَّخْلُقُ كمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)** [النحل/17].

نقرأُ في هذا النصِّ الكريمِ تقابلا دَلاليًّا مُتضادًّا يَنتظِمُ جانبًا عَقَدِيًّا يتصِلُ بفِعلِ (الخَلقِ) الذي لا يَقدرُ عليه إلا اللهُ سبحانَه وتعالى. وهذه القدرةُ هي السبيلُ والبُرهانُ والدَّليلُ على وَحدانيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

وقد جاء هذا التقابلُ العَقَدِيُّ برِباطِ (همزةِ الاستفهامِ) التي لا يُرادُ بها جوابًا مباشرًا بل يُرادُ بالاستفهامِ بها تقريرٌ من المَسؤولِين أَنفسِهِم بأَنَّهم يَعترِفون إقرارًا ويَقينًا بأَنَّهم مَخلوقُون ، وأَنَّهم عاجزُون عن أَن يخلُقُوا شيئًا.

---

(207) م.ن.

فنفيُ المساواةِ نزعةٌ عقليةٌ تدفَعُ السامعَ إلى نفيِ التساوي أَو قياسِ ما للهِ تعالى إلى ما لِغيرِه في الخالقيةِ والإيجاد؛ فمَن ثبَتَ له إيجادُ الخَلقِ والنِّعَمِ ، وابتدَعَها بذاتِه أَولى بالعبادةِ وأحقُّ بها ممَّن لا يَملِكُ الوجودَ بذاتِه مِن الأَوثانِ المصنوعةِ علاوةً على أَن يدَّعيَ لها قدرةَ الخلقِ[208].

إنَّ هذه ((المواقفَ التي يعرضُها لنا القرآنُ بما يَصحبُها من تعقيباتٍ تؤكِّدُ كونَها هادفةً؛ إذ هي تجعلُ من الإيمانِ والعقيدةِ محورًا رئيسًا لهذه الأَحداثِ... وكثيرًا ما يُركِّزُ القرآنُ على ما للإيمانِ من دورٍ في التحكمِ بالمشاعرِ الإنسانيةِ ، وتوجيهِ سُلوكِ الشخصِ نحوَ الأَفضلِ))[209].

وذهَبَ (الطاهرُ بنُ عاشور) في قولِه تعالى: (**أَفَمَن يَّخلُقُ كمَن لَّا يَخلُقُ** ...) إلى أَنَّ الاستفهامَ الواردَ لنفيِ المساواةِ في هذه الآيةِ إنَّما هو ((إنكاريٌّ أَي لا يَستوِي مَن يَخلُقُ بمَن لا يَخلُقُ ؛ فـ(الكافُ) للمُماثَلةِ وهي مَوردُ الإنكارِ حيثُ جَعلُوا الأَصنام آلهةً شريكةً للهِ تعالى. ومن مَضمونِ الصِّلتَينِ يُعرَفُ أَيُّ المَوصُولَين أَولى بالإلهيةِ ؛ فيَظهَرُ مَوردُ الإنكارِ. وحينَ كان المُرادُ بـ(مَن لا يَخلُقُ) الأَصنامُ كان إطلاقُ (مَن) الغالبةِ في العاقلِ مُشاكَلَةٌ لقولِه: (**أَفَمَن يَخلُقُ**) ... فالاستفهامُ في قولِه: (**أَفَلا تَذَكَّرُونَ**) مستعملٌ في الإنكارِ على انتفاءِ التذكرِ ، وذلك يختلِفُ باختلافِ المخاطَبِين فهو إنكارٌ على إعراضِ المشركينَ عنِ التذكرِ في ذلك))[210].

ونَلحَظُ من ذلك أَنَّ التقابلَ في الخِطابِ القرآنيِّ قد وثَّق صِفَةَ الخالقيةِ من إثارةِ مشهدَينِ رئيسَينِ يُحرِّكان المخاطَبَ عقلا وتدبُّرًا.

---

(208) ينظر: الميزان 219:12.

(209) التعبير القرآني والدَّلالة النفسية 406.

(210) التحرير والتنوير 123:14.

وهنا تتجلَّى قُدرةُ المتكلمِ أَوِ المُبلِّغِ من مدَى قدرتِه في التأثيرِ في المتلقِّي، ويكونُ ذلك بمُوجِبِ ما تَحمِلُه الكلماتُ من قيمةٍ ومعانٍ وأَفكارٍ ساميةٍ تؤثرُ فيهِ سواءٌ من جانبِ ترغيبِ المتلقِّي في أَمرٍ من الأُمورِ أَو ترهيبِه منه[211].

ثانيًا/ التقابُلُ في مَجالِ النبوة:

إِنَّ النبوةَ وساطةُ الرحمةِ الإِلهيةِ إِلى الإِنسِ والجِنِّ بآياتِ الإِعجازِ ، وبلاغِ المُعجزةِ. ومن موضوعاتِه – التي اقتصرتُ عليها ذِكْرًا وافيًا – الواردةِ في النصِّ القرآنيِّ بالتقابلِ المُتضادِّ وفيوضِه النفسيةِ:

-التقابلُ بينَ الهِدايةِ والفِسْق:

ومن شواهِدِه القرآنيةِ قولُه تعالى: **(ولقدْ أَرسَلْنا نُوحًا وإِبراهِيمَ وجَعلْنا في ذُرِّيَّتِهِما النُّبُوَّةَ والكِتابَ فمِنهُم مُّهتَدٍ وكثِيرٌ مِّنهُم فاسِقُونَ)** [الحديد/26].

إِنَّ التقابلَ الدَّلاليَّ المُتضادَّ الواردَ في هذا النصِّ القرآنيِّ جاء قائمًا على الجُملةِ الاسميةِ في تركيبَيهِ المتقابلَين: أَمَّا أَولُهُما فقولُهُ تعالى: ((فمِنهُم مُهتَدٍ)) القائمِ على الخبرِ المقدَّمِ وهو الجارُّ والمجرورُ (مِنهُم) على المبتدأِ المؤخَّرِ (مُهتَدٍ) الذي جاء نكرةً محضَةً بدَلالةِ المفردِ المذكَّرِ إِشارةً إِلى قِلَّةِ عددِ المُهتَدِين وكأَنَّهم فَردٌ واحدٌ غيرُ مُحدَّدٍ. وهو تركيبٌ مؤكَّدٌ توكيدًا حصريًّا بتقديمِ الجَارِّ والمجرورِ (مِنهُم) وهو خبرٌ مسنَدٌ إِلى مُبتدئِه المسندِ إِليه المؤخَّرِ وجوبًا على هذا المبتدَأِ عنايةً واهتمامًا ببيانِ حالةِ الهِدايةِ لبعضٍ من الناس. وأَمَّا الآخَرُ الواردُ قِبالَ كَثرةِ عددِ الفاسِقين الواردِ ذِكرُهُم في التركيبِ المُضادِّ الآخَرِ فهو قولُه تعالى: ((كُثيرٌ منهُم فاسِقُون) المؤلف من المبتدأِ

(211) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د. جابر عصفور 353 ، وبِنائية الصورة القرآنية 156.

(كثيرٌ) وخبرِه (فاسِقُون) الواردِ بصيغةِ جمعِ المذكَّرِ مناسبةً للإخبارِ عنِ المبتدأِ (كثيرٌ) ؛ فهم كقولِه تعالى: (**أَم يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بلْ جاءَهُم بالحَقِّ وأَكثرُهُم لِلحَقِّ كارِهُون)** [المؤمنون/70].

وهذا يُفصِحُ عنِ الدَّلالةِ المُضادَّةِ للهِدايةِ بدَلالةِ الفِسْقِ وما بينَهما من تقابلٍ يُقرَأُ من حياةِ الناسِ وتوجهاتِهم الأَخلاقيةِ القائمةِ على الابتعادِ عنِ الهدايةِ والانزياحِ نحوَ الفِسقِ. وهذا ما نجدُه واضحًا أَيضًا في قولِ الإمامِ عليٍّ (عليهِ السلامُ): ((لا تَستَوحِشُوا في طريقِ الهُدَى لقِلَّةِ أَهلِه))[212].

وقد أَفاض كثيرٌ من المصادرِ بتوثيقِ دَلالةِ ((فمِنهُم مُهتَدٍ) للقلة ، ودَلالةِ ((مِنهُم فاسِقُون) للكثرة[213].

وخَلَصَ (السيدُ محمد حسين الطباطبائيُّ) في مَعرِضِ بيانِه (تقابُلَ التضادِّ) ومعنى المُتضادَّينِ إلى أَنَّهما ((أَمرانِ وُجودِيانِ ، مُتوارِدانِ على موضوعٍ واحدٍ ، داخلانِ تحت جنسٍ قريبٍ ، بينَهما غايةُ الخِلافِ))[214].

ويرَى (محمد قطب/ ت2014م)[215] أَنَّ ((الالتزامَ رغبةٌ في اتخاذِ سلوكٍ معيَّنٍ محدَّدٍ ومكرَّرٍ ... بينما السلبيةُ رغبةٌ في عدَمِ المقاومةِ للقوى الخارجيةِ أَوِ الداخليةِ التي تَفرِضُ وجودَها على النفسِ))[216] ؛ فسعادةُ الإنسانِ تتحققُ عندَما يكونُ سلوكُه إيجابيًّا بإرادةٍ وعزيمةٍ تَنشُرُ التطويرَ والتقدمَ. وشقاءُ الإنسانِ يتحققُ عندَما يكونُ سلوكُه سَلبيًّا والإرادةُ مسلوبةٌ ومعطلةٌ.

---

(212) شرح نهج البلاغة 261:10.

(213) الكشاف 349:4. وينظر: الكشاف 241:7 ، والأَمثل في تفسير كتاب الله المُنزل ، الشيخ ناصر مَكارم الشيرازي 3: 606–607.

(1) بداية الحكمة ، شرح وتحقيق: الشيخ محمد مهدي أَسيري 355.

(215) محمد قطب إبراهيم حسين شاذلي وهو شقيق (سيد قطب).

(216) دراسات في النفس الإنسانية 129.

ومن التحصيلِ النفسيِّ السامِي الذي ينالُه المؤمنُ من الهِدايةِ أَنَّه ((يتحرَّرُ... مِن جُملةٍ من الأَمراضِ النفسيةِ والعقليةِ المنتشرةِ بينَ الناسِ ولا سيَّما في هذا الزمانِ ، ومِن أَخطرِها الخوفُ والحُزنُ ، ويتحققُ بسَكينةِ النفسِ))[217].

ثالثًا / التقابُلُ في مَجالِ الإمامة:

لا ريبَ لدى مُتبصِّرٍ في أَنَّ قولَه تعالى: **(إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُم مَيِّتُون)** [الزمر/30] يعني أَنَّ للنبيِّ (صلَّى اللهُ عليه وآلِه) أَجَلا محتومًا سيُلاقي به ربَّهُ بعدَ إكمالِه رسالتَه تبليغًا وافيًا كافيًا ؛ فمَن – إذًا – سيَكونُ للناسِ بعدَه من جنسِ عِصمتِهِ ودائرةِ وَلايتِهِ وحُسنِ سيرتِه للعملِ بالقرآنِ ، والتشريعِ الحقِّ ؟ وهل يَجوزُ لكلِّ مَن يرى في نفسِه كِفايةً معرفيةً دنيويةً أَن يتولَّى هذا الأَمرَ أَو أَنَّه شأنٌ إلهيٌّ يَفرِضُهُ اللهُ تعالى كالنبوةِ التي لم تكن شأنًا دنيويًّا في ظلِّ قولِه تعالى: **(إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ ورسولُهُ والذينَ آمنُوا الذِينَ يُقيمُونَ الصلاةُ ويُؤتُونَ الزكاةَ وهم راكعُون)** [المائدة/55]؟

بلا خوضٍ في تفاصيلِ الإجاباتِ وبراهينِها – وهي ليست من موضوعاتِ رسالتي هذه – أَقولُ: هذه هي حقيقةُ الإمامةِ المتفرعةِ عنِ النبوةِ امتدادَ صِدقٍ لها ، ويَقينٍ بها التي يأتي في طليعةِ موضوعاتِها الذي استغنَيتُ بذكرِهِ وحدَه شاهدًا وافيًا لهذا المجال:

-التقابلُ بينَ التبليغِ بالإمامةِ ، وعَدَمِه:

وشاهدُهُ الجلِيُّ الناصعُ يقينًا بدَلالةِ ركنَيِ التقابلِ المُتضادِّ الواردَينِ في سياقِهِ قولُه تعالى: **(يا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وإِن لَّم تَفعَلْ فما بَلَّغتَ رِسالتَهُ ۚ واللهُ يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الكافِرِينَ)** [المائدة/67].

(217) الشخصية الإنسانية في ضوء القرآن الكريم ، د. أَحمد عبدالحميد غراب 99.

لقدِ انتظمَ هذا النصُّ القرآنيُّ الأَمرَ الإلهيَّ بالإمامةِ تمهيدًا لتنصيبِ الإمام بالوحيِ ، وإعلانِه للأُمَّةِ وللعالَمِ كلِّه قبلَ رحيلِ النبيِّ محمدٍ (صلَّى اللهُ عليه وآلِه) وهو أَميرُ المؤمنينَ عليٌّ (عليهِ السلامُ).

وعن مَواردِ توثيقِ نزولِ هذا النصِّ الكريمِ بحقِّ أَميرِ المؤمنينَ عليٍّ (عليهِ السلامُ) ((أَخرجَ الثعلبيُّ عن أَبي صالحٍ عن ابنِ عباسٍ وعن محمدٍ الباقرِ (رَضِي اللهُ عنهُما) قالا: نزَلَت هذه الآيةُ في عليٍّ))[218] ؛ فجاء التقابلُ بأَبعادِه النفسيةِ العُظمَى التي تَطيبُ بها أَنفُسُ المؤمنين ، وتَشقَى بها أَنفُسُ الجَاحِدِين قائمًا على تركيبَينِ مُتقابلَينِ مُتناقضَين هما **(يا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ)** بصيغةِ النداءِ الذي يَستحضِرُ كِيانَ المُنادَى وقُوتَه وإقدامَه لتنفيذِ الأَمرِ الإلهيِّ ، وبصيغةِ (أَمرِ الفِعْلِ)[219] الذي يَستدعِي تنفيذَ الحُكمِ الإلهيِّ الصادرِ فورًا يُقابلُه التركيبُ المُضادُّ دَلاليًّا الذي يُفصِحُ عنِ الأَبعادِ النفسيةِ المؤلمةِ التي تَحُلُّ على المؤمنينَ إن لم يُبَلِّغْ بهذا الأَمرِ الإلهيِّ وهو قولُه تعالى: **(وإِن لَّمْ تَفعَلْ فمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَه)** القائمُ على تركيبٍ شَرْطِيٍّ عَقَدته أَداةُ الشرطِ (إِنْ) بجُملةِ شرطِها (لم تَفعَلْ) وجُملةِ جوابِها المقترنِ بـ(فاءِ الجَوابِ) (**فمَا بَلَّغْتَ رسالَتَه)** بيانًا لعَظمةِ شأنِ الإمامةِ وجَعلِها بمُوازاةِ شأنِ القرآنِ ؛ فالقرآنُ رسالةُ اللهِ الأُولى لهِدايةِ البشرِ على يدِ خاتَمِ النبيِّين وهو الثِّقل النظَريُّ الأَكبرُ الذي يَعدِلُهُ تِبيانًا له الثِّقلُ العمَليُّ الأَصغرُ المرتبِطُ به الذي يمثلُه الرسولُ الأَحمدُ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) ، وأَهلُ بيتِه الأَئمةُ المعصومون (عليهِمُ السلامُ) بحقيقةِ قولِه (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه): ((إِنِّي تاركٌ فيكُم الثَّقْلَينِ كتابَ اللهِ ، وعِترتِي))[220].

---

(218) ينابيع المودة ، القندوزي ، صحَّحه: علاء الدين الأَعلمي 142:1.

(219) وهو مصطلحٌ أُؤيدُه أَطلقه أَولَ مرةٍ بديلا عن مصطلحِ (فِعْلُ الأَمرِ) الدكتور علي عبدالفتاح الحاج فرهود في بحثِه (التعليقُ الشرطيُّ بالنفيِ وحتى والطلَبِ وحتى في النصِّ القرآنيِّ: دراسةٌ تحليليةٌ) يُنظر: مجلة جامعة بابل/ العلوم الإنسانية ، م24 ، ع1 ، 2016: 36–37. وهو كتابٌ في مرحلةِ الإصدار النهائيِّ حاليًّا.

(220) صحيح مسلم ، شرح النووي ، عناية: محمد محمد عبداللطيف 123:7. ينظر: سنن الترمذي ، تح: محمد فؤاد عبدالباقي 5 :329 ، ومسند أَحمد 14:3.

إنَّ للأَساليبِ اللغويةِ دلالاتٍ مقصودةً تُناسبُ مَواردَها كقولِه تعالى: **(يا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ)** ؛ ((فالنداءُ يُوقظُ النفسَ ويَلفِتُ الذِّهنَ لأَنه طلبٌ ودعاءٌ؛ فإذا ما جاء الأَمرُ صادَفَ نفسًا مُهيَّأَةً يَقِظةً فيقَعُ منها موقعَ الإصابةِ حيثُ تتلقاهُ بحِسٍّ واعٍ وذِهنٍ مُتنَبِّهٍ ، وهذا دليلٌ على عِنايةِ الآمِرِ بأَمرِه ورغبتِه في إعدادِ النفوسِ لتلَقِّيه))[221].

وهذا يعني أَنَّ أُسلوبَ النداءِ قد يَخرُجُ من معناهُ الحقيقيِّ إلى معانٍ مجازيةٍ أُخَرَ لها أَثرٌ بالغٌ في السامع.

ويرى (السيدُ الطباطبائيُّ) أَنَّ في العبارةِ التي تضمنَها قولُه تعالى: **(وإِن لَّمْ تَفعَلْ فمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَه)** ما يَقرُبُ من ((التهديدِ بظاهرِها ، وتُفيدُ إعلامَه (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) وإعلامَ غيرِه ما لهذا الحُكمِ من الأَهميةِ ، وأَنَّ الرسولَ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) معذورٌ في تبليغِه))[222] ؛ أَي أَنَّ التبليغَ بالإمامةِ أَمرٌ إلهيٌّ واجبٌ على النبيِّ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) إعلانًا ، وعلى الناسِ جميعًا قَبولا ورضًا وإذعانًا وفيه تهديدٌ لهم إن تخلَّفُوا عنِ العملِ به إيمانًا من بابِ خطابِ الخاصِّ الذي يُرادُ به العامُّ.

ويَتضِحُ من ذلك أَنَّ للحوارِ في القرآنِ الكريمِ أَثرًا كبيرًا في إثباتِ أَحَدِ فروعِ العقيدةِ في الإسلام.

ولِمَا للغةِ واستعمالِ أَساليبِها وتراكيبِها من أَثرٍ بالغٍ في الدَّلالةِ فإنَّ ((لفِعلِ الأَمرِ ... إنجازَه [الذي] يتمثلُ في محاولةِ دفعِ المُخاطَبِ للقيامِ بفِعلٍ معينٍ. ومعلومٌ أَنَّ المتكلمَ لا يُصدِرُ أَمرًا إلى مَن هو أَمامَه إلا إذا كان راغبًا فِعلا في أَن يُنفِذَه. ومعلومٌ أَيضًا أَنه لا يُمكِنُ أَن يُصدِرَ أَمرًا إلى مُخاطَبِه إلا إذا كان قادرًا على ممارسةِ سُلطتِه ونفوذِه عليه))[223].

---

(221) دَلالة التراكيب دراسة بلاغية ، د. محمد محمد موسى 256.

(222) الميزان 51:16.

(223) اللغة والحِجاج ، د. أَبوبكر العزاوي 124.

وهذا يُفصِحُ لنا عن أَنَّ الأَمرَ الصادرَ من اللهِ سبحانَه هو أَمرُ رحمةٍ يَجلِبُ نفعًا ويَدرَأُ بلاءً.

رابعًا / التقابلُ في مَجالِ المَعاد:

ليس لأَحَدٍ من مَصيرٍ بعدَ حياتِه الدنيا سوى مَصيرِ البعثِ والنشورِ والوقوفِ بينَ يدَيِ اللهِ تعالى للحِسابِ يومَ القيامةِ ؛ وهذه هي حقيقةُ المَعادِ الذي قطعهُ اللهُ سبحانَه عهدًا على نفسِه لمُجازاةِ المُحسِنينَ بالجِنانِ ، والمسيئينَ بالنيرانِ بحقيقةِ قولِه تعالى: **(إِنَّ الذي فرَضَ عليكَ القرآنَ لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ قل ربِّي أَعلمُ مَن جاءَ بالهُدَى ومَن هو في ضَلالٍ مُبينٍ)** [القَصص/85] ، وقولِه سبحانَه: **(وستُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الغَيبِ والشهادةِ فيُنَبِّئُكُم بما كُنتُم تَعمَلُونَ)** [التوبة/105].

ومن موضوعاتِ هذا التقابلِ:

-التقابلُ بينَ معادِ المؤمنين ، ومَعادِ الكافرين:

ومِن شواهدِ هذه الحقيقةِ العَقَدِيةِ الأُخرِويةِ التي انتظَمها التقابلُ الدَّلاليُّ المتضادُّ قولُه تعالى: **(فأَمَّا الذينَ آمنُوا وعمِلُوا الصَّالحاتِ فهُم في رَوضَةٍ يُحبَرُون ، وأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآياتِنا ولِقاءِ الآخِرةِ فأُولٰئِكَ في العذابِ مُحضَرُونَ)** [الروم/16].

جاء التقابلُ الدَّلاليُّ المتضادُّ في هذا النصِّ القرآنيِّ الكريمِ بإيحاءاتِه النفسيةِ وفضاءِ دَلالاتِه البيانيةِ قائمًا على جُملتَينِ مُتعاقبتَينِ بفِكرتَينِ عَقَدِيَّتَينِ رئيسَتَينِ مُتقابِلتَينِ مُتناقضتَينِ أُولاهما صورةٌ بيانيةٌ بالأَبعادِ النفسيةِ الحُسنَى السامِيَةِ نتيجةَ الإيمانِ والعملِ الصالحِ الذي يُؤدِّي بأَصحابِه إلى سُرورٍ ونِعمةٍ جَزاءًا لهم عن إيمانِهم وعملِهِمُ الصالح. أَمَّا الصورةُ الأُخرى فجاءت لتُبيِّنَ بالأَبعادِ النفسيةِ السَّلبيةِ المُهلِكةِ نتيجةَ الكُفرِ والتكذيبِ وإنكارِ البَعثِ الذي يُؤدي بأَصحابِه إلى العذابِ الذي لا مَناصَ لهم منهُ وأَنهم فيه مُحضَرُونَ مُدانُون.

فمَنِ اعتقَدَ مُؤمنًا باللهِ تعالى ، وامتثَلَ لأَوامرِه ، وانتهى عن نواهيهِ ؛ فسيُحبَرُ ويُسعَدُ ويُنعَّمُ في جِنانِ اللهِ جزاءً له. ومن اعتقد كُفرًا وتكذيبًا باللهِ سبحانَه ، وخالَف أَوامرَه ، وعَمِلَ بما نُهِيَ عنه ؛ فسيُحضَرُ ويُعذَّبُ في النيرانِ. ولكلِّ جهةٍ آفاقٌ من النَّعمةِ والسرورِ ، ومِن العذابِ والدَّيجُور.

إنَّ الترغيبَ بهذه الثنائيةِ التقابليةِ يُقنِعُ العقلَ ، ويُمتِّعُ العاطفةَ وهما معقِدا الانفعالاتِ النفسيةِ ((فالعقلُ والعاطفةُ في الإنسان كقوتينِ تؤثرانِ في السلوكِ والأَفعالِ ؛ هذه تُفكِّرُ وتُدقِّقُ وتُميِّزُ ، وتلك تَميلُ وتُحِبُّ وتَكرَهُ ، وهما كذلك تتنازعانِ وتتجاذَبانِ في النفس))[224].

وبمنظارِ التدبُّرِ نجدُ أَنَّ ((الإقناعَ والإمتاعَ في هذا المشهَدِ لامَسَ العواطفَ والقلوبَ برِفقٍ تارةً ، وبشِدَّةٍ تارةً أُخرى ؛ لأَنه نابِعٌ منِ استقلالِ اللهِ تعالى بالحُكمِ ، وثبوتِ ذلك بقطعيةِ حصولِه ، واستحقاقِ العبادِ لطاعاتِهم وسيئاتِهم في الحياةِ الدنيا من خلالِ الجُزءِ الأُخرَويِّ ، وهي صورةٌ جامعةٌ لمالكِ المُلكِ وقدرتِه العظيمةِ في رَسمِ مَآلاتِ الإنسانِ رَشادًا وضَلالا))[225].

هذه حقيقةُ القرآنِ الناصعةُ ببيانِ نَظمِهِ ، وجمالِ أُسلوبِهِ إذ ((تتكشَّفُ للناظرِ في القرآنِ آفاقٌ وراءَ آفاقٍ من التناسُقِ والاتِّساقِ ؛ فمِن نَظْمٍ فصيحٍ إلى سَرْدٍ عَذْبٍ إلى معنًى مترابِطٍ إلى نَسَقٍ مُتسلسِلٍ إلى لفظٍ مُعبِّرٍ إلى تعبيرٍ مُصوِّرٍ إلى تصويرٍ مُشخِّصٍ إلى تَخييلٍ مُجسِّمٍ إلى موسيقى مُنغَّمةٍ إلى اتِّساقٍ في الأَجزاءِ إلى تناسُقٍ في الإطارِ إلى توافقٍ في المُوسيقَى إلى افتِنانٍ في الإخراج. وبهذا كلِّه يَتِمُّ الإبداعُ ويتحققُ الإعجازُ))[226].

ويرَى (الشيخُ ناصر مَكارِم الشيرازي) في كلمةِ (رَوضَةٍ) الواردةِ في هذا النصِّ الكريمِ أَنَّها ((قد جاءَت ... بصيغةِ التنكيرِ لغرضِ التعظيمِ والمبالغةِ ؛ أَي أَنهم في أَفضلِ الجِنانِ وأَعلاها التي تَبعَثُ السرورَ ؛ فهم مُنعَّمُون بل غارقونَ في نعيمِ الجَنة. وكلمةُ (يُحبَرُونَ) تدُلُّ على مُنتهَى الرِّضا من جميعِ الجَوانبِ لدى أَهلِ الجَنةِ ... ولكِنِ استُعمِلَت كلمةُ (مُحضَرُونَ) في أَهلِ النارِ – وهي دليلٌ على مُنتهَى الكراهةِ وعدمِ الرِّضا – لِمَا يَتلقَّونَه ويَستقبِلُونَه لأَنَّ الإحضارَ يُطلَقُ على مَوارِدَ تكونُ على خِلافِ الرغباتِ الباطنيةِ للإنسان))[227].

---

(224) خصائص الأُسلوب القرآني 478.

(225) عن مدونتي الحواريةِ العلميةِ معَ أُستاذي المشرفِ (أ. د. هادي شندوخ حميد) بتاريخ 2025/4/2 الساعة العاشرة صباحًا.

(226) ينظر: التصوير الفني في القرآن 142.

(227) الأَمثل 131:10.

لقدِ استحقَّ أَهلُ الجَنةِ جزاءَهُمُ الساميَ هذا نتيجةَ عملِهِم الصالحِ معَ إيمانِهم. أَمَّا أَهلُ النارِ فاستحقُّوا خُلودَهم فيها نتيجةَ كُفرِهِم عَقَدِيًّا.

وثمةَ مَشاهدُ حِسِّيةٌ لحقائقِ الكونِ والحياةِ لا يُمكنُ بيانُ وَقْعِها إلا بما تُيسِّرُه اللغةُ إفهامًا ؛ لذا ((اعتمَدَ القرآنُ الكريمُ في إثباتِ الحقائقِ الدِّينيةِ المتعلقةِ بالخالقِ والوُجودِ والحياةِ والموتِ والمَعادِ وغيرِها من أُصولِ العَقيدةِ الإلهيةِ على الصورِ والمَشاهدِ المَحسوسةِ للطبيعةِ والكونِ ؛ وذلك لكونِها حِسِّيةً بسيطةً تكونُ أَقربَ إلى ذِهنِ الإنسانِ من تلكَ الحقائقِ الفكريةِ الذهنيةِ المُعقَّدة))[228]. وهذا يعني أَنَّ القرآنَ الكريمَ قد عَمِدَ إلى بعضِ الأَمثالِ والتشبيهاتِ الحِسِّيةِ التي تكونُ قريبةً إلى فِطرةِ الإنسانِ لأَنها أَشَدُّ تأثيرًا في أَحاسيسِه وعواطفِه.

خامسًا/ التقابُلُ في مَجالِ العَدْل:

إنَّ العَدْلَ منهجُ المؤمنينَ ، ورجاءُ المظلومينَ ؛ فكيفَ باللهِ تعالى الذي خلقَهم وبه أَمَرَهم بحقيقةِ قولِه سبحانَه: **(إِنَّ اللهَ يأمُرُكُم أَن تُؤدُّوا الأَماناتِ إِلى أَهلِها وإِذا حَكَمتُم بينَ الناسِ أَن تَحكُمُوا بالعَدْلِ) ؟**

إنَّ للعَدْلِ مَوضوعاتٍ بمصاديقِها التي وردَت في سياقِ التقابلِ المُتضادِّ دَلالةً في النصِّ القرآنيِّ منها:

(228) بنائية الصورة القرآنية 150.

-التقابلُ بينَ الأَمرِ بالعَدْلِ والإحسانِ ، والنَّهْيِ الفحشاءِ والمُنكَر:

نتبصَّرُ هذا المضمونَ في قولِه تعالى: (**إِنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإِحسانِ وإِيتاءِ ذِي القُربَى ويَنهَى عَنِ الفَحشاءِ والمُنكَرِ والبَغْيِ يَعِظُكُم لعلَّكُم تَذَكَّرُونَ)** [النحل/90].

ورَدَ في هذا النصِّ الكريمِ تقابلٌ دَلاليٌّ انتظَمَ تركيبَينِ مُتضادَّينِ بأُسلوبِ الخبرِ وكلاهُما يُوثِّقُ العَدْلَ الإلهيَّ الذي يُوجَّهُ إلى الناسِ بمسارَينِ لازمَينِ ومُتناقضَين مُتضادَّينِ في الوقتِ نفسِه وهما (الأَمرُ ، والنَّهْيُ) ؛ فالتركيبُ الأَولُ هو قولُه تعالى: (**إِنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإِحسانِ وإِيتاءِ ذِي القُربَى)** ورَدَ مُؤكَّدًا بـ(إنَّ) لإزالةِ أَدنى رَيبٍ يُمكِنُ أَن يتحصَّلَ لدَى الإنسانِ في حقيقةِ العَدْلِ الإلهيِّ. وهو التوكيدُ نفسُهُ الذي تُوثِّقُه (إنَّ) نفسُها للتركيبِ الآخَرِ المُضادِّ **(ويَنهَى عَنِ الفَحشاءِ والمُنكَرِ والبَغْيِ)**.

ونُلاحِظُ أَنَّ التركيبَينِ المتقابلَينِ المُتضادَّينِ المؤلَّفَينِ من الجُملتَينِ الفعليتَينِ المعطوفتَينِ على بعضِهما الواقعتَينِ خبرًا لـ(إنَّ) المبدوءةِ أُولاهُما بالفِعلِ (يأمُرُ...) وما عُطِفَ عليه بـ(الواوِ) من أُخراهُما المبدوءةِ بالفِعلِ (يَنهَى ...) قد ورد فِعلاهُما بصيغةِ المضارعِ الدالِّ على التجددِ والاستمرارِ ؛ فهو إذًا أَمرٌ ونَهيٌ قائمٌ على استمرارِ العَدلِ الإلهيِّ وتجدُّدِه.

وفي أَهميةِ انتِظامِ الحياةِ بالعَدْلِ والقِسطِ قال (السيدُ محمدباقر الحكيم/ ت2003م): ((أَمَّا القِسطُ والعَدلُ فقد أُنزِلتِ الشرائعُ الإلهيةُ لتنظيمِ عَلاقاتِ الإنسانِ بينَه وبينَ أَخيهِ الإنسانِ ، وبينَه وبينَ الطبيعةِ في إطارِ العَلاقةِ باللهِ تعالى وعبوديتِه ، ولكنَّ هذه العَلاقةَ قد تتعرضُ لمشكلةِ الاختلافِ بسببِ تضاربِ المصالحِ والمنافعِ بينَ الناسِ وإرادتِهم ورَغَباتِهم ؛ فكان إيجادُ التوازنِ في هذه العَلاقةِ هدفًا من أَهدافِ الشريعةِ الإسلاميةِ ، ومبدأً من مبادئِ الرسالةِ الإسلاميةِ. وقد تمَّ تأكيدُ هذا المبدأِ وأَهميتِه بصورةٍ خاصةٍ مِن خلالِ تأكيدِ مفاهيمِ القِسطِ والعدلِ ، وأَنه هدفُ

الرسالاتِ الإلهية (**لقد أَرسلْنا رُسُلَنا بالبيِّناتِ وأَنزَلْنا معَهُمُ الكتابَ والمِيزانَ لِيَقومَ الناسُ بالقِسْطِ** ...) [الحديد/25]))[229].

أَمَّا البُعدُ النفسيُّ فيتحصَّلُ لنا منِ اطمئنانِ النفسِ ، وصلاحِ البالِ إيجابًا عندما يمتثلُ الإنسانُ إلى أَمرِ اللهِ تعالى بتحقيقِ العَدلِ ، ومساعدةِ ذوي القربى بمنحِهم حقوقَهم عدلا شرعيًّا ، وإحسانًا إليهم. أَمَّا ما يتحصَّلُ سَلبًا في المقابلِ من بُعدٍ نفسيٍّ فنجِدُهُ في ميدانِ الفحشاءِ والمُنكَرِ والبَغْيِ التي تُعَدُّ من كبائرِ الذنوبِ.

ويرَى (سيد قُطْب) أَنَّ ((الإسلامَ لشدةِ حرصِه على أَن يُحقِّقَ للناسِ العِزةَ والكرامةَ، وأَن يَّبُثَّ في نفوسِهمُ الاعتِزازَ بالحقِّ ، والمحافظةَ على العَدلِ ، وأَن يَضمَنَ بذلك كلِّهِ – علاوةً على التشريعِ – عدالةً اجتماعيةً مطلقةً لا يُفرِّطُ فيها إنسانٌ ؛ لهذا كلِّهِ يَعني[230] عنايةً خاصةً بأَن يُقاوِمَ الشعورَ بالخوفِ على الحياةِ وعلى الرزقِ وعلى المَكانةِ ؛ فالحياةُ بيَدِ اللهِ ، وليس لمَخلوقٌ قُدرةٌ على أَن يُنقِصَ الحياةَ ساعةً أَو بعضَ ساعةٍ))[231].

(229) المجتمع الإنساني في القرآن الكريم 384 –385.

(230) الصوابُ: يُعنَى.

(231) العدالة الاجتماعية في الإسلام 36.

المبحثُ الثاني: التقابلُ في المجالِ التشريعي:

إنَّ التشريعَ الإلهيَّ للناسِ هدايةٌ ومَلاذٌ آمِنٌ لهم يَحفظُ لهم سلامةَ دِينِهم ، ووَحدةِ منهجِهِ ؛ ليَنعَمُوا في دنياهُم ، ويُنظِّمُوا شؤُونَهم بما يُؤهِّلُهم بالفضيلةِ والحُسنَى في ظِلِّ الالتزامِ به في الدارِ الدنيا ؛ تحقيقًا للسعادةِ الأَبديةِ في الدارِ الأُخرى بحقيقةِ قولِه تعالى: **(شرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ ما وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا والَّذِي أَوحَينَا إِلَيكَ وما وصَّينَا بِهِ إبراهِيمَ ومُوسىٰ وعِيسىٰۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتفرَّقُوا فيهِ ۚ كَبُرَ على المُشرِكينَ ما تَدعُوهُم إِليهِ ۚ اللهُ يَجتَبِي إِليهِ مَن يَّشاءُ ويَهدِي إِليهِ مَن يُّنِيبُ)** [الشورى/13].

ذهَبَ (العلامةُ جعفر السُّبحانيُّ) إلى أَنَّ ((جميعَ الشرائعِ والمناهجِ السماويةِ على أَساسِ التوحيدِ كما وأَنَّ الاعتقادَ بالتوحيدِ هو أَبرزُ أَصلٍ مشتركٍ بينَ تلك الشرائعِ وإن كان هناك شيءٌ مِن الانحرافِ لدى أَتباعِ بعضِ تلك الشرائعِ في هذه العقيدةِ المشتركةِ))[232] ؛ وبهذا يُعَدُّ القرآنُ الكريمُ المصدرَ الأَولَ للتشريعِ في الإسلامِ ((وما يتعلَّقُ بأَولِ نُزُولٍ من الأَحكامِ والتشريعاتِ فهو بلا شكٍّ كان مُنسجِمًا مع الأَحوالِ والظروفِ النفسيةِ. وهذه من أَبرزِ مزايا أُسلوبِ القرآنِ التشريعيِّ))[233].

إنَّ القرآنَ الكريمَ كتابُ هدايةٍ وإرشادٍ ، وصلاحٍ وإصلاحٍ للبشر. وقدِ ((اقتضَتِ الغايةُ أَن يضُمَّ النصُّ القرآنيُّ ما يُسمَّى بـ(نصوصِ التشريعِ السماويِّ) أَو (آياتِ الأَحكامِ) تعارُفًا إذ تُمثِّلُ هذه النصوصُ خِطابَ السماءِ التنظيميِّ إلى الإنسانِ (المُتلقِّي) فتعمَلُ على ضبطِ كيفياتِ تعاملِ العبدِ

(232) العقيدة الإسلامية 45.

(233) التعبير القرآني والدَّلالة النفسية 209.

معَ خالقِه من جهةٍ ، ومعَ نظيرِه الإنسانِ من جهةٍ أُخرى[234] ، ومعَ نفسِه من جهةٍ ثالثةٍ ؛ لترتقِيَ بها إلى النموذجِ الأَسمَى الذي يُمكِنُ معَه أَن ينظُرَ إليه بأَنه خليفةُ اللهِ سبحانَه على الأَرضِ على وجهِ الفعلية))[235].

وهذه هي عِنايةُ السماءِ بالتشريعِ الذي ما كان إلا منهجًا ثابتًا يُنظِّمُ حياةَ الإنسانِ ويُهذِّبُ أَخلاقَه ويَسمُو به نفسيًّا واجتماعيًّا. ((ويَتجلَّى البُعدُ النفسيُّ في هذه الآياتِ الكريمةِ في اتجاهين: الأَولُ الكشفُ عن العملياتِ النفسيةِ ، والآخَرُ معالجةُ السلوكِ الشاذِّ والنفسِ المَريضةِ))[236].

ومِن موضوعاتِ التقابلِ اللغويِّ المتضادِّ دَلالةً في مَجالِ التشريعِ ومَواردِه القرآنيةِ – على سبيلِ المِثالِ لا الحصرِ – ما يأتي:

1–التقابلُ بينَ الصلاةِ ومُبطِلاتِها:

قال تعالى: **(يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقرَبُوا الصَّلاةَ وأَنتُم سُكارَى حتَّى تَعلَمُوا ما تَقُولُونَ ولا جُنُبًا إِلَّا عابرِي سبيلٍ حتَّى تَغتَسِلُوا وإِن كُنتُم مرضَى أَو على سَفرٍ أَو جاءَ أَحدٌ مِنكُم مِنَ الغائِطِ أَو لامَستُمُ النِّساءَ فلَم تَجِدُوا ماءً فتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طيِّبًا فامسَحُوا بوُجُوهِكُم وأَيدِيكُم إِنَّ اللهَ كانَ عَفُوًّا غَفُورًا)** [النساء/43]. في هذا النصِّ الكريمِ تقابَلَ تركيبانِ مُتضادَّانِ دَلاليًّا في إِطارِ تشريعِ الطهارةِ العقليةِ والبدَنيةِ شَرطًا لازمًا للصلاةِ انتظمَها قولُه تعالى: **(لا تَقرَبُوا الصَّلاةَ وأَنتُم سُكارَى ، ولا جُنُبًا)** وهو التركيبُ الذي تضَمَّنَ الحالةَ السلبيةَ للمؤمنِ عنَد انعدامِ طهارةِ العقلِ والبدنِ لديهِ؛ فالسُّكرُ يَطيشُ بالعقلِ ، ويُفقِدُ الإنسانَ إدراكَه ووعيَه وثباتَه وتركيزَه ، والجَنابةُ تُفقِدُ الإنسانَ طهارةَ بدَنِهِ ، وهما شرطانِ لازمانِ لصحةِ إقامةِ الصلاة.

---

(234) الصوابُ: من جهةٍ ثانيةٍ.

(235) الإعجاز القرآني في النص التشريعي قراءة في المبنى والمعنى ، د. سيروان الجنابي 1.

(236) آيات الأَحكام في القرآن الكريم ، وئام كاظم جواد سميسم 54.

وذَهَبَ (د. أَحمد إبراهيم مهنا) إلى أَنَّ التشريعَ هنا قد ((نَهَى عن قُربانِها كلَّ مَن فقَدَ السيطرةَ على تصرفاتِه شأنَ السكرانِ الذي لا يَعِي ما يقولُ ؛ فإذا عادَت إليه طبيعتُه وملَكَ زِمامَ نفسِه أَقبَل عليها))[237].

لقد نهَى الشارعُ المقدَّسُ عنِ التقربِ إلى الصلاةِ بهاتَينِ السلْبيَّتَين وهو ما يبدأُ بمُقدِّماتِ الصلاةِ مِن النيةِ والوُضوءِ ؛ فإذا كان النهيُ في حدودِ النيةِ والوُضوءِ – وهما ما يَقرُبُ بهما المؤمنُ صلاتَه – قد ورَدَ فيها هذا النهيُ الإلهيُّ فكيف – إذًا – بالصلاةِ نفسِها؟!

ومِن المُسلَّمِ به بَداهةً أَنَّ ((أُسلوبَ النهيِ هو كلُّ أُسلوبٍ يُطلَبُ به الكَفُّ عن شيءٍ على طريقِ الاستعلاءِ والإلزامِ ، وله صيغةٌ واحدةٌ وهي المضارعُ المقرونُ بـ(لا) الناهية))[238].

يُقابلُ هذا التركيبَ المتداخلَ التركيبُ الذي يُضادُّهُ تداخلا بجُزْءَيهِ وهما قولُه تعالى: **(حتَّى تَعلَمُوا ما تَقُولُونَ ، عابِري سبيلٍ حتَّى تَغتَسِلُوا)** وهو التركيبُ الذي يُعالجُ المشكلةَ السلبيةَ الواردةَ بالنهيِ في الترتيبِ الأَولِ معالجةً إيجابيةً بالحلِّ الشرعيِّ الأَمثلِ لحالةِ السُّكْرِ وهي أَن يتخلَّصَ الإنسانُ من فُقدانِ وَعيِهِ وتركيزِه وثباتِه ليتحققَ العِلمُ لدَيهِ بما يَجِبُ عليه بالصلاةِ من أَذانٍ وإقامةٍ وتكبيرٍ وتِلاوةٍ وأَذكارٍ وتسبيحٍ وتشهُّدٍ وتَسليمٍ ، وبالحلِّ الشرعيِّ الأَمثلِ للتخلصِ من نجاسةِ البدَنِ من (الجَنابةِ) وهو الاغتسالُ.

ويرَى (السيدُ محمد تقي المُدَرِّسيُّ) في قولِه تعالى: **(لا تَقرَبُوا الصَّلاةَ وأَنتُم سُكارَى...)** أَنَّ ((السُّكرَ قد يكونُ سُكْرَ النومِ أَو سُكْرَ الخمرِ... ويَرتفِعُ سُكْرُ النومِ بالوُضوءِ حيثُ يعودُ الفردُ إلى رُشدِه ، ويُصبِحُ كلامُه بوَعْيٍ كامل))[239].

---

(237) مقومات الإنسانية في القرآن الكريم 83.

(238) الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية 285.

(239) من هُدَى القرآن 2:61-62.

وأَصَّلَ (د. علي عبدالفتاح الحاج فرهود) هذا التركيبَ بتذوُّقٍ دَلاليٍّ نحويٍّ بِكْرٍ وثَّقَ به أَنَّ (حتَّى) في هذا التركيبِ – وفي أَكثرَ من (50/ خمسينَ) تركيبًا آخرَ في القرآنِ الكريمِ قد جاءت شرطيةً علَّقَت جوابَها المُقدَّمَ وجوبًا في التركيبِ الأَولِ **(ولا تَقرَبُوا الصَّلاةَ وأَنتُم سُكارَى)** على شرطِها المُؤخَّرِ وجوبًا **(تَعلَمُوا ما تَقُولُونَ)** بمعنى (إِنْ عَلِمتُم ما تَقولُون فاقرَبُوا الصلاةَ) ، وعلَّقَت جوابَها المُقدَّمَ وجوبًا في التركيبِ الآخَرِ المتداخِلِ **(ولا جُنُبًا)** على شرطِها المُؤخَّرِ وجوبًا **(تَغتَسِلُوا)** بمعنى (إِنِ اغتَسلْتُم مِن الجَنابةِ فاقرَبُوا الصلاةَ)[240].

إِنَّ هذينِ الحَلَّينِ بأَمرِ الشارعِ المُقدَّسِ لصِحَّةِ صلاةِ المؤمنِ يَفيضانِ بمَواهبِ الرحمةِ الإِلهيةِ ، ويَجعلانِ المؤمنَ في دَعَةٍ نفسيةٍ وتكريمٍ بمَنحِهِ فرصةً لتصويبِ مسارِه وتجاوزِه الأَخطاءَ المحرَّمةَ ، والأَعراضَ التي تُفقِدُ الطهارةَ كالجَنابةِ سواءٌ أَ كانت مِن موقفِ حلالٍ أَو موقفٍ مُحرَّمٍ.

2–التقابلُ بينَ الرِّبا ، والصَّدَقات:

قال تعالى: **(يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا ويُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ واللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيم)** [البقرة/276].

تَقابَلَ في هذا النصِّ الكريمِ تركيبانِ فِعليانِ أَولُهما قولُه تعالى: **(يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا)** وهو التركيبُ المختصُّ بالموضوعِ المرفوضِ شرعًا المُحرَّمِ إِلهيًّا ، والآخرُ قولُه تعالى: **(يُرْبِي الصدَقاتِ)** وهو التركيبُ المتضمنُ الموضوعَ المقبولَ شرعًا المأمورَ به إِلهيًّا.

إِنَّ روعةَ الدَّلالةِ التي يُعطيها كلٌّ من الفعلِ (يَمحَقُ) – وهي النُّقصانُ والاضمحلالُ والخُسرانُ حتى التلاشي والعدمِ – والفعلِ (يُرْبِي) – الذي يعني أَنَّ النَّمَاءَ والزيادةَ والتعاظُمَ والسَّعَةَ بفُيوضِها الإِيجابيةِ– هي مَعقِدُ هذا التقابلِ بينَ هذينِ التركيبَينِ المُتضادَّين.

ويرَى (د. نذير حمدان) أَنَّ هذا التعبيرَ ((مُؤثِّرٌ في جانبَيهِ السَّلبيِّ بالمَحْقِ والإِيجابيِّ بزيادةِ الخيرِ والبركةِ في الصدَقاتِ ؛ ولكنَّ جوَّ المَحْقِ والأَثَرَ السائدَ يقتضِي أَن يُعَقِّبَ القرآنُ

(240) يُنظَر: التعليق الشرطي بالنفي وحتى وبالطلب وحتى في النص القرآني: دراسة تحليلية 17 – 49.

بكراهية اللهِ للذين يُحلِّونَ الرِّبَا ، وكُفرِهم ، وتأثيمِهم ؛ فالاعتبارُ العمَليُّ هو المُعوَّلُ عليه في مثلِ هذا التعاملِ الآثِمِ))[241].

والمَحقُ يُناسبُ فِعلا للرِّبا. والرِّبا يتناسَبُ مَعمولا للمَحقِ ؛ لأَنَّ كلَّ باطلٍ ومُحرَّمٍ يَضُرُّ الناسَ ، ويَحتكِرُ أَموالَهم ، ويَفرِضُ عليهم ما يَفوقُ دِينَهم إنما يكونُ مَحرقةً للعاملين بالرِّبا تأكُلُ ما لدَيهم ، وتُلاشيه.

وهذا التركيبُ نفسُه جاء في تقابلٍ دَلاليٍّ بينَ الفِعلِ والمفعولِ به ؛ فالمَحقُ إنقاصٌ وتخسيرٌ ، والرِّبا زيادةٌ ونَمَاءٌ ؛ لكنَّ اللهَ تعالى جعَلَ هذه الزيادةَ وهذا النَّمَاءَ خُسرانًا ، لأَنه إثْمٌ يُعاقَبُ عليه فاعلُه ولا يُثابُ.

وبعدَ إقرارِ هذه القاعدةِ (تحريمِ الرِّبا) تَوجَّهَ النصُّ القرآنيُّ إلى وصفِ المُرابي بما بان في قولِه تعالى: **(الذينَ يَأكلُون الرِّبَا ولا يَقُومُونَ إِلَّا كما يَقُومُ الذي يَتخَبَّطُهُ الشيطانُ مِنَ المَسِّ)** [البقرة/275].

والإرباءُ يناسبُ فِعلا للصدقاتِ. والصدقاتُ تُناسبُ الإرباءَ مَعمولا ؛ لأَنَّ كلَّ حقٍّ وخيرٍ فإنه يَنفَعُ الناسَ ، ويُزَكِّي أَموالَهم ، ويُناسبُ أَحوالَهم ؛ لذلك يأتي الإرباءُ نِعمةً إلهيةً لهذه الصدقاتِ ؛ ((فجُونِسَ بإرباءِ الصدَقةِ رِبَا الجَاهليةِ والأَصلُ واحدٌ وهو الزيادةُ إلا أَنَّه جعَلَ بدَلَ تلكَ الزيادةِ المذمومةِ زيادةً محمودةً))[242]. وهذا التركيبُ نفسُه فيه تقابلٌ دَلاليٌّ بينَ الفِعلِ والمفعولِ به ؛ فالإرباءُ زيادةٌ ونَمَاءٌ وتعظيمٌ.

وذهَبَ (د. نذير حمدان) إلى أَنَّ ((لفظةَ (يُرْبِي) في موضوعِ (الرِّبَا) تصريحٌ بأَنَّ الأَكثرَ والزيادةَ مُحقَّقةً ممَّا يُربِيهِ اللهُ من الصدَقاتِ ، وتَدفَعُ المُرابِي المُستَغِلَّ إلى أَن يتشوَّقَ (نَمَاءَ) اللهِ في صدَقاتِهِ ، ومَحْقِهِ سِواه))[243].

---

(241) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم 139.

(242) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن 100.

(243) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم 140-141.

والصدَقاتُ أَخْذٌ وسَحْبٌ من الأَموالِ والأَعيانِ لمَنحِها إلى المُحتاجين ؛ فهي – إذًا – إنقاصٌ من هذه الأَموالِ وهذه الأَعيانِ لكنَّهُ إنقاصٌ رُجِيَ به رِضا اللهِ بحقيقةِ قولِه تعالى: **(إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ)** [الحديد:18] ؛ ((فقد عرَضَ النصُّ قاعدةً من قواعدِ النظامِ الاقتصاديِّ والاجتماعيِّ الذي يُريدُ اللهُ سبحانَه للمجتمعِ المُسلِمِ أَن يقومَ عليهِ وهو نظامُ التكافلِ بينَ المؤمنينَ ؛ فيكونَ بعضُهم أَولياءَ بعضٍ ، وأَن ينتَفِعُوا برزقِ اللهِ. وهذا النظامُ لا يقومُ إلا على أَساسٍ أَخلاقيٍّ))[244] كما بيَّنَه قولُه تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأكلُوا الرِّبَا أَضعافًا مُّضاعفةً ۖ واتَّقُوا اللهَ لعلَّكُم تُفلِحُونَ)** [آل عمران/130].

وليس لنظامِ الحياةِ التي يُرادُ بها رِفعةُ الإنسانِ من أَحكامٍ ورصانةٍ إلا ما وَرَدَ من تنظيمٍ مُحكَمٍ في التشريعِ القرآنيِّ وما يَتبعُهُ من تشريعٍ نبَويٍّ بالتفاصيلِ والتفريعاتِ الشاملةِ الوافيةِ التي قام عليها نَهجُ أَئمةِ أَهلِ البيتِ (عليهِمُ السلامُ) والأَولياءِ الصالحينَ (رضِيَ اللهُ عنهم).

إنَّ الأَبعادَ النفسيةَ المُوجِعَةَ عِقابًا تتجلَّى على أَصحابِ الرِّبا بقولِه تعالى: **(وَيَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا)** ؛ لأَنَّ كُلا منهُم **(كَفَّارٌ أَثِيمٌ)**. وإنَّ الأَبعادَ النفْسيةَ الطيِّبةَ ثوابًا تتجلَّى على أَصحابِ الصدَقاتِ بقَولِه تعالى: **(وَيُرْبِي الصدَقَاتِ)** ؛ لأَنَّ الصدَقَةُ تدفعُ البلاءَ ، وتُعَوَّضُ بالنَّماءِ.

ويرَى (د. شلتاغ عبود) أَنَّ ((للتقابلِ أَثرَهُ البالِغَ في التعبيرِ والتأثيرِ؛ فهو يُوقِظُ الإحساسَ ، ويُؤجِّجُ العاطفةَ ، ويَستفِزُّ الشعورَ من خلالِ تسليطِ الضوءِ على المُفارقةِ والتنافُرِ بينَ الأَشياءِ ممَّا يُحدِثُ هِزَّةً شعوريةً مُتوترةً ورافضةً لهذا التناقضِ))[245].

إنَّ القِيَمَ والمَبادئَ ... من ثوابتِ الشريعةِ الإسلاميةِ التي على أَساسِها يكونُ البِناءُ المجتمعيُّ في صُوَرِهِ المِثالية التي تَحكُمُ عَلاقاتِ المجتمعِ وظواهِرَهِ متمثِّلةً في تحديدِ ما هو

---

(244) آيات الأَحكام في القرآن الكريم دراسة فنية 37.

(245) أَسرار التشابه الأُسلوبي في القرآن الكريم 232. وينظر: التقابل في القرآن الكريم بين الجمالية والدلالية 44.

إيجابيٌّ في ظلِّ الممارساتِ (الواجبةِ ، والمَندُوبةِ) ، وتُحدِّدُ ما هو سَلبيٌّ بحسَبِ الممارساتِ المُحرَّمةِ ، والمَكروهة[246].

3-التقابلُ في القتالِ بين الحُبِّ ، والكُرْه:

ورد هذ التقابلُ في قولِه تعالى: **(كُتِبَ عليكُمُ القتالُ وهُوَ كُرْهٌ لَّكُمۖ وعسَى أَن تَكرَهُوا شيئًا وهُوَ خَيرٌ لَّكُمۖ وعسَىٰ أَن تُحِبُّوا شيئًا وهُوَ شَرٌّ لَّكُم ۗ واللهُ يَعلَمُ وأَنتُم لا تَعلَمُونَ)** [البقرة/216].

يَظهَرُ التقابلُ الدَّلاليُّ المُتضادُّ بأَبعادِه النفسيةِ الواضحةِ في قولِه تعالى: **(كُتِبَ عليكُمُ القتالُ)** وهو أَمرٌ وتشريعٌ إلهيٌّ واجبٌ جرَى تقريرُه إلهيًّا ، وعُبِّرَ عنه بالفِعل (كُتِبَ) دَلالةً على فرضِه وإمضائِه ولُزومِ تنفيذِهِ على المُسلمين القادِرين بالتأهيلِ الصحِّيِّ والعَسكرِيِّ والإيمانيِّ الكاملِ ؛ يُقابلُه قولُه تعالى: **(وهُوَ كُرْهٌ لَّكُم)** وهي جُملةٌ وقعَت حالا مِنَ (القِتالُ) ؛ فأَوقعَت شيئًا نفسيًّا يُداخِلُ الإنسانَ المُخاطَبَ نفسَه بكشفِ المَشَقَّةِ التي تَعتَوِرُه عندَما يُوَجَّهُ إلى القتالِ بمُوجِبِ هذا الأَمرِ التشريعيِّ.

إنَّ في هذا التقابلِ من الفرزِ الإيمانيِّ ما تُنبِئُ به الاستجابةُ النفْسيةُ إزاءَ الأَمرِ به من جهةٍ ، والأَثرِ المُتحصَّلِ منه من جهةٍ أُخرى ؛ فمَن زَكَّى نفسَهُ بالإيمانِ والتقوى أَقبل على الجهادِ مُقاتِلا في سبيلِ اللهِ تعالى. ومَن دَسَّ نفسَه بضَعفِ الإيمانِ والتقوى وغَلَبَةِ الخوفِ أَعرضَ عنِ الجِهادِ قاعدًا عنه ، مُبتِعِدًا عن سبيلِ اللهِ. وهذا قِوامُ الأَثرِ النفْسيِّ المقروءِ دَلاليًّا من جانبٍ من جوانبِ هذا التقابلِ.

ويرَى (د. محمد بازِّي) أَنَّ التقابلَ هنا إنما ((هو مُنطلَقٌ تقابُليٌّ في صناعةِ القولِ طرَفاهُ المعنى الجديدُ المُستَدَلُّ عليه بمعنًى معروفٍ أَو قوةٍ استدلاليةٍ سابقة))[247].

---

(246) ينظر: الإسلام وعلم الاجتماع ، د. محمود البستاني 45 ، وآيات الأَحكام في القرآن الكريم 43.
(247) نظرية التأويل التقابلي 164.

وهذان الطَّرَفانِ هما التركيبانِ المتقابلانِ المتضادَّانِ دَلاليًّا **(عسَى أَن تَكرَهُوا شيئًا وهُوَ خَيرٌ لَّكُم)** ، و**(وعسَىٰ أَن تُحِبُّوا شيئًا وهُوَ شَرٌّ لَّكُم)**.

ولكُلٍّ من التركيبَينِ أَبعادُهُ النفْسيةُ الواضحةُ ؛ فالقتالُ لا يُؤمَرُ به ولا يُرغَبُ فيه إلا في الحالاتِ القاهرةِ القُصوى التي تَستدعيهِ كَسْرًا لشوكةِ عَدُوٍّ لا يَرحَمُ إن تَولَّى ؛ ولكنَّه أَمرٌ لا بُدَّ منه نتيجةَ الثقةِ التي مَنَحَها اللهُ تعالى للمقاتِلين وهم يَذودُون عن حِياضِ الإسلامِ ، وبلادِ الإسلام.

وترى (د. نَه فين سعيد عبدالعزيز) أَنَّ الفعلَ (عسَى) عاملٌ حِجاجيٌّ ؛ فاستَنتَجَت أَنَّ ((هذا العاملَ الحِجَاجِيَّ (وعسى)[248] الذي تَكرَّرَ في النصِّ مرتَينِ [قد أَدَّى] وظيفةً سببيةً في الربطِ بينَ الأَمرِ بالجِهادِ الذي هو رُبَّما شاقٌّ عليكُم في الحالِ ، ولكنَّه سببٌ للمنافعِ العظيمةِ الجَبَّارةِ في المستقبلِ ، وبالضِّدِّ))[249].

فالقتالُ الذي يُكرَهُ به المأمورُون به – نتيجةَ المَشَقَّةِ التي يُلاقُونَها فيه – سيَكون خيرًا على المسلمِين وهم يُحقِّقونَ الانتصارَ على عدُوِّهم كما حصَل في معارِكِهِم وعلى رأسِها (مَعركةُ بَدْرٍ). وهذه الآيةُ بفُيوضِها التشجيعيةِ الداعمةِ ستَبقى تَجرِي إلى الشعوبِ الإسلاميةِ كلِّها حتى يومِ الدِّين.

وهذا ((بيانُ أَن لَّيس كلُّ ما تَكرَهُهُ النفسُ شَرًّا دائمًا ، ولا ما تُحِبُّه النفسُ خيرًا دائمًا. وهذه الحقيقةُ تَلمَسُها النفسُ بالتجرِبةِ. وهذا يُشيرُ إلى أَنَّ الآياتِ تتدرَّجُ مع النفسِ الإنسانيةِ واقفةً على حقائقِها. ولا يَخفَى أَنَّ القرآنَ بعدَ هذا لا يَنسَى في تشريعِه للجِهادِ بيانَ ما تَمِيلُ إليه النفْسُ ، وتُحِبُّه وهو النصرُ والفوزُ على الأَعداءِ، ويكونُ فيه شِفاءٌ للغَليل))[250].

---

(248) الصوابُ أَنَّهما عاملانِ هما (الواوُ) ، و(عسَى).

(249) التقابل الحِجاجي في الخطاب القرآني 124. وينظر: التفسير الكبير 29:6.

(250) التعبير القرآني والدَّلالة النفسية 134. وينظر: المجتمع الإنساني في القرآن الكريم 383.

4-التقابلُ بينَ الإحسانِ للوالدَينِ ، والإساءَةِ لهُما:

ومِن شواهدِهِ ما انتظَمَهُ قولُه تعالى: **(وقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وبِٱلوالِدَينِ إِحسانًا إِمَّا يَبلُغَنَّ عِندَكَ ٱلكِبَرَ أَحَدُهُما أَو كِلاهُما فَلا تَقُل لَّهُما أُفٍّ ولا تَنهَرْهُما وقُل لَّهُما قَولًا كَرِيمًا ، وٱخفِضْ لَهُما جَناحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحمةِ وقُل رَّبِّ ٱرحَمْهُما كما رَبَّيانِي صغِيرًا)** [الإسراء/22-24].

ورَدَ في هذا النصِّ الكريمِ تقابُلٌ دَلاليٌّ مُتضادٌّ انتظمَتهُ خمسةُ تركيباتٍ متعاقبةٍ بواقِعِ تركيبَين مُصَدَّرَين بأَداة النهيِ (لا) وهما (لا تَقُلْ لَّهُما أُفٍّ ، لا تَنْهَرْهُما) يُقابلُهما بالضدِّ ثلاثةُ تركيباتٍ مُصدَّرةٍ بـ(قُلْ لَّهُما قولا كريمًا ، اخفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرحمةِ ، قُلْ رَّبِّي ارحَمْهُما كمَا ربَّانِي صغيرًا).

ذهَبَ (السيدِ محمد تقي المدرسيِّ) في بيانِه هذا النصَّ الكريم إلى أَنَّ ((الأَبَ أَوِ الأُمَّ عندَما يَكبُرانِ تَتغيَّرُ حالتُهُما النفسيةُ ؛ فتكونُ طلَباتُهُما بحيثُ قد لا يستطيعُ الابنُ أَن يُوفِّرَها لهما ؛ فعندَئذٍ يَجبُ أَلا تُرَدَّ طلباتُهما ولا يُؤذَيانِ ولو بكلمةِ (أُفٍّ) وهي تعبيرٌ عنِ الضَّجَرِ ، بل على الابنِ أَن يُّجيبَهُما بكلماتٍ تبعَثُ الأَملَ في نفْسِيَّتِهما ، وتَحفَظُ لهما كرامتَهُما... [و]على المسلمِ أَن يَّخفِضَ جناحَيهِ لوالدَيهِ... وهذا لا يعني خُضُوعَ العَقلِ والإرادةِ وإنَّما خُضُوعُ الرحمةِ والشفَقَةِ. وبالتالي فإنَّ على الابنِ أَن يرفعَ كفَّيهِ بالدعاءِ... فكم يَتعَبُ الأَبُ والأُمُّ على الابنِ...فلا بُدَّ أَن يَّطلُبَ الابنُ لوالدَيهِ الرحمةَ من اللهِ. والآيةُ تدُلُّ على أَنَّ الدعاءَ بحَقِّ الآخَرِينَ نافعٌ لهُم كما أَنَّ الشفاعةَ- وهي نوعٌ من الدُّعاءِ – نافعةٌ بحقِّ المُذنِبين))[251].

يَتجلَّى الأَثَرُ النفْسيُّ في هذه النصوصِ الكريمةِ لإبعادِ الخُلُقِ السَّيِّئِ الذي قد يتعامَلُ به الأَبناءُ مع أَبوَيهِما عن ساحةِ الحياةِ الكريمةِ التي أَمر اللهُ سبحانَه الناسَ بالعيشِ في ضوابطِها وهنائِها باستثمارِها والتمتُّعِ بخيراتِها ؛ فنهَى عن مساوئِ التعاملِ معَ الأَبوَينِ من أَقلِّ خُلُقٍ يُسيئُ إليهما وهو (التأفُّفُ) منهُما باسمِ الفِعْلِ (أُفٍّ) الذي يَدُلُّ على التضجُّرِ والرفضِ

(251) من هدى القرآن 4:430-431.

والتحامُلِ على الأَبوَينِ صُعُودًا إلى أَشَدِّ هذه المساوئِ. وما نُهِيَ عن أَقلِّهِ فكبيرُهُ وأَكبرُهُ أَشنَعُ وأَقبَحُ وأَخصُّ بالنهيِ والتحذيرِ من إيقاعِه.

ويرَى (د. تمام حسَّان/ ت2011م) أَنَّ ((حُسْنَ المُعاملةِ الذي يَدعُو إليه القرآنُ الكريمُ أَعظمُ وسيلةً مِن وسائلِ توثيقِ الروابطِ الاجتماعيةِ. وإشاعةُ الطُّمأنينةِ بينَ الناسِ ، وتَوطيدُ ثقةِ الناسِ بعضِهم ببعضٍ إنَّما يكونُ... ببرِّ الوالدَينِ ، وصِلَةِ الأَرحامِ ، وأَداءِ الحُقوق))[252].

ومِنهُ قولُه تعالى: **(ووَصَّينَا الإنسانَ بوَالدَيهِ حُسْنًا)** [العنكبوت/8] ، وقولُ سبحانَه: **(ووَصَّينَا الإنسانَ بوَالدَيهِ إحسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ووَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وحَمْلُهُ وفِصالُهُ ثلاثُونَ شَهرًا)** [الأَحقاف/15] ، وقولُه: **(وصاحِبْهُما في الدُّنيا مَعرُوفًا ۖ واتَّبِعْ سبِيلَ مَنْ ....)** [لقمان/15] ؛ فخَفْضُ جناحِ الذُّلِّ من الرحمةِ للوالدَينِ استِعارةٌ رائعةٌ لمَنهجِ التواضعِ والطاعةِ والتوقيرِ الذي يَجِبُ على الأَبناءِ اتخاذُهُ دليلَ حياةٍ وتعاملٍ ، واتبَّاعُهُ سبيلَ سُمُوٍّ وتكاملٍ ، والدعاءُ لهُما بالرحمةِ بعبارةِ **(رَبِّ ارحَمْهُما)** التي يَطلُب بها الابن – راجيًا ربَّهُ – الرعايةَ الإلهيةَ لأَبوَيهِ جزاءً تكريميًّا لهما عنِ رعايتِهما له بمنهجِ التربيةِ والتنميةِ السليمةِ ، والبناءِ الحكيمِ صحيًّا واجتماعيًّا وفِكريًّا ، وهي طلباتٌ رَجائيةٌ من الأَدنى إلى الأَعلى بأُسلوبَيِ الطلَبِ والدُّعاءِ.

وذهب (د. فاضل صالح السامرائيُّ) في معرِضِ حديثِه عن قولِه تعالى: **(ووَصَّينا الإنسانَ بوالِدَيهِ)** إلى أَنَّه ((لم يَقُلْ: (أَبوَيهِ) لأَكثرَ من سببٍ فإنَّ كلمةَ (الوالِدَينِ) تثنيةُ الوالدِ والوالدةِ ، وغَلَّبَ فيها لفظُ الوالدِ ؛ ولذا ثُنِّيَت بالتذكيرِ، وإنَّ كلمةَ (الأَبوَينِ) تثنيةُ الأَبِ والأُمِّ ، وغَلَّبَ فيها لفظُ الأَبِ ؛ ولذا قيل: (الأَبوَينِ). ومعَ أَنَّ الكلمتَينِ فيهما تغليبٌ للمُذكَّرِ إلا أَنَّ لفظَ (الوالِدَينِ) مأخوذٌ من الوِلادةِ ، والوِلادةُ في الحقيقةِ تقومُ بها المرأةُ إلا أَنَّه غَلَّبَ لفظَ الوالدِ في التثنيةِ .... ولم يقُلْ مرةً واحدةً (وبالوالِدَينِ إحسانًا) بل إنَّ كلَّ مَواطِنِ الأَمرِ

(252) البيان في روائع القرآن 2:251.

بالمُصاحبةِ بالمَعروفِ، والإحسانِ إليهما ، والبِرِّ بهِما ، والدعاءِ لهُما يأتي بلفظِ الوالدَينِ ، وفيه إلماحٌ إلى أَنَّ الأُم لها النصيبُ الأَوفَى في ذلك))[253].

إنَّ هذا التعاملَ الإيجابيَّ مِنَ الأَبناءِ إلى الوالدَينِ هو الأَساسُ لبناءِ مجتمعٍ خالٍ مِنَ النزاعاتِ التي تُؤدِّي إلى هَلاكِ الفردِ والمجتمعِ ، وهو التعاملُ الكفيلُ بتطهيرِ النفسِ الإنسانيةِ من الغِلِّ والحقدِ والتعالي والانحرافِ ما ينعكِسُ خُلُقًا نبيلا في الأُسرةِ ، ثم إلى المجتمعِ تأثيرًا وانتِقالا ؛ وبهذا تتحققُ الغايةُ التي على الإنسانِ الوصولُ إليها بحقيقةِ قولِه تعالى: **(ولقَد كَرَّمنا بَني آدمَ)** [الإسراء/ 70] إذِ انتقلَ النصُّ القرآنيُّ بهذا التأسيسِ التربويِّ السامي ((إلى وَحدةٍ اجتماعيةٍ أَكبرَ وهي العَلاقةُ مع الأَقاربِ ، والجَارِ مُؤكِّدًا المحبَّةَ والأُلفَةَ؛ فقد قرَنَها بتقوَى اللهِ في قولِه عزَّ وجَلَّ:(**واتَّقُوا اللهَ الذي تَسَاءَلُونَ بهِ والأَرحامَ إِنَّ اللهَ كانَ علَيكُم رَقِيبًا)** [النساء/4][254].

5-التقابلُ بينَ النهيِ عنِ السُّخْرِيَةِ ، وإحداثِها:

قال تعالى:(**يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسخَرْ قَومٌ مِّن قَومٍ عسَىٰ أَن يَّكُونُوا خَيرًا مِّنهُم ولا نِساءٌ مِّن نِّساءٍ عسَىٰ أَن يَّكُنَّ خَيرًا مِّنهُنَّ ۖ ولا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُم ولا تَنابَزُوا بالأَلقَابِ ۖ بِئسَ الِاسمُ الفُسُوقُ بَعدَ الإِيمانِ ۚ ومَن لَّم يَتُبْ فأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)** [الحجرات/11].

يُفصِحُ لنا هذا النصُّ الكريمُ عن تقابلٍ دَلاليٍّ مُتضادٍّ بينَ تركيبَينِ فِعلِيَّينِ أَحدُهُما قائمٌ على النهْيِ عنِ السُّخريةِ مِن الآخَرينَ رِجالا كانُوا أَم نساءً وهو قولُه تعالى: **(لا يَسخَرْ قَومٌ مِّن قَومٍ ... ولا نِساءٌ مِّن نِّساءٍ)** وهو نَهيٌ عن ظاهرةٍ سَلبيةٍ تُدرَجُ ضمنَ مساوئِ الأَخلاقِ التي نهَى عنها الشارعُ المُقدَّسُ.

---

(253) على طريق التفسير البياني 2:314.

(254) ينظر: آيات الأَحكام في القرآن الكريم 28.

وقد جاء هذا النصُّ الكريمُ واحدًا من نصوصِ التشريعِ الأَخلاقيِّ التي تُؤدِّبُ المُسلمَ بأَحسَنِ الأَخلاقِ في التعاملِ مع الآخَرِينَ يُقابِلُه قولُه تعالى:(**عسَى أَن يَّكُونُوا خَيرًا مِّنهُم ... عسَى أَن يَّكُنَّ خَيرًا مِّنهُنَّ**) بواقعِ تعاقُبِ التقابلِ المتلازمِ بينَ تركيبَينِ مزدوَجَينِ متداخلَينِ مترابطَينِ بنَهيٍ مُوَحَّدٍ مُوَجِّهٍ لهذينِ التركيبَينِ.

ويرَى (الزَّمَخْشَرِيُّ) في هذا النصِّ الكريمِ أَنَّ ((المعنى وُجوبُ أَن يعتقِدَ كلُّ أَحَدٍ أَنَّ المَسخُورَ مِنهُ ربما كان عندَ اللهِ خيرًا من الساخِرِ ؛ لأَنَّ الناسَ لا يَطَّلِعُون إلا على ظاهرِ الحالِ ، ولا عِلمَ لهم بالخَفِيَّاتِ. وإنما الذي يَزِنُ عندَ اللهِ خُلُوصُ الضمائِرِ وتقوَى القُلوبِ ...فيَنبغِي أَن لا يَجتَرِئَ أَحَدٌ على الاستهزاءِ بمَن تَقتَحِمُهُ عينُه إذا رآه رَثَّ الحالِ أَو ذا عاهةٍ في بَدَنِه .. فلعلَّه أَخلَصُ ضميرًا ، وأَنقَى قلبًا ممَّن هو على ضِدِّ صِفتِه ؛ فيَظلِمَ نفسَه بتحقيرِ مَن وَقَّرَهُ اللهُ))[255].

وتجدُرُ الإشارةُ إلى أَنَّ تركيبَ التقابلَ هنا قائمٌ – بعدَ النهْيِ – على فِعلِ الرَّجاءِ (عسَى) الذي يتضمَّنُ دعوةً إلهيةً كريمةً إلى كلِّ مَن يَّسخَرُ من غيرِه أَن يَّرجُوَ في نفسِه أَن يَّكونَ مُتحلِّيًا بالأَخلاقِ الحُسنَى التي يَتحلَّى بها الذين سَخِرَ منهم أَصلا.

وفي هذا التركيبِ بُعْدٌ نفسِيٌّ إيجابيٌّ واضحٌ يَكشِفُ عن لُزُومِ احترامِ الإنسانِ، ومَنحِهِ حقَّ كرامتِهِ وحُرمتِه ، وهي كرامةٌ وحُرمةٌ قد كفَلَها اللهُ تعالى لخَلقِهِ تهذيبًا وتنقيةً للفردِ والأُسرَةِ والمجتمعِ من رذائلِ الأَخلاقِ ، ونشرًا لفضائلِها تحذيرًا من عاقبةِ حالِ مَن يَّفقِدُها ممَّن يُّنصِّبُ نفسَه ساخِرًا مِن الآخَرِين ، أَو ممَّن تُنصِّبُ نفسَها ساخِرةً مِن الأُخرَياتِ.

وفي شأنِ الدعوةِ القرآنيةِ الناسَ إلى نبْذِ السُّخريةِ عامةً يرَى (د. صالح مُلا عزيز) أَنَّه قد ((تمتازُ الصورُ الساخرةُ في الخِطابِ القرآنيِّ بالنزاهةِ التي تنأَى عنِ الفُحشِ ، وتَبعُدُ عنِ الدَّنَسِ ، كما تمتازُ بأَنَّها تتَّجِهُ إلى الفعلِ تَستَهزِئُ به وتُعِيبُه ، ولا تَعنِيها الأَشخاصُ ، ولا

---

(255) الكشاف 256:4. ويُنظر: نظم الدرر 376:18 ، ومجمع البيان 173:9، ونفحات قرآنية، محمد بن صالح الشاوي 139.

تُحدِّدُ هُوِيَّاتٍ ؛ لأَنَّها تهدُفُ إلى تركِ الفِعلِ والابتعادِ عنه ؛ ومِن الحِكمةِ أَن لا تَذكُرَ فاعِلَه ؛ لأَنَّ ذلك ادْعَى إلى اعتِناقِ الدِّينِ مِن غيرِ أَن يَّكونَ لماضيهِ ما يَحُولُ بينَه وبينَ قَبولِ الدِّينِ الجَديدِ ، أَو يَكونَ سِمَةً تُؤذِيهِ دائِمًا إذا هو قَبِلَ الدِّينَ الجَديدَ))[256].

وفي الشأنِ نفسِه يرَى (د. أَحمد محمد فارس) أَنَّ ((من المعاني التي يَخدُمُها النداءُ في القرآنِ الكريمِ توفيرَ الاعتبارِ الإنسانيِّ والكرامةِ البشريةِ لكُلِّ فردٍ بغَضِّ النظَرِ عنِ اللونِ والنسَبِ والعِرْقِ والجَاهِ والمالِ. والاعتبارُ البشَريُّ لكلِّ فردٍ في المجتمعِ يكونُ بانتهاءِ الإنسانِ عنِ السُّخريةِ من غيرِه ، وعن لِقائِهِ بما يَكرَهُ... لأَنَّ مِن شأنِ ذلك تَعكيرَ صَفْوِ العَلاقاتِ الطيبةِ التي يَجلِبُها الإيمانُ باللهِ ، والانتقالِ إلى مستوى الحَضارةِ الإنسانية))[257].

إنَّ هذا التقابلَ المُتداخِلَ المُترابطَ بينَ هذينِ التركيبَينِ في دائرةِ التشريعِ الأَخلاقيِّ واحدٌ من حُصُونِ الأَدبِ الإسلاميِّ الذي على الإنسانِ أَن يتحلَّى به صَونًا له ، وصَونًا لحُرمةِ أَخيهِ المُسلمِ ؛ فما السُّخريةُ إلا هَتْكٌ لحُرمةِ الآخرِ ، وهَدْمٌ للفردِ والأُسرةِ ، والمجتمع.

وكلمةُ (قومٍ) تدُلُّ على (الرِّجالِ) فقط بحسبِ هذا النصِّ القرآني ؛ لأَنَّه أَفردَ ذِكْرَ (النساءِ) ذِكرًا مُستقلا بعدَ ذِكرِ (القَومِ) مستقلا أَوَّلا [258].

---

(256) من بلاغةِ القرآنِ 271. وينظر: جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني 72-81.

(257) النداء في اللغة والقرآن 140-141.

(258) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل 1136:1.

المبحثَ الثالثَ/ التقابُلُ في المجالِ الاجتماعي:

إنَّ المجتمعَ منظومةٌ مُتكاملةٌ من أَفرادِها الذين كَوَّنُوهُ بأَمرِ اللهِ وحِكمتِه التي قَضَتِ التكوينَ مِن ذَكَرٍ وأُنثَى يُؤلِّفانِ بالتكاثُرِ عن مَوَدَّةٍ ورَحمةٍ هذا المجتمعَ تتابُعًا زَمنيًّا ، وانتِشارًا مكانيًّا بحقيقةِ قولِه تعالى: **(يا أَيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقناكُم مِّن ذَكَرٍ وأُنثَىٰ وجَعلْناكُم شُعُوبًا وقبائِلَ لِتَعارَفُوا ۚ إنَّ أَكرمَكُم عِندَ اللهِ أَتقاكُم ۚ إنَّ اللهَ عليمٌ خبِيرٌ)** [الحجرات/١٣].

إنَّ أَساسَ صلاحِ المجتمعِ العملُ الصالحُ ونتائجُهُ التي يُجازَى بها مَن يتحلَّى به والاهتِداءُ بالتي هي أَقوَمُ ، وقولُ التي هي أَحسَنُ وحالُ الحياةِ الكريمةِ بمُوجبِهِما بحقيقةِ قولِه تعالى: **(وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَستَخلِفَنَّهُم في الأَرضِ كما استَخلَفَ**

الَّـذِينَ مِـن قَـبلِهِم) [النـور/٥٥]، وقولِـه تعـالى: **(إِنَّ هـذا القـرآنَ يَهـدِي للتـي هـي أَقـوَمُ)** [الإسراء/9] ، وقولِه تعالى: **(وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا)** [الإسراء/٥٣].

وهذه الحقيقةُ القرآنيةُ التي جاءت لكرامةِ الإنسانِ ، وتنزيهِ نفسِه وتنزيهِهِ هو عنِ الفسادِ والانحرافِ إنما هي حقيقةُ الإرادةِ الإلهيةِ التي كانت بها خِلقةُ الإنسانِ ، وهي الحقيقةُ التي جابَهَها الإنسانُ نفسُه بعنادِه وتمرُّدِه على القِيَمِ التكريميةِ التي جُعِلَت له منارًا جاء به الأَنبياءُ والمُرسَلُونَ (عليهِمُ السلامُ) في ظلِّ دعَوَتِهِم وإرشادِهِم وخطاباتِهِم وحواراتِهم ((مع أَقوامِهم ؛ فقد مَثَّلَت للأُسلوبِ الإقناعيَّ في دعوتِهِم لوَحدانيةِ اللهِ – سبحانَه وتعالى – فرَسَّخَت لتقنياتِ الخِطابِ التي تحتاجُها الأُمةُ ... وأَبرَزَت تلكَ الحواراتُ مدى استيعابِ الأَنبياءِ لأَقوامِهم وهم في أَشَدِّ حُلَّتِهِمُ العَدَائيةِ لهُم))[259].

فالمجتمعُ الناجحُ هو الذي يُبنَى على أُسسٍ صحيحةٍ ومتينةٍ تُلقِي بظِلالِها النفسيةِ الإيجابيةِ على أَفرادِهِ ، وتُبعِدُ المُسبِّباتِ النفسيةَ الضيِّقةَ. ومِن أَظهرِ أَدواتِ هذا البناءِ الاجتماعيِّ الصحيحِ اللغةُ التي تأتي حواراتُها بنَّاءةً كريمةً بحقيقةِ توظيفِها للخيرِ والاحترامِ ، وتأتي هدَّامةً لئيمةً بحقيقةِ توظيفِها للشرِّ والانتقام ؛ لأَنَّ ((العَلاقاتِ بينَ الظواهرِ اللغويةِ والظواهرِ الاجتماعيةِ ، وتَأثُّرَ اللغةِ بالعاداتِ والتقاليدِ والنظامِ الاجتماعيِّ في زمانٍ ومكانٍ مُعيَّنينِ قائمةٌ منذُ أَن وُجِدَتِ اللغةُ ، ووُجِدَتِ الحياةُ الاجتماعيةُ ؛ فجَوهرُ الإنسانِ إنما يَكمُنُ في لُغتِهِ ، وحساسِيَتِه ، وحياتِه الاجتماعيةِ))[260] يُصدِّقُ هذه الحقيقةَ الاجتماعيةَ قولُ أَميرِ المؤمنينَ الإمامِ عليٍّ (عليهِ السلامُ: ((تَكَلَّمُوا تُعرَفُوا ؛ فإِنَّ المَرْءَ مَخبُوءٌ تحتَ لِسانِهِ))[261]. فاللغةُ – إِذًا – هي العاملُ الأَساسُ لتواصُلِ الأَفرادِ والمُجتمعاتِ لبناءِ حياتِهِم بالتوقيرِ ، أَو تكونُ عاملا موظَّفًا بالسوءِ عندما تُهدَّمُ بها الحياةُ بالتحقير.

---

(259) جماليات الحوار ودَلالته في القران الكريم ، د. يادكار لطيف الشهرزوري ٧٨.

(260) علم اللغة الاجتماعي عند العرب ، د. هادي نهر ٩.

(261) شرح نهج البلاغة 340:13.

يرَى (د. رمضان عبدالتوَّاب/ ت1422هـ) في أَبعادِ اللغةِ الاجتماعيةِ ((أَنَّ اللغةَ نشاطٌ اجتماعيٌّ مِن حيثُ إِنَّها استجابةٌ ضروريةٌ لحاجةِ الاتصالِ بينَ الناسِ جميعًا ؛ ولهذا السببِ يتصِلُ علمُ اللغةِ اتصالا شديدًا بالعلومِ الاجتماعيةِ ، وأَصبحَت بعضُ بُحُوثِه تُدَرَّسُ في علمِ الاجتماعِ ؛ فنشَأَ لذلك فرعٌ منه يُسمَّى (علمُ الاجتماعِ اللغويُّ) يُحاوِلُ الكشفَ عن العَلاقةِ بينَ اللغةِ والحياةِ الاجتماعيةِ ، وبينَ أَثَرِ ذلك تلكَ الحياةِ الاجتماعيةِ في الظواهرِ اللغويةِ المُختلفةِ))[262].

حقيقٌ على أَن أُوثِّقَ بالذِّكرِ مدى التواشجِ بينَ الدراساتِ اللغويةِ الاجتماعيةِ والدراساتِ اللغويةِ النفسيةِ ؛ فما المجتمعُ إلا أَفرادٌ ، وما الفردُ إلا نفسٌ وتكوينٌ نفسيٌّ، وما العلاقاتُ الاجتماعيةُ إلا بالتلاقي والحوارِ ، وما الحوارُ إلا باللغةِ ، ومِن صورِ التخاطُبِ بها التقابلُ الذي يُبرِزُ جانبًا من الحقائقِ ، ويُنبِّهُ إليها لأَنها نِتاجٌ عن الصراعاتِ في المواقفِ والأَحداثِ المستمرةِ كالتقابلِ بينَ الخيرِ والشرِّ ، والذَّكَرِ والأُنثى ، والحقِّ والباطلِ ، والقِيَمِ النبيلةِ والسيِّئة.

ومِن موضوعاتِ هذا التقابلِ الدَّلاليِّ المُتضادِّ التي انتظمها النصُّ القرآنيُّ ما يأتي:

1-التقابلُ بينَ الخيرِ ، والشرِّ:

قال تعالى:(**فمَن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ خَيرًا يَرَهُ ، ومَن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)** [الزلزلة/٧-٨].

(262) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ١٢٥. والصوابُ: ((وبينَ أَثَرِ تلكَ الحياةِ الاجتماعيةِ في الظواهرِ اللغويةِ المُختلفةِ)).

من بدائعِ القرانِ الكريمِ كنايتُه عنِ الأَشياءِ والأَحداثِ بتعبيراتٍ وثيقةِ الصلةِ بتلكَ الأَشياءِ والأَحداثِ التي يَقِفُ الإنسانُ أَمامَ نفسِهِ يُحاسِبُها ويُوجِّهُها في ضوءِ الإرادةِ الشرعيةِ التي مُنِحَها ، لا أَن تُوجِّهَهُ مَتاهاتُ المَفاسدِ الشيطانيةِ.

من هذه الحقيقةِ نَقرأُ هذا النصَّ الكريمَ وقدِ انتَظَمَهُ تركيبانِ شرطيانِ مُتقابِلانِ مُتضادَّانِ عَقَدَتْ دَلالةَ كلٍّ منهُما أَداةُ الشرطِ (مَنْ) التي يُكَنَّى بها عن العاقلِ ؛ فجاءَ التركيبُ الأَولُ **(فمَن يَّعمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ خَيرًا يَرَهُ)** بهذه الأَلفاظِ الكِنائيةِ **(مِثقالَ ذَرَّةٍ)** ، و**(خَيرًا يَرَهُ)** وهو يأخُذُ بيدِ الإنسانِ إلى أَن يتنَبَّهَ إلى عمَلِهِ بصرفِ النظرِ عن حجمِهِ وسَعتِه وكثرتِه ؛ فإذا كان بأَقلِّ أَحوالِه وأَصغرِ أَحجامِه وأَضيَقِ تأثيرِه في مَيدانِ العملِ الصالحِ وهو ما كُنِّيَ عنه بـ**(مِثقالَ ذَرَّةٍ)** أَي أَنَّه لا يُساوي بكَيلِهِ ووَزنِه (ذَرَّةً) لا تُرى ولا يُحَسُّ بها فإنه يتجلَّى لفاعِلِه خيرًا يراهُ في حياتِهِ في نفسِه وجسمِه وأُسرَتِه ومصدرِ رزقِه وما يتصلُ بهِ من مُحيطِه بحقيقةٍ قرآنيةٍ راسخةٍ قِوامُها أَنه ((لم تَعُدْ تَقرَعُ الأَسماعَ أَو تَرتَسِمُ في الأَذهانِ صورةٌ من الصورِ القرآنيةِ إلا وتَوقَّعَتِ الآذانُ أَن تسمَعَ تلك الصورةَ المُقابلةَ المتوقعةَ ، والتَفَتَتِ البصائرُ والأَبصارُ إلى ما يُثبِتُ تلك الصورةَ المُرتَسِمَةَ أَمامَ الأَعيُنِ وعلى صفَحَاتِ القلوبِ حتى ينجلِيَ الفرقُ واضحًا بينَ الصورتَين ، وبضِدِّها تتمايَزُ الأَشياءُ))[263].

ويُحاكي هذا النصَّ القرآنيَّ قولُه تعالى: **(كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَت رَهِينَةٌ)** [المدثر/٣٨] ، وقولُه تعالى: **(لها ما كَسَبَت وعلَيها ما اكتَسَبَتْ)** [البقرة/٢٨٦] ، وقولُه تعالى: **(فَمِنِ اهتَدىٰ فلِنَفسِهِ ومَن ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ علَيها وما أَنتَ علَيهم بوَكيلٍ)** [الزمر/٤١] ، وقولُه تعالى: **(ومَن يَّكسِبْ إثمًا فإنَّما يَكسِبُهُ علَىٰ نَفسِهِ)** [النساء/١١١] ، وقولُه تعالى: **(...وأَن لَّيسَ لِلإنسانِ إلَّا ما سَعَىٰ ، وأَنَّ سَعيَهُ سَوفَ يُرَىٰ ، ثُمَّ يُجزَاهُ الجَزاءَ الأَوفَىٰ)** [النجم/٣٦-٤١].

---

(263) الصورة الأَدبية في القرآن الكريم ، د. صلاح الدين عبدالتواب 135-136. وينظر: جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني 83.

ويـرَى (سـيد قطـب) أَنَّ الإنسـانَ يَقِـفُ ((مِـن نَّفسِـهِ مَوقـفَ الرقيـبِ يَهـدِيها إِن ظَلَّـتْ، ويَمنحُها حقوقَها المشروعةَ ، ويُحاسبُها إِن أَخطأَت ، ويَحتَمِلُ تبِعَةَ إِهمالِهِ لها ؛ وبذلك يُقِيمُ الإِسـلامُ مـن كلِّ فـردٍ شخصـيَّتَين تتراقبـانِ ، وتتلاحَظـانِ ، وتتكـافَلانِ فيمـا بينهُمـا فـي الخيـرِ والشرِّ في مُقابلِ مَنْحِ هذا الفردِ التحرُّرَ الوجدانيَّ الكاملَ والمساواةَ الإِنسانيةَ التامةَ ؛ فالحريـةُ والتَّبِعَةُ تتكافآن ، وتتكافلان))[264].

وهذا كلُّه من فُيوضِ النعمـةِ الإِلهيـةِ التـي انتظَمَها كلٌّ مِّن (مِّثقالَ ، ذَرَّةٍ ، خيرًا) التـي جـاءت بصـيغةِ النَّكِرةِ التـي تـدُلُّ علـى عُمـومِ دَلالتِهـا وسَـعَةِ مَـدَاها واسـتِغراقِ أَفرادِهـا. وهـذه الفيوضُ تُلقِي بظِلالِها النفسيةِ الإِيجابيةِ الكبرى على عاملِ الخير ما يَجعَلُ حياتَه طيبـةً هانئـةً بمُوجِب قولِـه تعالى: **(مَنْ عَمِلَ صـالِحًا مِّـن ذَكَـرٍ أَو أُنثَـىٰ وهُوَ مُـؤمِنٌ فلَنُحيِيَنَّـهُ حيـاةً طيِّبـةً ولَنَجـزِيَنَّهُم أَجـرَهُم بأَحسَنِ مـا كـانُوا يَعمَلُـونَ)** [النحل/٩٧] الذي يُقابلُه التركيبُ المُضادُّ لـه وهو قولُه تعالى: **(ومَن يَّعمَلْ مِثقـالَ ذَرَّةٍ شـرًّا يَّـرَهُ)** الذي يأخُذُ بيدِ الإِنسانِ إِلى جانبٍ آخَرَ إِلى أَن لا يَستخِفَّ بعملٍ سيِّءٍ يَقترِفُه أَو يَرتكِبُهُ من دونِ عنايـةٍ بـالتراجُعِ عنـه ومَنـعِ آثارِه ؛ فـ((إِنَّ المقابلةَ بينَ الخيرِ والشرِّ تَقتضيها المصلحةُ ، ويَقتضِيها اختبارُ اللهِ لقُدُراتِ البشرِ فـي حُسنِ الاختيـارِ لمـنهجِ اللهِ والخيـرِ الـذي يَحمِلُـه ، أَو سـوءِ الاختيـارِ لمنـاهِجَ أُخرى تُوقِـعُ فـي الشرِّ وتُؤدِّي إِلـى الهَلاكِ ؛ ومِن هنا زاوَجَ اللهُ بينَ الأَشياءِ وأَقامَ الصراعَ بينَ الحقِّ والباطلِ والخيرِ والشرِّ ؛ كُلُّ ذلكَ ليَمِيزَ الخَبيثَ مِن الطيِّبِ ، ويُجازِي كلَّ واحدٍ حسْبَ اختيارِه. واللهُ سبحانَه حينَ مَزَجَ الخيرَ بالشرِّ ، وقابَلَ بينَهما بَيَّنَ السُّبُلَ المُؤدِّيـةَ إِلـى كِلَيهِما ، ووضَّـحَ الطُّرُقَ التـي تَقضِـي إِلـى كلِّ منهَجٍ حتـى لا يَتِيـهَ البَشَـرُ حينَ يَختـارُون ويُوازِنُـون ، ثم مَنَحَ الإِنسانَ مِن غرائِزِ الفِطرةِ التي تَتحرَّكُ كُلَّما استَدعاها الإِنسانُ وضَرَبَ على أَوتارِها))[265] ؛ فإِنَّ اللهَ تعالى يرَى العمَلَ إِن كان حسَنًا فإِنَّه يُجازِي فاعلَهُ بما لا يَخطُرُ ببالِه من فيوضِ

---

(264) العدالة الاجتماعية في الإسلام ٥٤.

(265) المقابلة في القرآن الكريم ٨٤.

الخيرِ ، وإن كانَ سيئًا فإنَّه يُعاقِبُ فاعِلَه مهما كان هذا العملُ صغيرًا يَظُنُّ فاعِلُه أَنَّه لا يُحاسَبُ علَيه ؛ لذا يَبِينُ للمتأَمِّلِ المُدَّبِّرِ بوضوحٍ من هذا التركيبِ المُتضادِّ مدى الآثارِ النفسيةِ المُرعبةِ التي ستُلقِي بظِلالِها على مَن يَّعمَلُ الشرَّ بصرفِ النظرِ عن حجمِه ؛ فإنَّه شرٌّ وإن لَّم يَكُ له وَزنٌ يُظهِرُهُ أَو مكانٌ يَشغَلُهُ من جِهةِ الحجمِ والسَّعَةِ وقُوَّةِ التأثيرِ. ومِن وظائفِ التقابلِ الدَّلاليِّ المُتضادِّ أَنَّهُ يُفصِحُ عنِ الغايةِ التي جاءَ بها النصُّ الكريم(266).

2-التقابلُ بالتعاونِ بينَ الحَسَنِ ، والسَّيِّئ:

قال تعالى: **(يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللهِ ولا الشَّهرَ الحرامَ ولا الهَدْيَ ولا القلائِدَ ولا آمِّينَ البَيتَ الحرامَ يَبتَغُونَ فَضلًا مِّن رَّبِّهِم ورِضوانًا وإِذَا حَلَلتُم فاصطادُوا ولا يَجْرِمَنَّكُم شَنَآنُ قومٍ أَن صَدُّوكُم عنِ المَسجِدِ الحرامِ أَن تَعتَدُوا وتَعاوَنُوا على البِرِّ والتَّقوَىٰ ولا تَعاوَنُوا على الإِثمِ والعُدوانِ واتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شدِيدُ العِقابِ)** [المائدة/٢].

نَقرأُ في هذا النصِّ الكريمِ تقابُلا مُتضَادًّا بينَ تركيبَينِ طلَبِيَّينِ وَرَدَ أَولُهُما بأَمرِ الفِعلِ **(وتَعاوَنُوا علَى البِرِّ والتقوَى)** ، ووَرَدَ الآخَرُ بصِيغةِ النَّهيِ بـ(لا والفِعلِ المضارِعِ) وهو قولُه تعالى: **(ولا تَعاوَنُوا علَى الإِثمِ و العُدوانِ)** وهما قرارانِ إلهيَّانِ واجِبَا التنفيذِ لمصلحةِ الفردِ والمجتمعِ ، ولسِيادةِ الأَمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عنِ المُنكَرِ؛ فالمجتمعُ وأَفرادُهُ يَنعَمانِ بالسعادةِ والاطمئنانِ عندَما يَسودُ الإحسانُ والامتناعُ عن المُحرَّماتِ نَهجًا للتعاملِ بينَ أَفرادِ الأُسرةِ والمجتمعِ ؛ لأَنَّ التعاونَ تَشارُكٌ لا يَقَعُ بينَ الفردِ ونفسِه بل يَقعُ بينَ الفردِ وأَخيهِ من جهةٍ ، وبينَهُ وبينَ أَبناءِ مُجتمعِهِ من جهةٍ أُخرى.

إنَّ القرآنَ الكريمَ هِدايةٌ عُظمَى ((جاءَ لِيَربِطَ القلوبَ باللهِ ، ولِيَربِطَ مَوازِينَ القِيَمِ والأَخلاقِ بمِيزانِ اللهِ ، جاء لِيُخرِجَ العربَ ، ويُخرِجَ البشَريةَ كلَّها مِن حَمِيَّةِ الجَاهليةِ والعصبيةِ وضَغطِ المشاعِرِ والانفعالاتِ الشخصيةِ والعائليةِ والعشائريةِ في مَجالِ التعاملِ مع الأَصدقاءِ

(266) ينظر: البعد الترابطي في القرآن الكريم دراسة تفسيرية ، د. إقبال وافي ٩٦-101.

والأَعداءِ))[267]. وفي هذا الأَمرِ الإِلَهيِّ لِفِعلِ التعاونِ فُيُوضٌ تَطِيبُ بها الأَنفُسُ ، وتَقَرُّ بها الأَعيُنُ ، وتَسعَدُ بها المجتمعاتُ.

يُقابله تركيبُ النَّهيِ الآخَرُ **(ولا تَعاوَنُوا علَى الإِثمِ والعُدوانِ)** الذي يَتضمَّنُ شَقاءً نَهَى عنهُ الخالقُ جَلَّ وعَلا ، وهو شَقاءٌ قائمٌ على التشارُكِ بصِيغةِ التعاونِ المَنهِيِّ عنهُ بـ(لا) ؛ لأَنَّه قائمٌ على فسادٍ وانحرافٍ أَخلاقيٍّ يَصِلُ به الفردُ والمجتمعُ إِلى التناحُرِ والهَلاكِ مادامَ هذا التعاونُ فيما بينَهم قائمًا على الإِثمِ والعُدوانِ ، وكِلاهُما فِعلانِ مُحرَّمانِ يَفعلُهُما الفردُ ضدَّ غيرِه. و((التقوَى... هي كُلُّ ما يَحمِلُ على الخوفِ من اللهِ – فإِنَّهُ الحاملُ على البِرِّ – فإِن كان منكُم من اعتدَى فتَعاوَنُوا على رَدِّهِ ، وإِلا فازدادُوا بالمُعاونةِ خيرًا. ولَمَّا كان المُعينُ على الخيرِ قد يُعِينُ على الشرِّ قال تنبيهًا علَى المُعاونةِ على الخيرِ ، ناهِيًا أَن يَّغضَبَ الإِنسانُ لغَضَبِ أَحَدٍ من صديقٍ أَو قريبٍ إِلا إِذا كان الغضَبُ لهُ داعِيًا إِلى بِرٍّ وتقوَى: **(ولا تَعاوَنُوا علَى الإِثمِ)** أَي الذنبِ الذي يَستَلزِمُ الضِّيقَ (والعُدوانَ) أَي المبالغةَ في مُجاوزةِ الحُدودِ والانتقامِ والتشفِّي وغيرِ ذلك. وكَرَّرَ الأَمرَ بالتقوَى إِشارةً إِلى أَنها الحاملةُ على كلِّ خيرٍ ؛ فقال:**(واتَّقُوا اللهَ)** أَيِ الذي له صفاتُ الكمالِ لِذاتِه ؛ فلا تَتَعَدَّوا شيئًا من حُدودِه...))[268].

وهذا يُفصِحُ عن شَقاءٍ للنفسِ ، وتَعاسَةٍ في الحياةِ التي ما خلَقَها اللهُ تعالى للناسِ بل لِفِعلِ الخيرِ ، وعِمارةِ الأَرضِ ، وكرامةِ الإِنسانِ.

ويرَى (سيد قطب) أَنَّ ((التعاونَ بينَ جميعِ الأَفرادِ واجبٌ لمَصلحةِ الجَماعةِ في حُدودِ البِرِّ والمعروفِ))[269].

إِنَّ ما يتصِلُ بالحياةِ المتجددةِ والمتطورةِ قد حَدَّدَ مسارَهُ القرآنُ الكريمُ إِذ حَدَّدَ مبدأَ التعاونِ على البِرِّ والتقوَى ، وعدمَ التعاونِ على الإِثمِ والعُدوانِ[270].

() 267في ظلال القرآن 839:2.

(268) نَظم الدرر 10:6

() 269العدالة الاجتماعية في الإِسلام 57.

() 270ينظر: لمحات نفسية في القرآن الكريم ، د. عبدالحميد محمد الهاشمي 23.

وفي هذا الموضوعِ ذهبَ (د. صلاحُ الدين عبدالتواب) إلى ((أَنَّ الأُسلوبَ القرآنيَّ في تصويرِهِ يَنتقِلُ من معنًى إلى معنًى بهذا التفنُّنِ الرائعِ ؛ فإنَّه قد سبَقَتِ الإشارةُ إلى أَنَّ هذا الانتقالَ قد يَكونُ في المعنى الواحدِ بينَ الإنشاءِ والإخبارِ، والإظهار والإضمار ، والمُضِيِّ والحُضورِ ، والاستقبالِ والتكلُّمِ ، والغَيبَةِ والخِطابِ إلى غيرِ ذلك من طُرُقِ الأَداءِ))[271] ومنها التقابلُ المُتضادُّ.

إنَّ مَوارِدَ الشرائعِ السماويةِ كلِّها في دائرةِ الدِّينِ الواحدِ قد جاءَت بالواجباتِ أَداءً عمليًّا لِعمارةِ الأَرضِ ، وإدامةِ الحياةِ مُقابِلَ رفضِ المُحرَّماتِ التي تُوبِئُ الأَرضَ ، وتَقتُلُ الحياةَ.

وهنا يَبينُ لُزومُ (التكافلِ الاجتماعيِّ) الذي أَمر به الإسلامُ كي ((يَّمنَحَ الحُريةَ الفرديةَ في أَجمَلِ صُورِها ، والمساواةَ الإنسانيةَ في أَدَقِّ معانيها ، ولكنه لا يَترُكُها فَوضَى ؛ فلِلمجتمعِ حسابُهُ ، وللإنسانيةِ اعتبارُها ، وللأَهدافِ العُليا للدِّينِ قِيمتُها ؛ لذلك يُقرِّرُ مَبدأَ التبعيةِ الفرديةِ في مُقابلِ الحُريةِ الفرديةِ ، ويُقرِّرُ إلى جانبِها التبعيةَ الجَماعيةَ التي تَشمَلُ الفردَ والجماعةَ بتكاليفِها ... فهناك تكافُلٌ بينَ الفردِ وذاتِه، وبينَ الفردِ وأُسرَتِه القريبةِ ، وبينَ الفردِ والجَماعةِ ، وبينَ الأُمَّةِ والأُمَمِ ، وبينَ الجِيلِ والأَجيالِ المُتعاقبةِ أَيضًا))[272] ؛ فالقُرآنُ كتابُ التشريعِ الإسلاميِّ للإنسانيةِ كلِّها يَهدِي للتي هي أَقوَمُ ، ويَدْرَأُ التي هي أَسوَأُ.

3-التقابلُ بينَ وَضْعِ الذَّكَرِ ، والأُنثى:

قال تعالى: **(فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعتُهَا أُنثَىٰ واللهُ أَعلَمُ بما وَضَعَتْ ولَيسَ الذَّكَرُ كالأُنثَىٰ وإِنِّي سَمَّيتُها مَريمَ وإِنِّي أُعِيذُها بكَ وذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ)** [آل عمران/٣٦].

---

(271) الصورة الأَدبية في القرآن الكريم 177. والصوابُ: طرائقُ الأَداءِ.

(272) العدالة الاجتماعية في الإسلام 53. وينظر: المقابلة في القرآن الكريم 167.

ورَدَ في هذا النصِّ الكريمِ تركيبانِ مُتقابِلانِ مُتضادَّانِ على لسانِ (أُمِّ السيدةِ مريمَ (حَنَّه بنتِ قاعُود) عليهِما السلامُ) بعد أَن نَّذَرَت ما في بطنِها أَن يَّكونَ عابدًا للهِ مُنقطِعًا لذِكرِه وطاعتِه في المَعبدِ ، وهو أَمرٌ تشريعيٌّ مُختَصٌّ بالذُّكورِ من دُونِ الإناثِ بحَسَبِ شريعتِهم آنذاكَ ؛ فلمَّا وَضَعَت جنينَها ، وبانَ لها أَنَّها بِنْتٌ – وهي (مريمُ/ عليها السلامُ) – أَدرَكَت أَنَّ ما قطعَتْهُ من عَهدٍ ونَذْرٍ على نفسِها لم يَعُدْ مُمكِنًا لها لأَنَّ الأَوامرَ الشرعيةَ لا تَسمَحُ للبِنتِ بهذه المُهمةِ في المَعبدِ ؛ فحَكَى عنها القرآنُ قولَها: **(إِنِّي وَضَعتُها أُنثَىٰ)**.

وذَهَبَ (أَبوالسُّعودِ) في قراءتِه الدَّلاليةِ لهذا النصِّ إلى أَنَّ ((معناهُ تأكيدُ الاعتذارِ ببَيانِ أَنَّ الذَّكَرَ ليس كالأُنثى في الفضيلةِ والمَزِيةِ وصلاحِيةِ خِدمةِ المُتَعَبِّداتِ ؛ فإِنَّهُنَّ بمَعزِلٍ من ذلك))[273] ، وهو إِقرارٌ إِخباريٌّ منها بحقيقةِ وَضعِها مُؤكَّدٌ بـ(إِنَّ) توثيقًا للحالةِ التي جاءت عليها مَولُودتُها.

ويرَى (د. محمود موسى حمدان) أَنَّ ((الكافَ هي الأَصلُ في الدَّلالةِ على التشبيهِ مُعلِّلا ذلك ببساطتِها أَي كونِها حَرفًا واحدًا لا تركيبَ فيها لأَنَّ التركيبَ من شأنِه أَن يُؤدِّي إِلى خُصوصيةٍ في المعنى ؛ فالمُرَكَّبُ يَدُلُّ على أَصلِ المعنى وزيادةٍ كما هو الشأنُ في (كأَنَّ) من دَلالتِها على التشبيهِ المؤكَّدِ. أَمَّا (الكافُ) فلا تَدُلُّ إِلا على الأَصلِ وهو التشبيهُ))[274].

إِنَّ القراءةَ النفسيةَ عن هذا التقابلِ الدَّلاليِّ المتضادِّ الذي جاءت فيهِ لفظةُ (الذكَرِ، والأُنثى) تَذهَبُ بنا إِلى أَنَّ الأُنوثةَ التي تَدُلُّ على اللطافةِ واللِّينِ والهُدُوءِ إِنَّما تُفصِحُ بهذه الصفاتِ في الظاهرِ الاجتماعيِّ المعروفِ ؛ فكأَنَّها لا تَقوَى على مُتطلَّباتِ المَعبدِ التي يَتمكَّنُ منها الذَّكَرُ فلقط من دونِها.

() 273إرشاد العقل السليم 29:2.

()274 أَدوات التشبيه ودَلالتها واستعمالاتها في القرآن ١١٦.

وتجدُرُ الإشارةُ إلى أَنَّ (أُمَّ مريمَ/ عليهِما السلامُ) – حكايةً عن حالِها – لم تقُلْ (امرَأَةً ، أَو صَبِيةً ، أَو فتاةً ، أَو طِفلَةً ، أَو مَولودةً) بل قالت: (أُنثى) لِمَا تَقصُدُه من دَلالةٍ عميقةٍ وثَّقها النصُّ القرآنيُّ حِكايةً عنها ؛ فمُصطَلَحُ الأُنوثةِ يتضمَّنُ كلَّ ما للمرأَةِ من سُمُوٍّ إنسانيٍّ يَشتمِلُ على الصفاتِ الطَّرِيَّةِ الندِيَّةِ الهادِئَةِ لها يُقابِلُهُ قولُها الذي حكاهُ القرآنُ عنها:**(ولَيسَ الذَّكَرُ كالأُنثَى)** وهو تركيبٌ تضمَّنَ تقابُلا دَلاليًّا داخليًّا

ويرَى (د. محمود موسى حمدان) أَنَّ النفيَ في هذا النصِّ القرآنيِّ الكريمِ إنَّما هو ((نَفْيٌ للمُماثَلَةِ بينَ الذَّكَرِ والأُنثى التي وَلدَتْها امرأَةُ عِمرانَ. أَي ليس الذَّكرُ الذي طلَبْتُ (بضَمِّ التاءِ) مثلَ الأُنثى التي أَرادَها اللهُ وقضَى بها ؛ فهي خيرٌ منه لأَنَّ اللهَ اختارَها. هذا على أَنه كلامُها. وإن كان من كلامِ اللهِ فالمعنى وليس الذَّكرُ الذي طَلَبْتِ (بكَسرِ التاءِ) كالأُنثى التي وُهِبَت لكِ في الفضلِ والمَزِيَّةِ. فالتشبيهُ جاء في سِياقِ النفيِ ، ويكونُ مَآلُ نَفْيِ الصفةِ مع اختلافِ الطرَفَينِ جِنْسًا انتفاءَ المُماثَلَةِ جِنْسًا وصِفَةً))[275]. وهذا يَعني أَنَّ هذا التركيبَ كلَّه قائمٌ على إبرازِ خُصوصيةِ الذَّكَرِ المُلائِمةِ للعَهدِ والنَّذْرِ الذي قطعَتْهُ على نفسِها قبلَ الوِلادةِ يُقابِلُ خُصوصيةَ الأُنثى التي تضمَّنَها التركيبُ الأَولُ بما يُلائِمُها مِن مناسباتٍ ووظائفَ حياتيةٍ غيرِ التي يَطلُبُها المَعبدُ وشرُوطُه.

ومِن الوُجهةِ النفسيةِ فقد بانَ الاعتذارُ من (أُمِّ مَريمَ/ عليهِما السلامُ) واضحًا في عبارتِها التي حكاها القرآنُ الكريمُ عنها بقولِه تعالى: **(إِنِّي وَضَعْتُها أُنثَى)** وهو ما كَشفَهُ التركيبُ الآخَرُ **(ولَيسَ الذَّكَرُ كالأُنثَى)** ، وهذا يَعني أَنَّ ((المَثَلَ القرآنيَّ يَشُدُّ انتباهَ السامعَ ، ويَلفِتُ نظرَهُ إلى الحديثِ ، ويَحمِلُ السامعَ على التفاعلِ مع الحَدَثِ ؛ وهذا بدَورِهِ أَحَدُ جوانبِ التفاعلِ النفْسيِّ ؛ فالمَثَلُ يُسهِمُ في إبرازِ عواملِ التأثيرِ ومَكامِنِه سواءٌ أَ كانَت عواطفَ زائفةً

() 275أدوات التشبيه ودَلالتها واستعمالاتها في القرآن ١٦٩ – ١٧٠. ويُنظر: البحر المحيط ، أَبوحيَّان الأَندلسي ، عناية: صدقي محمد جميل 439:2.

مثلَ (الفرَحُ ، الأَمَلُ ، الرغبةُ) ، أَم عواطفَ رادعةً (الخوفَ ، الإشفاقَ) ، أَم مُمَجِّدةً (إعجابٌ ، حُبٌّ ، ثِقةٌ)))[276]. وهذه حقيقةٌ من حقائقِ الإعجازِ القرآنيِّ ببيانِهِ المُتفرِّدِ ، وببلاغتِهِ العُليا ، وأَساليبِه ، وروعةِ لُغتِه.

4-التقابلُ بينَ الإعطاءِ الإلهيِّ الأَكثرِ ، وشَنآنِ العَدُوِّ الأَبتَرِ:

قال تعالى: (**إِنَّا أَعطَيناكَ الكَوثرَ ، فصَلِّ لِرَبِّكَ وانحَرْ ، إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبتَرُ)** [الكوثر/١-٣].

يَتبيَّنُ من هذا النصِّ القرآنيِّ الكريمِ تقابلُ تركيبَينِ مُتضادَّينِ دَلاليًّا بحَسَبِ مَضمُونِ كلٍّ منهُما مَعقودٌ تركيبُهُما على حرفِ التوكيدِ والتوثيقِ ودَرْءِ الرَّيبِ والتشكيكِ (إنَّ) ؛ فمَضمونُ هذينِ التركيبَين – إذًا – مُؤكَّدٌ: الأَولُ منهُما قولُه تعالى: **(إِنَّا أَعطيناكَ الكَوثَرَ)** وهو خِطابٌ للنبيِّ محمدٍ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) يُظهِرُ مَنزلتَهُ العظيمةَ عندَ اللهِ تعالى ، ويَكشِفُ الفُيوضَ والمَواهِبَ الإلهيةَ بكَثرتِها وزَخَارتِها وامتدادِها ممَّا أَعطاهُ اللهُ تعالى له (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) أَي ((أَنَّ أَهَمَّ الحاجاتِ التي تُسبِّبُ التوافقَ النفسيَّ هي الحاجةُ إلى الحُبِّ والمَحبةِ ، والحاجةُ إلى الأَمنِ ، والحاجةُ إلى تأكيدِ الذاتِ. وعَطاءُ الكَوثرِ يُؤكِّدُ تلبيةَ هذه الحاجاتِ ؛ فقد شعَرَ محمدٌ (ص) بمحبةِ اللهِ له إذ أَعطاهُ ما لم يُعْطِ أَحَدًا من العالمينَ ، وشعَرَ بالأَمنِ ؛ لأَنَّ اللهَ معَه ، وسيُبقِي أَثَرَ دعوتِه ، ويَستأصِلُ عدُوَّه ، وشعَرَ بذاتِه وكينونتِه عبدًا للهِ ، وسيِّدًا للبشَرِ طالَمَا أَنَّ اللهَ آثَرَهُ بالكَوثَرِ))[277].

وفي هذا التركيبِ من الدَّلالاتِ الإيجابيةِ ما تَطمَئِنُّ به نفسُ النبيِّ محمدٍ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) ، وأَنفُسِ المُوالِينَ له ؛ فالمُعطِي هو اللهُ.

إنَّ النبيَّ محمدًا (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) كان عارفًا وعالمًا حقَّ اليقينِ بأَنَّ اللهَ تعالى معَه كلَّ لحظةٍ وحِينٍ ؛ فهو الذي هيَّأَهُ وأَنشأَهُ لهذه الرسالةِ الشاملةِ الوافيةِ.

---

(276) التعبير القرآني والدَّلالة النفسية ٤٥7.

(277) سورة الكوثر الإعجاز النفسي والبلاغي د. محمد رفعت زنجير وزميله ٢٢.

وقولُه تعالى:(**إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبتَرُ**) قد ورَدَ مؤكَّدًا بتَوكيدَينِ هما (إنَّ) ، وضميرُ الفصلِ (هو)[278].

ويرَى (تاجُ القُرَّاءِ محمود بنُ حمزةَ الكرمانيُّ/ ت بعدَ531هـ) أَنَّ قولَه تعالى:(**إِنَّا أَعطيناكَ الكَوثَرَ**) ، وبعدَه (**إِنَّ شانِئَكَ**) قد ورَدَ فيهِما الخبرُ مُقيَّدًا بـ(إنَّ) التوكيديةَ؛ ((والخبرُ إذا أُكِّدَ بـ(إنَّ) قارَبَ القَسَمَ))[279] ؛ وهذا ما يُوثِّقُ رسوخَ المعنى القاضي بحقيقةِ التضييقِ والتحييدِ والتقليلِ حتى الانقِطاعِ واليأسِ لدى الجَانبِ الآخَرِ المُعادي ما يُلقِي بظِلالِه النفسيةِ العصِيبةِ على أَعداءِ النبيِّ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) ؛ فالبَتْرُ هو القطعُ ، والأَبتَرُ هو المَقطوعُ. وكُلُّ ما يُقطَعُ يَنتهِي امتدادُه وتكاثُرُه ، وتنحسِرُ رُقعةُ وُجودِه.

ومِن أَشَدِّ العُيوبِ النفسيةِ التي تُظهِرُ مرَضَ القلبِ أَنَّ ذا العَيبِ يَرمِي سواهُ بما يُعانِيهِ هو نفسُه مِن ابتلاءاتٍ ومَساوئَ ؛ فبعضُهُم يتخِذُ من هذا العيبِ سلاحًا ضدَّ خصمِه ، ((ومِن حِيَلِ الدفاعِ النفسيِّ الإسقاطُ وهو أَن ينسِبَ الفردُ ما في نفسِهِ مِن عيوبٍ وصفاتٍ غيرِ مرغوبةٍ إلى غيرِه من الناسِ ، ويُلصِقُها بهِم. وهذا يتجلَّى في موقفِ أَهلِ الجَاهليةِ ، ومنهُمُ الشَّانِئُ الذي يَرمِي محمدًا (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم) بما فيه هو ؛ ولذلك قال تعالى: (**إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبتَرُ**) [الكوثر/3] ؛ فليس من يُرفَعُ اسمُهُ بالأَذانِ خمسَ مراتٍ في الكُرةِ الأَرضيةِ بأَبترَ ، وإِنَّما الأَبترُ هو عدُوُّه))[280].

وفي المُقابل يُظهِرُ هذا التركيبُ الآخَرُ نفسُهِ البُعدَ النفسيَّ الإيجابيَّ الذي يُلقِي بظِلالِه الرحيمةِ على النبيِّ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) ومُوالِيهِ ؛ فمَن يُبغِضُهُ ويُعادِيه لا بقاءَ له. وإذا

---

(278) ينظر: الكتاب 311:2 ، والأُصول في النحو 266:1 ، والجملة الخبرية في نهج البلاغة 290.

(279) أَسرار التكرار في القرآن ، تح: عبدالقادر أَحمد عطا 256.

() 280سورة الكوثر الإعجاز النفسي والبلاغي ٢٣.

كان العقلُ البشريُّ يَميلُ تِلقائيًّا إلى العَرضِ بالمُقابلِ قَصدَ الإيضاحِ والإفهامِ ، وتَقليبِ المعاني إلى وُجُوهِها المحتملةِ[281].

وذهَبَ (الأُستاذُ محمد أَبوعيد) في قولِه تعالى: **(إِنَّا أَعطيناكَ الكَوثَرَ)** إلى أَنَّه خِطابٌ قد جاء ((إشارةً إلى عظَمَةِ اللهِ فهو المُعطِي ، وهو المانحُ ، وهو الواهبُ))[282] وإلى أَنَّ ((الكَوثَرَ فيهِ غَزارةُ العَطاءِ الماديِّ والمعنويِّ ، الدنيوِيِّ والأُخرَويِّ [ما يُشعِرُنا] بدَوَامِ المَعيشةِ والمُصاحبةِ والرعايةِ الإلهيةِ للدعوةِ والداعيةِ ، ومُلامسةِ المشاعرِ الوجدانيةِ عندَ الرسولِ (صلَّى اللهُ عليهِ وسلم)))[283].

ويرَى (الأُستاذُ محمد أَبوعيد) في استئنافِ قولِه تعالى: **(إِنَّ شانِئَكَ هو الأَبتَرُ)** أَنه ((يَجوزُ أَن يكونَ استِئنافًا ابتدائيًّا ، ويَجوزُ أَن تكونَ الجُملةُ تعليليةً. وهذه الآيةُ القصيرةُ فيها صِيغةُ قَصْرٍ وضميرُ غائبٍ. ولفظُ الأَبترِ يُوحِي بأَنَّ المقصودَ رَدُّ كلامٍ صادرٍ من مُعَيَّنٍ))[284].

لقد تَضمَّنَت سورةُ الكَوثَرِ صُورًا بلاغيةً تَفيضُ بالأَحداثِ السماويةِ والأَرضيةِ على حدٍّ سَواءٍ ؛ فالأَحداثُ السماويةُ هي المَواهِبُ الإلهيةُ العُظمَى التي انفرَدَ بفُيوضِها

النبيُّ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه). أَمَّا الأَحداثُ الأَرضيةُ فهي التي بيَّنَت أَعداءَ النبيِّ محمدٍ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه).

وقد ذَكَرَ (الشيخُ الطَبَرْسِيُّ) عن عَطاءِ اللهِ لِنبيِّهِ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه) الكَوثَرَ تعليقًا يَلفِتُ النظرَ ، ويُثيرُ التأملَ ، ويَستدعِي اليَقينَ ، ويَحشُدُ الإجاباتِ إذ قال: ((فانظُرْ كيفَ

---

(281) ينظر: البُنَى التقابلية خرائط جديدة لتحليل الخطاب ، محمد بازّي ١١٦.

(282) من دلائل الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم 201.

(283) م.ن.

(284) م.ن.

انتشَرَ دِينُهُ ، وعَلا أَمرُهُ ، وكثُرَت ذُرّيتُهُ حتَّى صارَ نسَبُهُ أَكثرَ من كلِّ نَسَبٍ ، ولم يكُن شيءٌ من ذلك في تلكَ الحالِ))[285].

وقد ذهَبَ (د. فاضل السامرائيُّ) إلى أَنَّه قد ((أُسنِدَ الفِعلُ إلى ضميرِ المُتكلِّمِ المُعظِّمِ نفسَه فقال: :(**أَعطيناكَ**) ، وجعَلَه مُسنَدًا إلى الضميرِ المُتقدِّمِ المُؤكَّدِ بإِنَّ (إِنَّا). وبناءُ الفعلِ على الاسمِ المُتقدِّمِ كثيرًا مَّا يُفيدُ الاختِصاصَ ، وقد يُفيدُ الاهتمامَ دُونَ الاختصاصَ .... وهنا يُفيدُ الأَمرَينِ معًا فهو يُفيدُ الاختصاصَ والاهتمامَ معًا. وقد أَكَّدَ ذلك بـ(إِنَّ) فقال:(**إِنَّا أَعطيناكَ**) ، ولم يَقُلْ: (نحنُ أَعطيناكَ). إِنَّ إِسنادَ الفِعلِ إلى ضميرِ المُتكلِّمِ المُفيدِ للتعظيمِ ، وتوكيدَه يُفيدُ أَنه لا يَستطيعُ أَحَدٌ أَن يَّنزِعَ هذا العَطاءَ منه ، ويَسلُبَهُ إِيَّاهُ ؛ وكيفَ يُمكِنُ أَحَدًا أَن يَّنزِعَهُ منه واللهُ هو الذي اختَصَّهُ بهذا العطاءِ الكثيرِ ؟! ثم إِنَّ هذا العَطاءَ الكثيرَ جدًّا يَقتضِي التوكيدَ دُونَ العَطاءِ القليلِ))[286].

5-التقابلُ بينَ المعرفةِ ، والإِنكارِ:

قال تعالى:(**وجاءَ إِخوَةُ يُوسُفَ فدَخلُوا عليهِ فعرفَهُم وهُم لهُ مُنكِرُونَ**) [يوسف/٥٨].

تقابَلَ في هذا النصِّ القرآنيِّ تركيبانِ مُتضادَّانِ يَتجلَّى من كلٍّ منهُما أَبعادٌ اجتماعيةٌ ، وأُسَرِيةٌ ، ونفسيةٌ اعتباريةٌ كشَفَها التركيبُ الأَولُ (فعَرَفَهُم) المسندُ فعلُ المَعرفةِ فيه إلى النبيِّ (يوسفَ/ عليه السلامُ) وهو فِعلُ المَعرفةِ المُوجَّهُ إلى إِخوتِه بعدَ أَن جاؤُوهُ ودَخلُوا عليه ؛ فتحصَّلَ له من هذه المعرفةِ ما يَدُلُّ على الاطمئنانِ واليَقينِ بما هم عليهِ من حياةٍ اجتماعيةٍ تُفصِحُ عن سلامتِهِم كلِّهِم فلم يَتخلَّفْ من أَبناءِ أَبيهِ واحدٌ منهُم ، وبان له بهذهِ المعرفةِ أَنَّ أَخاهُ الشقيقَ (بنيامين) ما يَزالُ تحتَ رِعايةِ أَبيهِ لا تحتَ رِعايتِهِم هم وإِلا كانُوا أَحضرُوهُ معَهم. وبالمُحصِّلتَينِ هاتَينِ تبلورَت لدى النبيِّ (يوسفَ/ عليه السلامُ) إِشارةٌ قاطعةٌ عَرَفَ بها

---

(285) مجمع البيان 354:10.

(286) على طريق التفسير البياني 1:76-77.

أَنَّ أَباهُ النبيَّ (يعقوبَ/عليه السلامُ) ما يَزالُ حَيًّا. وهذه إِضاءاتٌ اجتماعيةٌ واضحةُ الآثارِ في نفسِ النبيِّ (يوسفَ/ عليه السلامُ) بما ألقتْهُ من سعادةٍ وغِبطةٍ وهو يبتهِجُ برؤيةِ إِخوتِه وقراءةِ واقعِ أبيهِ وأَخيهِ الشقيقِ علاوةً على واقعِهِم هم وواقعِ أُسرَتِهِ الكبيرةِ كلِّها.

وذهب (الطاهرُ بنُ عاشورٍ) إِلى أَنَّ التركيبَ النحويَّ لقولِه تعالى: **(وهُم لهُ مُنكِرُونَ)** قد ((عُطِفَ على جُملةِ (فعَرَفَهُم) ، ووَقَعَ الإِخبارُ عنهُم بالجُملةِ الإِسميةِ للدَّلالةِ علىأَنَّ عدمَ مَعرفتِهِم به أَمرٌ ثابتٌ مُتمَكِّنٌ منهم. و كان الإِخبارُ عن معرفتِهِ إِيَّاهُم بالجُملةِ الفِعليةِ المُفيدةِ للتجدُّدِ للدَّلالةِ على أَنَّ مَعرفتَه إِيَّاهُم حَصَلَت بحَدَثانِ رؤيتِه إِيَّاهُم دُون تَوسُّمٍ وتأمُّلٍ. وقُرِنَ مَفعولُ (مُنكِرُونَ) الذي هو ضميرُ (يوسفَ/عليهِ السلامُ) بـ(لامِ) التقويةِ ، ولم يَقُلْ: (وهُم مُنكِرُونَه) لزِيادةِ تقويةِ جَهلِهِم بمَعرفتِه))[287].

إِنَّ تقادُمَ السنينِ لم تُغيِّرْ صُورَ إِخوتِه غيرِ الأَشقَّاءِ وإِن كانت قد أَنهكَتْهُم وأَثقلَت عليهِم بما تتطلَّبُه الحياةُ من قُوتٍ وكَدٍّ للحصولِ عليه. وعلاوة على ذلك إِنَّه قد جاء قولُه تعالى:**(وهُم لهُ مُنكِرُونَ)** وفيهِ ضَرْبٌ من التوكيدِ تحصَّلَ بتقديمِ الجَارِّ والمَجرورِ (لهُ) على الخبرِ (مُنكِرُونَ) وهو مُتعلِّقٌ به.

وقد ورَدَ هذا التركيبُ بصيغةِ الجُملةِ الإِسميةِ الخالصةِ المؤلَّفةِ من المبتدأِ (هُم) وخبرِه (مُنكِرُونَ) بيانًا للحالةِ الثابتةِ التي سيَبقَى عليه إِخوتُه من عدَمِ معرفتِهِم إِيَّاهُ مُدَّةَ هذا اللقاءِ نتيجةَ النِّعمةِ الإِلهيةِ التي عليها (يوسف/ عليهِ السلامُ) ما يَحولُ بينَهم وبينَ التفكيرِ بمَصيرِ أَخِيهِم مُذ أَلقَوهُ في غَيابةِ الجُبِّ ، وباعُوهنُ بثمَنٍ بَخْسٍ أَن يَّصِلَ إِلى هذه الحالِ. وهذا جانبٌ من الآثارِ النفسيةِ التي يَكشِفُ عنها التركيبُ اللغويُّ.

---

(287) التحرير والتنوير 12:13.

ويرَى (د. عيسى بنُ طاهر) في هذا الضربِ من التقابلِ اللغويِّ ((أَنَّ القرآنَ الكريمَ مِن خلالِ طريقةِ المُقابلةِ بينَ هذا[288] المُتضادَّاتِ يَدعُو إلى تحريكِ قِوَى النفسِ لدَى الإنسانِ وبخاصةٍ قُوَّةَ العقلِ كي تُقيمَ مُوازَنةً بينَ الأَشياءِ المختلفةِ ، وتَعلَمَ حقيقةَ الشيءِ وما يُناقِضُهُ ثم تَخرُجَ بحُكمٍ نهائيٍّ وَفْقَ مَنهجِ النظَرِ السليمِ والمُفاضلةِ الدقيقةِ لتَسيرَ عليهِ في حياتِها على بصيرةٍ ونُورٍ))[289].

إنَّ النفسَ الإنسانيةَ مُطهَّرَةٌ في أَصلِ خِلقتِها وقد ابتُلِيَت بإغواءِ الشيطانِ لها إلى مَيدانِ الانحرافِ ، ومُغادرةِ تلكَ الفِطرةِ النقيةِ التي وُجِدَت عليها ؛ لذا جاءَ النصُّ القرآنيُّ – كالشرائعِ السماويةِ السابقةِ – لهدايتِها ، وإنقاذِها من هذا الإغواءِ وهذا الانحرافِ.

ويتحصِّلُ لنا من هذه الحقيقةِ أَنَّ ((التقابلَ بينَ العِلْمِ والجَهلِ وغيرِها من صُورِ التقابلِ التي ورَدَت في هذه السورةِ قد أَسهمَت في تماسُكِ النصِّ القَصصيِّ ، وفي جَماليةِ مَبناهُ الفنيِّ للوصولِ إلى الهدفِ الذي يسعَى القرانُ الكريمُ إلى تبليغِه. وعَبَّرَت عن مَصيرِ الإيمانِ والإخلاصِ وهو النصرُ والخَلاصُ بعدَ المِحَنِ ، والقوةُ بعدَ الضَّعفِ ، وقَدَّمَت في مجموعِها دُروسًا وعِظاتٍ تَدُلُّ على حمايةِ اللهِ لعِبادِه ورِعايتِه لهُم))[290].

---

(288) الصوابُ: بينَ هذه المُتضادَّاتِ.

(289) المقابلة في القرآن الكريم ٢١٥.

(290) التقابل في سورة يوسف (عليهِ السلامُ) ، د. زيتونة مسعود علي ١٦.

الفصلُ الثالثُ

أَنماطُ التقابلِ المُتضادِّ ، وموضوعاتُها ، ودَلالاتُهُ النفسيةُ

المبحثُ الأَولُ/ نَمَطُ التقابلِ بالتَّكرار.

المبحثُ الثاني/ نَمَطُ التقابلِ المتنوِّعِ.

المبحثُ الثالثُ/ نَمَطُ التقابلِ الجُزئِي.

المبحثُ الأَولُ/ نَمَطُ التقابلِ بالتَّكرار:

توطِئةٌ:

كلُّ ترتيبٍ لُغويٍّ مُتكَرِّرٍ لغايةٍ مقصودةٍ ، أَو تناسقٍ بعناصرِ تأليفٍ لدَلالةٍ تُرادُ، أَو أُسلوبِ عَرضٍ وطريقةِ بيانٍ ونوعِ نَظمٍ يأتي لهدَفٍ إبلاغيٍّ لا يُفهَمُ إلا بهذا (الترتيبِ ، أَوِ التناسقِ ، أَوِ الأُسلوبِ ، أَوِ الطريقةِ ، أَوِ النوعِ) فهو نَمَطٌ يُوَظَّفُ في مَواردِهِ النصِّيةِ لبلوغِ الإفهامِ المقصودِ وسيلةً لغايةٍ أَسمَى هي التأَثيرُ بجَلْبِ النفعِ للإنسانِ ، ومَنعِ الضُّرِّ عنه في الوقتِ نفسِه. وهذه هو المَناطُ العامُّ الذي جاء به النصُّ القرآنيُّ **(هُدًى لِّلنَّاسِ وبيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى والفُرقانِ)** [البقرة/185].

إنَّ ما جرى فَهمُه بصفةِ (التَّكرارِ) في القرآنِ الكريمِ مما جاء بهيأَةِ نصٍ متكاملٍ قد وردَ في أَكثرَ من موضعٍ سواءٌ أَكان موردُهُ في آيةٍ واحدةٍ أَم في آيتَينِ من سورةٍ واحدةٍ أَم في موضِعَينِ مِن سورتَينِ أَم في موضِعٍ في أَكثرَ مِن سورةٍ إنما هو موردٌ جديدٌ متصلٌ بسياقِ فضاءاتِ ما يَسبِقُهُ وما يَلحقُهُ من نصوصٍ وبدَلالاتِها ؛ فالقرآنُ الكريمُ كلامُ اللهِ الذي وصَفَ نفسَه بأَنَّه (... **ليسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وهُوَ السَّميعُ البَصيرُ**) [الشورى/11].

فكلامُه – إذًا – ليسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ أَيضًا ؛ لذا ليس من المقبولِ أَن يَّذكُرَ اللهُ تعالى نصًّا مطابقًا لنصٍّ قريبٍ أَو بعيدٍ في القرآنِ الكريمِ بمَنهجِ التَّكرارِ بلا فائدةٍ مُتوخَّاةٍ منه ؛ قال

(القاضي أَبوبكرٍ الباقلانيُّ / ت403هـ): ((ووَجهٌ آخَرُ في حُسنِ التَّكرارِ من اللهِ (عزَّ وجلَّ) وهو أَنَّ في ذلك مَرةً بعدَ مَرةٍ منِ التثبيتِ لرسولِه (عليهِ السلامُ) والمؤمنينَ ، والمُواعَظَةِ ، والتخويفِ لهُم ، والرغبةِ في طاعةِ اللهِ ، والانزِجارِ عن معصيتِه عندَ تَكرارِ الكلامِ ، وإِعادةِ القَصَصِ ، وضَرْبِ الأَمثالِ ما ليسَ في المَرَّةِ الواحدةِ. ولا شُبهةَ على أَحَدٍ في تَعاظُمِ النفعِ بتكريرِ الزَّجرِ، والوَعظِ، وعَظيمِ موقعِه من النَّفْسِ ، وتوفيقِه للقلب ، والتثبيتِ على طاعةِ اللهِ ، والإِذْكارِ لجَنَّتِهِ وناره))[291].

هذا ما أَردتُ توثيقَه من مَفهومِ التَّكرارِ. أَمَّا ما يتصِلُ بتعريفِه لغةً واصطلاحًا فهو من الأُمورِ البَدْهِيةِ التي زَخَرَت بها المُعجماتُ ، وكُتُبُ اللغةِ ، والرسائلُ الجَامعيةُ المختصةُ ؛ لذا آليتُ على نفسي أَلا أُثقِلَ الرسالةَ بما هو معروفٌ ومُسلَّمٌ به ؛ فالرسالةُ لا تَعرِضُ موضوعَ التَّكرارِ في ضوءِ الدَّلالةِ النفسيةِ في القرآنِ الكريمِ من منظارٍ شَكليٍّ فقط.

إِنَّ مَفهومَ التَّكرارِ واحدٌ دَلاليًا سواءٌ أَكان في السياقِ اللغويِّ العامِّ أَم في سياقِ التقابلِ المُتضادِّ (وهو موضوعُ رسالتي هذه) ؛ فالغايةُ من التَّكرارِ المتقابلِ الاهتمامُ بالمُكرَّرِ ، ولفتُ النظرِ إليه ، وترسيخُ وَقْعِهِ في ذِهنِ السامعِ ؛ فهو نَمَطٌ بلاغيٌّ ذو تأثيرٍ مقصودٍ لغايةٍ أَسمَى.

ويَرى (ابنُ الأَثيرِ) أَنَّ للتَّكرارِ فائدةً دَلاليةً تُغني الكلامَ بآيةِ ما ((أَنَّ المفيدَ من التَّكريرِ يأتي في الكلامِ تأكيدًا له ، وتشييدًا من أَمرِه ، وإِنما يُفعَلُ ذلك للدَّلالةِ على العِنايةِ بالشيءِ الذي كَرَّرْتَ فيه كلامَك ؛ إِمَّا مبالغةً في مدحِهِ ، أَو في ذمِّهِ ، أَو غيرِ ذلك... وغيرُ المُفيدِ لا يأتي في الكلامِ إِلَّا عَيًّا وخَطَلًا من غيرِ حاجةٍ إِليه))[292].

() 291الانتصار للقرآن ، تح: محمد عصام 801:2. وينظر: خصائص الأُسلوب القرآني 344.

(292) المثل السائر 4:3.

ومن مَصاديق فوائدِ التَّكرارِ أَنه ((إذا طال الكلامُ وخُشِي تناسِي الأَولِ أُعِيدَ ثانيًا تَطْرِيةً له ، وتجديدًا لعهدِه))[293].

وبيانًا لشأنِ التَّكرارِ في المَقالِ وثَّقَ (الزَّرْكَشِيُّ) أَنَّه ((... قد غَلَطَ من أَنكَرَ كونَهُ من أَساليبِ الفصاحةِ ظنًّا أَنه لا فائدةَ له. وليس كذلك بل هو من مَحاسنِها ولا سِيَّما إذا تعلَّقَ بعضُهُ ببَعضٍ ، وذلك أَنَّ عادةَ العربِ في خِطاباتِها إذ أَبهَمَت بشيء إرادةً لتحقيقِه وقُربِ وُقُوعِه ، أَو قصدَتِ الدعاءَ عليهِ كرَّرَتهُ توكيدًا وكأَنَّها تُقيمُ تكرارَه مَقامَ المُقسَمِ علَيهِ ، أَوِ الاجتهادِ في الدعاءِ عليه))[294].

وثمَّةَ تساؤُلٌ هو ((لماذا يُكرِّرُ القرآنُ في بيانِه وموضوعاتِه ؟ ... و لماذا يُكرِّرُ القرآنُ آيةً في سورةٍ واحدة ؟)) وجَوابُه الآتي: ((ذَهَبَ جُمهورُ البيانيين والمفسرين إلى القولِ بالتَّكرارِ في البيانِ القرآنيِّ ، واعتَبرُوهُ تكرارًا حكيمًا مَقصودًا ، وأُسلوبًا بلاغيًّا رفيعًا كما اعتبرُوهُ تكرارًا (مُضِيفًا) يُضيف القرآنُ فيه كلَّ مَرةٍ جُزءًا من المعنى أَو لفظًا جديدًا ، ويَفعَلُ لهدفٍ بلاغيٍّ وحِكمةٍ مُرادَةٍ))[295].

وقد وثَّقتِ الباحثةُ (شذى خلف حسين) أَنَّ من معاني التَّكرارِ الدَّلاليةِ ((إخراجَ المعنى الواحدِ في قوالبَ مختلفةٍ من الأَلفاظِ والعبارةِ وبأَساليبَ مختلفةٍ تفصيلًا وإجمالًا حتى يَتجلَّى إعجازُه ، ويَستبينَ قُصورُ الطاقةِ البشريةِ عن تقليدِه أَوِ اللحاقِ بشأنِه ؛ إذ من المعلومِ أَنَّ هذا الكتابَ إنَّما تَنَزَّلَ لإقناعِ العُقلاءِ من الناسِ بأَنه ليس كلامَ بشَرٍ ، ولإلزامِهِم بالشريعةِ التي فيه ... ومِن هنا كان من المُحالِ أَن تَعثُرَ في القرآنِ كلِّه على معنًى يَتكرَّرُ في أُسلوبٍ واحدٍ من اللفظِ ، ويَدورُ ضمنَ قالبٍ واحدٍ من التعبيرِ بل لا بُدَّ أَن تَجِدَه في كلِّ مَرةٍ يَلبَسُ ثَوبًا جديدًا من الأُسلوبِ وطريقةِ التصويرِ والعَرضِ))[296].

---

(293) البرهان في علوم القرآن 100:3.

(294) المصدر نفسه 96:3.

(295) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ، د. صلاح عبدالفتاح الخالدي 310.

(296) الإنتاج الدلالي في ضوء تفسير خصائص الصوت القرآني 15.

وللتكرارِ أَغراضٌ نفسيةٌ عرَضَها الباحثُ (قويدر قيطون) في (15/ خمسَ عشرةَ) نُقطةً أَهمُّها ما يأتي:

1- إنَّ التَّكرارَ ((أُسلوبٌ تعبيريٌّ يُصوِّرُ انفعالَ النفسِ بمُثيرٍ... فاللفظُ المكررُ هدفُه الإثارةُ النفسيةُ. والتَّكرارُ مرتبطٌ بقانونِ التردِدِ من قوانينِ تداعي المعاني))[297].

2- إنَّ ((التَّكرارَ مطلبٌ نفسيٌّ... تَلجأُ إليه حين تخشى النفسُ من وقوعِها في الخطأِ أَوِ النسيانِ))[298].

ومن مَصاديقِ ترسيخِ الكلامِ المُكرَّرِ في النفسِ ، ومنحِهِ الأَثَرَ النفسيَّ الفاعلَ توثيقًا ((أَنَّ التَّكرارَ من طُرُقِ التأكيدِ ، وأَماراتِ الاهتمامِ ، بلِ التَّكرارُ أَبلغُ من التأكيدِ ؛ فالتَّكرارُ تأسيسٌ ، والتأكيدُ فرعٌ ، وتَكرارُ التأسيسِ أَقوَى من التأكيدِ))[299].

إنَّ للتَّكرارِ أَهدافًا منها ما بيَّنه (د. صبحي الفقي) – ممَّا انتهى إليهِ من علماءِ النصِّ في ضوءِ التحليلِ النصِّيِّ المعاصرِ – فالتَّكرارُ ((يَهدُفُ إلى تَدعيم التماسكِ النصِّي ، وكذلك يُوظَّفُ التَّكرارُ من أَجلِ تحقيقِ العَلاقةِ المتبادَلةِ بينَ العناصرِ المكوِّنةِ للنصِّ... عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص حتى آخره هذا العنصرُ قد يكونُ كلمةً أَو عبارةً أَو جملةً أَو فِقْرةً ، وهذا الامتداد يربط بين عناصرِ هذا النصِّ))[300]. وهو ما أَيدتهُ (د. إقبال وافي نجم) بقولِها عنِ الهدفِ من التَّكرارِ بـ((أَنه يُحقِّقُ وظائفَ معنويةً ؛ فهو يَشُدُّ عناصرَ النصِّ بعضَها إلى بعضٍ))[301].

---

(297) الإعجاز النفسي في الخطاب القرآني 284.

(298) الإعجاز النفسي في الخطاب القرآني 285. وقدِ استقى هذا الغرضَ مما ذكره (الخطابي) في كتابِ (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن 52). وأَرى أَنه من دواعي الإيجازِ تركَ ذِكرِ الأَغراضِ (الثلاثةَ عشرَ) الباقيةِ إذ يُمكنُ الاطلاعُ عليها في رسالةِ الدكتوراه هذه.

(299) دراسات في علوم القرآن الكريم ، أ.د. فهد بن عبدالرحمن الرومي 613.

(300) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية 2:21-22.

(301) البعد الترابطي في القرآن الكريم دراسة تفسيرية 44-45.

ومن العلماءِ والباحثين من يرى أَنَّ للتَّكرارِ أَثرًا كبيرًا في العمليةِ التربويةِ والتعليميةِ ، ومنهم (محمد قطب) إذ يقولُ: ((إنَّ التربيةَ ليست قَولةً تُقالُ مرة وتنتهي! وكلُّ مَن مارَسَ التربيةَ مع صغيرٍ أَو كبيرٍ يَعلَمُ إلى أَيِّ مَدًى يحتاجُ مَن يتلَقَّى التربيةَ إلى التذكيرِ الدائمِ حتى يَستقيمَ على الأَمرِ المطلوبِ ، ومِن ثَمَّ يَستطيعُ أَن يُقدِّرَ الهدفَ التربويَّ من عمليةِ التَّكرارِ في القرآنِ [قال تعالى:] **(وذَكِّرْ فإنَّ الذِّكرَى تَنفَعُ المُؤمنِينَ)** [الذاريات/55] ... **(المص ، كِتابٌ أُنزِلَ إلَيكَ فلا يَكُنْ في صَدرْكَ حَرَجٌ مِنهُ لِتُنذِرَ بهِ وذِكرَى للمُؤمِنِينَ)** [الأَعراف/1–2] ، **(فذَكِّرْ إنْ نَّفَعَتِ الذِّكرَى سَيَذَّكَرُ مَن يَّخْشَى)** [الأعلى/9–10]. وهكذا يَتَّضِحُ أَنَّ التَّكرارَ لا يأتي اعتِباطًا إنما يأتي لهدفٍ مقصودٍ))[302].

ومن موضوعاتِ هذا النَّمَطِ اللغويِّ (التَّكرارِ) التي وردَت بنَظمِ التقابلِ الدَّلاليِّ المتضادِّ في النصِّ القرآنيِّ بما يُقرَأُ منه مِن أَبعادٍ نفسيةٍ ما يأتي:

1–التقابلُ بينَ الـ(حَسَنَة) ، والـ(سَيِّئَة):

ورد هذا التقابلُ في قولِه تعالى: **(أَينَما تَكُونُوا يُدرِكْكُّمُ المَوتُ ولَو كُنتُم في بُروجٍ مُشَيَّدَةٍ وإنْ تُصِبْهُم حَسَنَةٌ يَّقُولُوا هذِه مِن عِندِ اللهِ وإنْ تُصِبْهُم سَيِّئَةٌ يَّقُولُوا هذِه مِن عندِكَ قُلْ كُلٌّ مِن عندِ اللهِ فمَالِ هؤلاءِ القَومِ لا يَكادُونَ يَفقَهُونَ حَدِيثًا)** [النساء/78]، وقولِه تعالى : **(ما أَصابَكَ مِن حَسَنَةٍ فمِنَ اللهِ وما أَصابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فمِن نَّفسِكَ وأَرسَلناكَ للنَّاسِ رَسُولًا وكَفَى باللهِ شهِيدًا)** [النساء/79] ، وقولِه تعالى: **(مَن يَّشفَعْ شَفاعةً حَسَنَةً يَكُنْ لَّهُ نَصِيبٌ مِّنها ومَن يَّشفَعْ شفاعةً سَيِّئَةً يَّكُنْ لَّهُ كِفْلٌ مِّنها وكانَ اللهُ على كلِّ شيءٍ مُّقِيتًا)** [النساء/85].

تضمنَّت سورةُ النساء بيانًا عامًّا واضحًا يَكشِفُ عن سببِ تسميتِها بـ(النِّساءِ) إذ إنها ((افتُتِحَت بأَحكامِ صِلةِ الرَّحِمِ ، ثم بأَحكامِ تَخُصُّ النساءَ ، وأَنَّ فيها أَحكامًا كثيرةً من أَحكامِ النساءِ: الأَزواجَ ، والبناتِ ، وخُتِمَت بأَحكامٍ تَخُصُّ النساءَ... وقدِ اشتَمَلَت على أَغراضٍ

(302) الدراسات القرآنية 253.

وأَحكامٍ كثيرةٍ أَكثرُها تشريعُ معاملاتِ الأَقرباءِ وحقوقُهم ؛ فكانت فاتحةً مناسبةً لذلك بالتذكيرِ بنِعمةِ خَلقِ اللهِ ، وأَنهم محقوقونَ بأَن يشكرُوا ربَّهم على ذلك ... ثم أَحكامُ المعاملاتِ بينَ جماعةِ المسلمين في الأَموالِ والدماءِ ، وأَحكامُ القتلِ عمدًا وخطأً ... والتحذيرُ من اتِّباعِ الهوى ، والأَمرُ بالبِرِّ والمساواةِ وأَداءِ الأَماناتِ ، والتمهيدُ لتحريمِ شِربِ الخمر ، وطائفةٌ من أَحكامِ الصلاةِ والطهارةِ وصلاةِ الخوفِ ، ثم أَحوالُ اليهودِ ...وأَحوالُ المنافقين وفضائحِهم ، وأَحكامُ الجِهادِ ...وأَحكامُ معاملةِ المشركين ومَساويهِم... وقد تخلل ذلك مواعظُ وترغيبٌ ، ونهيٌ عنِ الحسدِ وعن تمني ما للغيرِ ... والترغيبُ في التوسطِ في الخيرِ والإصلاحِ ، وبثِّ المحبةِ بين المسلمين))[303]. وقد أَكدتِ السورةُ الكريمةُ القِيَمَ الأَخلاقيةَ التي جاء بها النظامُ الإسلاميُّ لصلاحِ الدنيا والمجتمعِ بالحُسنى والإحسانِ تَهذيبًا للمجتمعِ الجاهليِّ الذي كان قائمًا في أَغلبِ عاداتِه على السُّوآى. وبيَّنتِ السورةُ كذلك حدودَ الإيمانِ ، وشروطَ الإسلامِ[304].

فالجَوُّ العامُّ للسورةِ – إذًا – إنما جاء في السياقِ المختصِّ بلزومِ الإحسانِ والامتناعِ عنِ الإساءةِ ؛ فالتطبيقُ الشرعيُّ للحقوقِ والواجباتِ هو الإحسانُ قائمًا برأسِه. أَمَّا سَلْبُ الحقوقِ وإنكارُ الواجباتِ فهو الإساءةُ قائمةً برأسِها ، ولكُلٍّ من هذين الخُلُقَين المُتقابِلَين أَبعادٌ نفسيةٌ ذاتُ أَثرٍ كبيرٍ على الناسِ ؛ فراحةُ البالِ وصلاحُ الحالِ واطمئنانُ القلبِ إنما يَتحصَّلُ بالحُسنَى أَمَّا رُعبُ الحالِ وسُوءُ البالِ ومرضُ القلبِ فيَتحصَّلُ بالسُّوآى ؛ لذا يُعَدُّ أُسلوبُ ((المقابلةِ طريقةً من طُرُقِ[305] التصويرِ الفنيِّ في القرآنِ الكريمِ استخدمَها لتنسيقِ صُورِهِ التي يَرسُمُها بالأَلفاظِ. وقد أَكثرَ القرآنُ في نَظمِهِ منِ استخدامِ هذا المبدأِ وجَعلِهِ أَداةً فنيةً للبيانِ أَولا وللتأثيرِ في النفوسِ ثانيًا حيثُ إنَّ للنفوسِ وَلَعًا شديدًا بهذا الأُسلوبِ الذي يُراعي

---

(303) التحرير والتنوير 4: 211 و213–214. وينظر: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، محمد حسين سلامة 72.

(304) ينظر: في ظلال القرآن 568:2.

(305) الصوابُ: طرائق ؛ فمُفردُ (الطُّرُقِ) هو (الطريقُ) وهو المسارُ الذي يسلكُهُ المارَّةُ. أَمَّا الطريقةُ فهي الأُسلوبُ المُتَّبَعُ في أَداءٍ مَّا.

فيه التناسبَ بينَ الأَلفاظِ المتقابلةِ وما يَزالُ الناسُ يلتمسُونَه في مخاطباتِهم لِمَا فيه من اللذةِ والإثارة))[306].

إنَّ الخِلقةَ الإلهيةَ للبشرِ إنما هي نعمةٌ من اللهِ سبحانَه لا يَعيشُ وَقارَها إلا الصالحون ، ولا يَفتقِرُ إلى رِحابِها إلا الفاسقون ؛ فالصالحون همُ المؤمنونَ المحسنونَ الذين يَمتثِلُون لأَمرِه تعالى في ظلِّ قولِه سبحانَه: (**إِنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذِي القُرْبَى ويَنهَى عنِ الفَحشاءِ والمُنكَرِ**) [النحل/90]. أَما الفاسقون فهم المسيئُون المفسِدُون الذين يَمتثِلُونَ لأَمرِ الشيطانِ بمُوجِبِ قولِه تعالى: (**الشَّيطانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ ويأمُرُكُمْ بالفَحشاءِ**) [البقرة/268].

ويُتِيحُ لنا هذا أَن نَّعرِفَ أَنَّ ((التقابلَ من أَبرزِ أَساليبِ نَظْمِ المعاني وأَوضحِ مظاهرِ التناسبِ في القرآنِ. ومعلومٌ أَنَّ التقابلَ من طُرُقِ البيانِ التي تَجِدُ فيها المعاني مَعرِضًا للوُضوحِ والجَمالِ والتي تجدُ فيها النفوسُ لذَّةً وسُرورًا))[307].

فالحسنةُ – إِذًا – هي الوسيلةُ والغايةُ التي ينشُدُها الصالحُون رضًا للهِ تعالى ؛ فمَنهجُهُمُ الحُسنَى ومُنتَجُهُمُ الحُسنَى. والسيئةُ – إِذًا – هي الوسيلةُ والغايةُ التي يَنشُدُها الفاسِقُون ؛ فمَنهجُهُمُ السُّوآى ومُنتَجُهُمُ السُّوآى.

فمثلُهُم كمثَلِ الذينَ أُشيرَ إليهم في قولِه تعالى: **(فإذا جاءَتهُمُ الحَسَنَةُ قالُوا لنا هذِه وإِنْ تُصِبْهُم سَيِّئَةٌ يَّطَّيَّرُوا بمُوسَى ومَن مَّعَهُ أَلا إِنَّما طائِرُهُم عندَ اللهِ ولكِنَّ أَكثرَهُم لا يَعلَمُونَ)** [الأعراف/131] ، وقوله تعالى: **(ثُمَّ بَدَّلنَا مكانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ حتَّى عَفَوا وقالُوا قَد مَسَّ آباءَنا الضَّرَّاءَ والسَّرَّاءَ فأَخَذْنَاهُم بَغتَةً وهُم لا يَشعُرُونَ)** [الأَعراف/95].

ويرى (د. حسين جمعة) أَنَّ ((أُسلوبَ التقابلِ لم يَعُدْ مَحكومًا بالطبيعةِ البلاغيةِ التي اشتُهِرَت بالطِّباقِ والمُقابلةِ أَوِ المُشاكلةِ والتَّفوِيفِ... بل أَخَذَ يَضعُ هذه الطبيعةَ البلاغيةَ في إِطارِ الجَانبِ الفِكريِّ للحقائقِ والاتجاهِ العاطفيِّ الوجدانيِّ النبيلِ للانفعالِ))[308].

---

(306) الإعجاز النفسي في الخطاب القرآني 424.

(307) التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي ، أَحمد أَبوزيد 129.

وهذه حقيقةٌ تُفصِحُ لنا عن أَنَّ أُسلوبَ التقابلِ لم يَعُدْ مُقتصِرًا على جمالِ التقسيمِ والتقطيعِ الموسيقيِّ بل نَحَا مَنحًى ذا بُعْدٍ نفْسِيٍّ مؤثرٍ يُمكِنُ أَن يُغَيِّرَ اتجاهًا، أَو يُغَيِّرَ فِكرةً.

2-التقابلُ بينَ الكُفرِ ، والإيمان:

ومن موارِده القرآنيةِ قولُه تعالى: **(إِنَّ اللهَ لا يَستَحْيِي أَن يَّضرِبَ مَثَلًا مَّا بَعوضةً فما فوقَها فأَمَّا الذينَ آمَنُوا فيَعلَمُونَ أَنَّهُ الحقُّ مِن رَّبِّهِم وأَمَّا الذِينَ كَفَرُوا فيَقُولُونَ ماذا أَرادَ اللهُ بهَذا مَثَلًا يُضِلُّ بهِ كَثيرًا ويَهدِي به كَثيرًا وما يُضِلُّ بهِ إِلَّا الفاسِقِينَ)** [البقرة/26] ، وقولُه تعالى: **(زُيِّنَ للذِينَ كَفَرُوا الحياةُ الدُّنيا ويَسخَرُونَ مِنَ الذينَ آمَنُوا والذِينَ اتَّقَوا فوقَهُم يومَ القِيامةِ واللهُ يَرزُقُ مَن يَّشاءُ بغَيرِ حِسابٍ)** [البقرة/212] ، وقولُه تعالى: **(اللهِ وَلِيُّ الذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ والذِينَ كَفَرُوا يُخرِجُهُم مِنَ النُّورِ إلى الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصحابُ النَّارِ هُم فيها خالِدُونَ)** [البقرة/257].

تَضمَّنَت هذه النصوصُ الكريمةُ المُختصَّةُ بعَرضِ مَوقفَيِ فريقِ الإيمانِ وفريقِ الكُفرِ ، وصفاتِ كلٍّ مِنَ المؤمنينَ والكافِرينَ عرضًا وافيًا بالتقابلِ الدلاليِّ المُتضادِّ الوضَّاءِ بالإيحاءاتِ النفْسِيةِ المتجلِّيةِ لكلا الفريقَينِ بما يَكشِفُ عن هِدايةِ اللهِ سبحانَه وتعالى التي بَسَطَها للمؤمنينَ الذِينَ اختارُوا بنُورِ الإيمانِ هذه الهِدايةَ بعَقلٍ راجحٍ وقلبٍ ناصحٍ وسبيلٍ رَشادٍ واضحٍ من جهةٍ تقابليةٍ ، ويَكشِفُ عن تحذيرِ اللهِ تعالى ونَهْيِهِ عنِ اختِيارِ سَبيلِ الغَيِّ والكُفرِ الذي لا نتيجةَ منهُ إلا هلاكُ الإنسانِ في الظُّلُماتِ من جهةٍ تقابليةٍ أُخرى.

ونقرأُ من الجهتَينِ كِلتَيهِما فيوضًا من الإيحاءاتِ النفْسيةِ التي تَمنَحُ فريقَ الإيمانِ وَقارًا وعزةً واطمئنانًا ما دامُوا واثقينَ بأَنَّ المَثَلَ الذي يَضرِبُهُ اللهُ تعالى – مهما كان المُمَثَّلُ به والمُمَثَّلُ له – إنما جاء لحِكمةٍ وهِدايةٍ لصالحِ الناسِ ، وما دامُوا واثقينَ بأَنَّ حياتَهُمُ الدنيا ما

---

(308) التقابل الجمالي في النص القرآني 253. وينظر: الإعجاز النفسي في الخطاب القرآني 424.

هي إلا ممرٌّ مؤقتٌ يتبضَّعُونَ منه التقوى ، وما دامُوا واثقينَ بأَنَّ اللهَ معهُم أَينما كانُوا يضَعُهُم في مكارِمِ النورِ والإيمانِ التي لا يُعاوِرُهُم فيها ظلامُ كُفرٍ. وهذا ما يتَّسِقُ وما اشتملَت عليهِ سورةُ البقرةِ من بيانٍ لمُعظَمِ الأَحكامِ الشرعيةِ والعَقَدِيةِ ، وبيانٍ لصفاتِ المؤمنينَ والكافرينَ والمنافقينَ ؛ فوضَّحَت حقيقةَ الإيمانِ وحقيقةَ الكُفرِ والنِّفاقِ[309].

ويُوضِّحُ لنا هذا التقابلُ الذي ورد في أَكثرَ من موضعٍ بينَ اِلإيمانِ والكُفرِ أَنَّ الإيمانَ هو مَبعَثُ الراحةِ النفْسيةِ والاطمئنانِ القلبيِّ. أَمَّا الكُفرُ فهو مَدعاةٌ للاضطِرابِ النفْسِيِّ والمرضِ القلبيِّ.

ويَرَى (محمد السيد موسى) أَنَّ للتَّكرارِ أَبعادًا نَفسِيةً إذ إنه ((يَعمَلُ على إثارةِ الذِّهنِ بما يُثيرُهُ في النفْسِ مِن إيقاعٍ وتَجاوُبٍ وُجدانِيٍّ يَعمَلُ على تنشيطِ مَلَكَةِ التأويلِ ، وحاسَّةِ التأمُّلِ))[310].

ويُمكِنُ أَن نَّلحَظَ أَنَّ للتَّكرارِ فوائدَ نبَّهَ (الزَّرْكَشِيُّ) إليها بتحديدِه أَنَّ ((فائدتَهُ العُظمَى التقريرُ. وقد قِيلَ: الكلامُ إذا تكرَّرَ تَقدَّرَ))[311].

إنَّ الإيمانَ مَلاذٌ آمِنٌ لبنِي البشَرِ لأَنَّه لا وُجودَ للعُدوانِ والحرَامِ فيه لا على النفْسِ ولا على الآخَرِ ولا على المَوجُوداتِ ؛ فمَن تحلَّى بالإيمانِ حقيقةً فقد حقَّقَ الأَمنَ والأَمانَ لنَفسِه ومجتمعِه ولبيئَتِه. أَمَّا الكُفرُ فهو المَهوَى القاتلُ الذي يَقُومُ على الأَذَى والحرامِ بكلِّ صُورِ العُدوانِ التي تُلحِقُ الأَذَى بالنفْسِ وبالمجتمعِ وبالمَوجُوداتِ ، ويكونُ فيه هلاكُ مَن يَّختارُه سبيلَ شُرُوعٍ في حياتِه.

إنَّ الإيمانَ عِمارةٌ للنفسِ وللمجتمعِ وللأَرضِ على حدٍّ سواءٍ. أَمَّا الكفرُ فهَدْمٌ للنفسِ وللمجتمعِ وللأَرضِ معًا ؛ لأَنَّ الإيمانَ إنما يقومُ على الصلاحِ والإصلاح ، وكلٌّ منهُما بناءٌ

---

(309) ينظر: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم 16 ، والأَسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة ، خالد العثيم 71.

(310) الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم: دراسة وتطبيق31.

(311) البرهان في علوم القرآن 96:3.

ناجزٌ ، وتطورٌ متواصلٌ ؛ وهذا ما أَمرَ اللهُ تعالى به في كلِّ مَورِدٍ خصَّصَه للإيمانِ ذِكْرًا وفُيُوضًا توجيهيةً. والكفرُ تَعمِيةٌ للحقِّ ، وسِترٌ عن كلِّ صلاحٍ ما يَكشِفُ عن تَهالُكٍ وخرابٍ في النفسِ ومحيطِها حتى مآلِها إلى الخُسرانِ. وهذا ما بيَّنَهُ الله تعالى في مَوارِدِهِ القرآنيةِ من الهلاكِ في الحياةِ الدنيا والآخرةِ للذين كفرُوا.

وقد ذهب (د. نذير حمدان) إلى أَنَّ ((الجُملةَ القرآنيةَ تَتْبَعُ المعنَى النفسِيَّ فتُصوِّرُهُ بأَلفاظِها لتُلقِيَهُ في النفسِ حتى إذا استكْمَلَتِ الجُملةُ أَركانَها برَزَ المعنَى ظاهرًا فيه المُهِمُّ والأَهَمُّ ؛ فليس تقديمُ كلمةٍ على أُخرى صناعةً لفظيةً فحَسْبُ لكِنَّ المعنى هو الذي جعَلَ ترتيبَ الآيةِ ضرورةً لا مَعْدَى عنهُ وإلا اختلَّ وانهَارَ))[312].

ومِن هذا التقابُلِ أَيضًا قولُه تعالى: (**الذِينَ آمَنُوا يُقاتِلُونَ في سَبيلِ اللهِ والذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ في سَبيلِ الطَّاغُوتِ فقَاتِلُوا أَولِياءَ الشَّيطانِ إنَّ كَيْدَ الشَّيطانِ كانَ ضَعِيفًا)** [النساء/76] ، وقولُه تعالى: **(وَعَدَ اللهُ الذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ لهُم مَغفِرةٌ وأَجرٌ عظيمٌ والذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآياتِنا أُولئِكَ أَصحابُ الجَحِيمِ)** [المائدة/9–10] ، وقولُه تعالى: **(الذِينَ كَفَرُوا لهُم عذابٌ شديدٌ والذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ لهُم مَغفِرةٌ وأَجرٌ كَبيرٌ)** [فاطر/7] ، وقولُه تعالى: **(إنَّ اللهَ يُدخِلُ الذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأَنهارُ والذِينَ كَفَرُوا يَتَمتَّعُونَ ويأْكُلُونَ كما تأْكُلُ الأَنعامُ والنَّارُ مَثْوًى لَّهُم)** [محمد/12].

3–التقابلُ بينَ الأَمرِ بالمعروفِ ، والنَّهيِ عنِ المُنكَرِ:

ويُطالعُنا من شواهدِ هذا التقابلِ قولُه تعالى: (**وَلْتَكُنْ مِّنكُم أُمَّةٌ يَدعُونَ إلى الخَيرِ ويأمُرُونَ بالمَعرُوفِ وينَهَوْنَ عنِ المُنكَرِ وأُولئِكَ هُمُ المُفلِحُون)** [آل عمران/104] ، وقولُه تعالى: (**كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للنَّاسِ تأمُرُونَ بالمَعرُوفِ وتَنهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وتُؤمِنُونَ باللهِ ولَو آمَنَ أَهلُ الكِتابِ لكانَ خَيرًا لَّهُم مِّنهُمُ المُؤمِنُونَ وأَكثَرُهُم فاسِقُون)** [آل

(312) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم 178.

عمران/110] ، وقولُه تعالى: (**يُؤمِنُونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ ويأمُرُونَ بالمَعرُوفِ ويَنهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ ويُسارِعُونَ في الخَيراتِ أُولئِكَ مِنَ الصَّالحِينَ)** [آل عمران/114].

إنَّ للنصِّ الواحدِ الذي يَضُمُّ طرفَينِ لفظيَّينِ أَو تركيبَينِ مُتقابلَينِ بالتضادِّ دَلالاتٍ نفسيةً مُرتبطةً بالدَّلالاتِ النفسيةِ العامةِ للصورةِ القرآنيةِ التي يَرِدُ فيها هذا النصُّ وهي الدَّلالاتُ المستوحاةُ لمَن يتدبَّرُ في النصِّ تدبُّرًا مَعرفيًّا من المعاني العامةِ المترابطةِ التي تدُلُّ عليها الصورةُ القرآنيةُ بمنظومتِها الموَحَّدةِ ؛ فسورةُ آلِ عمرانَ ((ترتَكِزُ في سياقِها على الطاعةِ والاتِّباعِ في منهجِ الحياةِ كلِّه))[313].

ونحن نتدبَّرُ في هذه السورةِ المباركةِ نجِدُ أَنَّها ((قد عُنِيَت بأَمرَين عظيمَينِ هما قضيةُ الأُلُوهِيةِ وتقريرِ الحقِّ لها ، والثاني تقريرُ العِلَّةِ التي مِن أَجلِها يَنصَرِفُ الناسُ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ عنِ التوجُّهِ إلى معرفةِ الحقِّ والعملِ على إدراكِه والتمسُّكِ به. [والنصوصُ القرآنيةُ التي سأَعرِضُ لها هنا] تؤكدُ وَحدانيةَ اللهِ ، وأَنَّ الإسلامَ هو الدِّينُ الحقُّ عندَ اللهِ ، وأَنَّ دعوةَ الرسُلِ واحدةٌ هي الدعوةُ إلى توحيدِ اللهِ ، وتدعيمُ الأَخلاقِ ، والحثُّ على الفضائلِ ، والتحذيرُ من الرذائلِ ، والأَمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ))[314].

فمسألةُ تحمُّلِ المسؤوليةِ تُلقِي بظِلالِها على الفردِ والمجتمعِ إذ تُبيِّنُ المخاطرَ والدعوةَ إلى تُجنُّبِها. وفي سورةِ [آل عمران] تكرَّر التقابلُ في أَكثرَ مِن موضوعٍ كما هو واضحٌ في النصوصِ القرآنيةِ المذكورةِ في أَعلاهُ.

وقدِ ارتبطَ الجَوُّ العامُّ للسورةِ – بأَبعادِهِ النفسيةِ العامَّةِ – بما انتظَمَهُ النصُّ تقابلا دَلاليًّا مُتضادًّا قام على التَّكرارِ في أَكثرَ من موضوعٍ في السورةِ نفسِها بصرفِ النظرِ عنِ الإحصاءِ العدديِّ لتَكرارِ هذا التقابلِ إيمانًا لدى الباحثةِ بأَنَّ الشاهدَ القرآنيَّ هو شاهدٌ قائمٌ بنفسِهِ على حقيقةٍ لُغويةٍ نفسيةٍ دَلاليةٍ لها شأنُها من وسيلةٍ معروضةٍ وغايةٍ مقصودة.

---

(313) أَهداف كل سورة ومقاصدها ، عبدالله محمد شحاتة 42.

(314) م.ن. 23–24.

ويرَى (د. صبحي الصالح) أَنَّه قد ((تتعاقَبُ الآياتُ في الموضوعِ الواحدِ تأكيدًا وتفسيرًا أَو عطفًا وبيانًا أَوِ استثناءً وحصرًا أَوِ اعتراضًا وتذييلا حتى تبدُوَ الآياتُ المتعاقباتُ كالنظائرِ والأَترابِ))[315].

فالتَّكرارُ يَدُلُّ على الأَثرِ المعنويِّ بأَبعادِهِ النفسيةِ المرتبطةِ بالنصِّ الموحَّدِ للبناءِ الإنسانيِّ الرصينِ البعيدِ عن مَهاوِي الكُفرِ المُستنِدِ على مساندِ الإيمان.

وثمة نصوصٌ قرآنيةٌ تدعُو إلى الأَمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكَرِ ترتبِطُ دَلالتُها المعنويةُ بالمعنى العامِّ للسورةِ الواردةِ فيها بالدعوةِ القرآنيةِ الشاملةِ للإيمانِ، والنهيِ القرآنيِّ الشاملِ عن المنكر كقولِهِ تعالى: (**الذِينَ يَتَّبعُونَ الرَّسُولَ الأُمِيَّ الذي يَجِدُونَه مَكتُوبًا عندَهُم في التوراةِ والإنجيلِ ويأمُرُهُم بالمَعروفِ وينَهاهُم عَنِ المُنكَرِ ويُحِلُّ لهُمُ الطَّيِّباتِ ويُحرِّمُ علَيهِمُ الخَبائِثَ ويَضَعُ عنهُم إصْرَهُم والأَغلالَ التي كانَت علَيهِم فالذِينَ آمَنُوا بهِ وعَزَّرُوهُ ونَصَرُوهُ واتَّبعُوا النُّورَ الذي أُنزِلَ معَهُ أُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ**) [الأَعراف/157] ، وقولِه تعالى: (**التَّائِبُونَ العابِدُونَ الحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بالمَعرُوفِ والناهُونَ عنِ المُنكَرِ والحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وبَشِّرِ المُؤمِنِينَ**) [التوبة/112] ، وقولُه تعالى: (**الذِينَ إن مَّكَّنَّاهُم في الأَرضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزكاةَ وأَمَرُوا بالمَعرُوفِ ونَهَوا عنِ المُنكَرِ ولله عاقبةُ الأُمُورِ**) [الحج/41] ، وقولِه تعالى: (**يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وأْمُرْ بالمَعرُوفِ وانْهَ عنِ المُنكَرِ واصبِرْ علَى ما أَصابَكَ إنَّ ذلكَ مِن عَزْمِ الأُمُورِ**) [لقمان/17].

من هذهِ الحقيقةِ القرآنيةِ نَجِدُ أَنَّ ((التَّكرارَ لهُ وظيفةٌ مزدوجةُ الأَداء تَحمِلُ مِن التوثيقِ للمعنى قيمةً صوتيةً وفنيةً تَزِيدُ القلبَ له قَبولًا والوُجدان بهِ تَعلُّقًا))[316]. وبهذا يَبِينُ لنا أَنَّ التَّكرارَ قد رَسَمَ لنا بُعْدًا نفسِيًّا مؤثِّرًا للنصِّ القرآنيِّ.

ويرَى (د. حسين جُمعة) أَنَّ ((التضادَّ لم يَعُدْ مُجرَّدَ تبايُنٍ بينَ الشيءِ وضدِّهِ وإِنِ ارتفَعَ إلى نَمَطِ المقابلةِ بل صارَ في صَميمِ التقابلِ أُسلوبًا يُعبِّرُ عن حالاتٍ نفسيةٍ وموضوعيةٍ

---

(315) مباحث في علوم القرآن 152.

(316) التكرير بين المثير والتأثير ، د. عزالدين علي السيد 86. وينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية 364.

متقابلـةٍ فـي تـداعياتِها الضـدِّيةِ وغيرِهـا ممَّـا يُوضِّـحُ بعضُـهُ بعضًـا باعتِبـارِهِ أَنسـاقًا تقابليـةً بِنائيةً))[317].

4-التقابل بين عبادةِ الحقِّ ، وعبادةِ الباطل:

قال تعالى : **(قُلْ يا أَيُّها الكافِرُونَ ، لا أَعبُدُ ما تَعبُدُونَ ، ولا أَنتُم عابِدُونَ ما أَعبُدُ ، ولا أَنا عابِدٌ ما عَبَدتُّم ، ولا أَنتُم عابِدُونَ ما أَعبُدُ ، لكُم دِينُكُم ولِيَ دِيْنِ)** [الكافرون/1-6].

تَضمَّنَ هذا النصُّ الكريمُ تقابلا مُتكرِّرًا مُتضادًّا في قولِه تعالى: **(لا أَعبُدُ ما تَعبُدُونَ ، ولا أَنتُم عابِدُونَ ما أَعبُدُ)** ، وقولِه تعالى: **(ولا أَنا عابِدٌ ما عَبَدتُّم ، ولا أَنتُم عابِدُونَ ما أَعبُدُ)** إذ تكشِفُ السورةُ المباركةُ عن فريقَينِ فريقِ الحقِّ والإيمانِ مُمثَّلا بالرسولِ الأَكرمِ (صلَّى اللهُ علَيهِ وآلِه) ، وفريقِ الباطلِ والكُفرِ مُمثَّلا بالكافرين ؛ فتَضمَّنتِ السورةُ وثيقةَ البراءةِ من عبادةِ الكافرينَ بوصفِها سَدًّا مَنيعًا أَمامَ محاولاتِهِمُ التأثيرَ في التجمعِ الإيمانيِّ. وعلى الرغمِ مِن كثرةِ الضغوطِ التي مرَّ بها الرسولُ (صلَّى اللهُ علَيهِ وآلِه) فقد أَعلَنَ إصرارَه على الحفاظِ على المبدأِ من دُونَ الاصطدامِ بهِم. ويَكشِفُ لنا هذا بُعدًا نفسيًا هو أَخذُ العِبرةِ والموعظةِ لكلِّ المسلمينَ أَلا يُساوِمُوا أَعداءَ الإسلامِ في مبادئِ الدِّينِ مهما كانت الظروفُ ()[318]. ويُمكِنُ أَن نلحَظَ أَنَّ هدَفَ السورةِ هو ((بيانُ الانفصالِ التامِّ واللانهائيِّ بينَ الحقِّ والباطلِ))[319].

وقد أَشارَ (الزَّرْكَشِيُّ) إلى أَنَّ هذه الآياتِ الكريمةِ ((ليسَت من التَّكرارِ في شيءٍ ... وذلك لأَنَّ قولَه: **(لا أَعبُدُ ما تَعبُدُونَ)** أَي لا أَعبُدُ في المستقبلِ [ما تعبُدُون في المستقبلِ] ، وقولَه: **(ولا أَنا عابِدٌ ما عَبَدتُّم)** أَي ولا أَنا عابدٌ في الحالِ ما عبدتُم في المُستقبلِ ، [**(ولا أَنتُم عابِدُونَ)** في الحالِ ما أَعبُدُ في المستقبلِ]. والحاصلُ أَنَّ القَصدَ نَفْيُ عبادتِهِ لآلهتِهِم في الأَزمنةِ الثلاثةِ (الحالِ ، والماضي ، والاستقبالِ) ، والمذكورُ في الآيةِ النفيُ في الحالِ

()317 التقابل الجمالي في النص القرآني163.

(318) ينظر: الأَمثل 567:15. ومن هُدَى القرآن 389:12.

() 319مِنَّة المَنَّان في الدفاع عن القرآن ، السيد الشهيد محمد الصدر (قُدِّسَ سِرُّه) 134.

والاستقبالِ ، وحُذِفَ الماضي من جهتِهِ ومن جهتِهِم ؛ ولا بُدَّ من نَفيِهِ ، لكنَّه حُذِفَ لدَلالةِ الأَوَّلَينِ عليه))[320].

ومِن دَلالاتِ التَّكرارِ المتحصَّلِ من هذا التقابلِ في هذه السورةِ التوكيدُ بما له من أَبعادٍ نفسيةٍ ترسيخيةٍ للوقائعِ ؛ قال الرَّازيُّ: ((إنَّ التَّكريرَ يُفيدُ التوكيدَ ، وكلَّما كانتِ الحاجةُ إلى التأكيدِ أَشدَّ كانَ التَّكريرُ أَحسَنَ. ولا موضعَ أَحوجُ إلى التأكيدِ من هذا الموضعِ ؛ لأَنَّ أُولئِكَ الكفارَ رَجَعُوا إلى الرسولِ (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) في هذا المعنى مِرارًا ، وسَكَتَ رسولُ اللهِ عنِ الجَوابِ ؛ فوَقَعَ في قلوبِهِم أَنهُ (عليهِ السلامُ) قد مالَ إلى دِينِهِم بعضَ المَيلِ ؛ فلا جَرَمَ [أَنه قد] دَعَتِ الحاجةُ إلى التأكيدِ والتَّكريرِ في هذا المعنى والإبطالِ))[321]. وإلى هذه الدَّلالةِ ذهب (د. محمد زوين) في فَهمِ التَّكرارِ المتقابلِ الواردِ في هذه السورةِ من ((أَنَّه أَفادَ التوكيدَ بأَبلغِ طريقةٍ ... وفي هذا تحقيرٌ واستِهجانٌ للكفَّارِ الذينَ سأَلُوا الرسولَ (ص) أَن يتناوَبَا في عبادةِ اللهِ مدةً ، وعبادةِ آلهتِهِم مدةً أُخرى ... [وهو ما] لا يَصدُرُ إلا من نفوسٍ استقَرَّ بها الشِّركُ ومَلَكَ عَنانَها الإصرارُ عليه. ويَكفِي أَنَّ الصورةَ [322] بدأَت بوَصفِهِم بالكُفر))[323].

---

(320) البرهان في علوم القرآن 3: 105 –106.

(321) تفسير مفاتيح الغيب 32: 145–146.

(322 الصوابُ: السُّورة.

(323) من مظاهر التكرار في القرآن الكريم 217.

المبحثُ الثاني/ نَمَطُ التقابلِ المتنوِّعِ [324]:

هو نَمَطٌ لغويٌّ بلاغيٌّ يَكشِفُ عن مِكْنةِ اللغةِ العربيةِ الواسعةِ في التعبيرِ بمُعجزةِ بيانِها بما يأتي عليه من صُورِ التقابلِ الواردةِ في النصِّ القرآنيِّ بأَشكالٍ وأَنماطٍ مختلفة على مستوى الأَلفاظِ ، والصيغِ ، والتراكيبِ ، والمعنى لغاياتٍ دَلاليةٍ مقصودةٍ ؛ فلا يأتي بصورةٍ تقابليةٍ متضادَّةٍ على ما هو معروفٌ من التقابلِ المتضادِّ المباشر بين رُكنَين رئيسَين في النصِّ القرآنيِّ الواحدِ فقط ، بل يأتي على سبيلِ التنوُّعِ النَّمَطِيِّ القائمِ على التقابلِ المُتضادِّ بينَ تركيبَينِ لُغوِيَّينِ ، أَو دَلالتَينِ موضوعيتَينِ لأَداتَينِ لُغوِيَّتَين بما يتقابَلُ بينَ الجُملةِ (الاسميةِ ، والفعليةِ) ، أَو بينَ الجُملةِ (ذاتِ الفِعلِ المبنيِّ للفاعلِ ، والفِعلِ المبنيِّ للمفعولِ) ، أَو بينَ (المعرفةِ ، والنكرةِ) ، أَو بينَ (الذينَ / التخصيصِ ، وأَل / عمومِ الجنسِ) على سبيلِ المثالِ لا الحصرِ.

ومن أَنماطِ هذا التقابلِ بحسَبِ تراكيبِها النحويةِ واللغويةِ ودَلالاتِها [325] ، وموضوعاتِ هذه التراكيبِ – على سبيلِ المثالِ لا الحصرِ – ما يأتي:

أَولا/ التقابلُ بينَ الجملةِ الفعليةِ ، والجُملةِ الاسمية:

---

(324) سمَّتهُ الباحثةُ (منال صلاح الدين الصفار) في رسالتِها الموسومةِ بـ(التقابلُ الدَّلاليُّ في القرآنِ الكريم: 164) التقابلَ المتغايرَ. وقدِ ارتأَيتُ أَن أُسَمِّيَهُ (التقابلَ المتنوِّعَ) ؛ لتنوُّعِ طرفَيهِ المتقابلَينِ تضادًّا بحسَبِ نَمَطِ تركيبِه من جهةٍ ، ولأَنَّ التغايرَ بينَ طرفَيهِ المتقابلَينِ مَفهومٌ بقيدِ (التضادِّ) المقصودِ في عَرضِ هذا التقابلِ في رسالتي هذه تحديدًا من جهةٍ أُخرى.

(325) جَعَلْتُ التركيبَ النحويَّ هنا مِعيارًا لعرضِ موضوعاتِ هذا النَّمَطِ ؛ لأَنَّ صُورَ التنوُّعِ هنا قائمٌ بيانُها وعَرضُها على الجُملةِ تركيبًا ، أَو أَلفاظًا لا على الموضوعِ. أَمَّا الموضوعُ فمُتفرِّعٌ هنا عنِ التركيبِ نفسِه ، والتركيبُ للتقابلِ ، والتقابلُ بنَمَطِه.

ومِن موضوعاتِه التي جاء بها التقابلُ المُتضادُّ بنَمَطِهِ المُتنوِّعِ هذا بما يَكشِفُ عنه من دَلالاتٍ نفسيةٍ ما يأتي:

1-التقابُلُ بينَ مُخادَعَةِ اللهِ ، ومُخادعةِ المنافقين:

ورد هذا التقابلُ بينَ الجملةِ الاسميةِ والفعليةِ في قولِه تعالى: (**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُم وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**) [النساء /142].

يُطالعُنا تقابلٌ تركيبيٌّ متضادٌّ بنَمَطِ التنوُّعِ لم يَسْتَوِ فيه طرفَا التقابلِ من جهةِ نمطِ التركيبِ ؛ فقولُه تعالى: **(يُخَادِعُونَ اللَّهَ)** ورَدَ في سياق جملةٍ فعليةٍ فعلُها مضارعُ يدُلُّ على التغيُّرِ والتجددِ والاستمرارِ والحُدوثِ بعد انقطاعٍ ؛ أَي أَنَّهم منافقُون يتخذُون أُسلوب الخداعِ تارةً ، وأُسلوبَ الطاعةِ تارةً أُخرى ، وهو ما يَخدَعُون به أَنفسَهم فقط. يُقابلُه قولُه تعالى: (وهُوَ خادِعُهُم) القائمُ على جُملةٍ اسميةٍ مؤلفةٍ من مبتدأٍ وخبرٍ تدلُّ على الثباتِ والدوامِ الذي يَليقُ بربِّ العِزةِ الذي (**لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ**) [الشورى/11] ؛ فلا يَخدعُهُ مخلوقٌ ، ولا يَغلِبُهُ منافقٌ.

ولا يخفَى على متبصِّرٍ مدى القلقِ النفسيِّ الذي يُعاني منه هؤلاءِ المنافقون بما يُفصِحُ عنه قولُه تعالى: (**يُخَادِعُون اللهَ وهو خادعهم**) ((أَي مُجازيهم على خديعتِهم. ووبالُ الخديعةِ راجعٌ عليهم. والعربُ تقولُ: الجَزاءُ بالجَزاءِ ، والأَولُ ليس بجَزاءٍ وإِنَّما هو على مُزاوجةِ الكلامِ))[326] ؛ لأَنهم لم يَلجؤُوا إِلى هذا الخداعِ إِلى بعدَ ضياعِ السبُلِ لديهم ، وانقطاعِ الرجاءِ بغَلَبَتِهِم ، وهو في الواقعِ خِداعٌ يرَونَه هم ، ويُرُونَه سِواهُم ظنًّا وتزييفًا بأَنهم قد غَلَبُوا به.

(326) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن 99.

وهذه حقيقةٌ يُوثقُ يقينَها قولُه تعالى: **(وهُو خادِعُهُم)** بما يُنهِي الفرصةَ لديهِم ويَزيدُ من حُبسةِ النفسِ عليهِم إعلامًا لهم بأَنَّ خِداعَهُم لا يَنطبِقُ عليهِ سبحانَه ، وقد عَلِمَهُ فهو علَّامُ الغيوب.

إنَّ ثنائيةَ التقابلِ الدالةِ على الخِداعِ في هذا النصِّ قد جاءت في نصوصٍ قرآنيةٍ أُخَرَ مغايرةٍ لهذا التعبيرِ التقابليِّ بأَنماطٍ لغويةٍ متنوعةٍ منها قولُه تعالى: **(يُخادِعُونَ اللهَ والذينَ آمَنُوا وما يَخدَعُونَ إِلَّا أَنفسَهُم وما يَشعُرُونَ)** [البقرة/9] القائمِ على تقابلٍ دَلاليٍّ بالجُملةِ الفعليةِ ذاتِ الفعلِ المضارعِ المثبَتِ في قولِه تعالى: **(يُخادِعُونَ اللهَ والذينَ آمَنُوا)** ، والفعلِ المُقابِلِ المنفي في قولِه تعالى: **(وما يَخدَعُونَ إِلَّا أَنفسَهُم)**؛ فهم من البُعدِ النفسيِّ يَجنُونَ على أَنفسِهم هم فقط.

سُئِلَ (الإمامُ الرِّضا (عليه السلامُ) ت203هـ) عن قولِه تعالى: (**يُخادِعُونَ** اللهَ وهُوَ خادِعُهُم﴾ فقال: ((إِنَّ اللهَ تعالى لا يَسخَرُ ولا يَستَهزِئُ ولا يَمكُرُ ولا يُخادِعُ، ولكنَّه تعالى يُجازِيهِم جَزاءَ السُّخرِيَةِ وجزاءَ الاستِهزاءِ وجزاءَ المَكرِ الخدِيعةِ ؛ تعالى اللهُ عمَّا يَقولُ الظالمونَ عُلُوًّا كبيرًا))[327].

ويرى (الرازيُّ) في مضمونِ هذا التقابلِ ((أَنَّ المنافقين لم يعتقدُوا أَنَّ اللهَ بعَثَ الرسولَ إليهم ؛ فلم يكُن قصدُهُم في نفاقِهم مُخادعةَ اللهَ تعالى ؛ فثبَتَ أَنه لا يُمكِنُ إجراءُ هذا اللفظ على ظاهرِه بل لابدَّ من التأويلِ وهو من وَجهَين: الأَولُ أَنه تعالى ذَكَرَ نفسَه وأَراد بهِ الرسولَ على عادتِه في تفخيمِ وتعظيمِ شأنِه ؛ قال: (**إِنَّ الذين يُبايِعُونَكَ إنما يُبايِعُونَ اللهَ)** [الفتح /10] ، وقال في عكسِه **(اعلَمُوا أَنما غَنِمتُم من شَيءٍ فأَنّ للهِ خُمُسَهُ)** [الانفال/41] أَضاف السهمَ الذي يأخذُهُ الرسولُ إلى نفسِه ؛ فالمنافقون لما خادَعُوا الرسولَ قيل: إنهم خادَعُوا اللهَ تعالى. الثاني أَن يقالَ: صورةُ حالِهم معَ اللهِ حيثُ يُظهِرون الإيمانَ وهم كافرون صورةَ من

(327) عيون أَخبار الرضا ، الشيخ أَبوجعفر الصدوق 115:1.

يُخادِعُ ، وصورةُ صنيعِ اللهِ معَهم حيثُ أَمَرَ بِإجراءِ أَحكامِ المسلمين عليهم وهم عندَه في الكَفَرَةِ صنيعَ اللهِ معهم حيثُ امتثلُوا أَمرَ اللهِ فيهِم فأَجْرَوا أَحكامَه علَيهم))[328].

وأَرى أَنَّ النصَّ صريحٌ بأَنهم إنما كانُوا يَظنونَ أَنهم **(يُخادِعُونَ اللهَ)** تعالى نفسَه ؛ لأَنهم تصوَّرُوا تمكنَهُم من ذلك ؛ فجاءَهُمُ الردُّ المقابلُ الرادعُ. ولو كانتِ المخادعةُ للرسولِ (صلَّى اللهَ عليه وآلِه) نفسِه لصرَّح بها القرآنُ كما في تصريحِه عنِ الخيانةِ في قولِه تعالى: **(يا أَيُّها الذين آمنُوا لا تخُونُوا اللهَ والرسولَ وتخُونُوا أَماناتِكم وأَنتم تعلَمون)** [الأَنفال/27].

وفي مضمونِ هذا النصِّ القرآنيِّ يرى (السيدُ الطباطبائيُّ) أَنَّ معنى ((المخادَعةِ ... الإكثارُ أَوِ التشديدُ في الخُدعةِ بناءً على أَنَّ زيادةَ المباني تدُلُّ على زيادةِ المعاني))[329] ؛ أَي أَنَّ لذلك بُعدًا نفسيًا يُفصِحُ عنِ الاستغرابِ أَو الدهشةِ التي تُصيبُ السامعَ أَوِ القارئَ للنصِّ القرآنيِّ.

ومن المعطياتِ النفسيةِ لهذا التقابلِ ما أَدَّبَّرُهُ مِن أَبعادٍ نفسيةٍ واضحةٍ تُفصِحُ بها الجملةُ الفعليةُ **(يُخادِعونَ اللهَ)** عن وسوسةٍ وتوجُّهٍ شيطانيٍّ يَغلِبُ على هؤلاءِ المنافقينَ ، ويجعلُهُم في صراعٍ مع واقعِهم يَظنُّون فيه أَنهم همُ الغالبونَ بوسائلِ خداعِهم ، ويَظنُّون أَنهم يَفوقون بأَلاعيبِهم ومرواغتِهم قدرةَ اللهِ سبحانَه التي تتجلَّى في الجملةِ الاسميةِ بقولِه تعالى: **(وهو خادِعُهم)** الذي يُفصِحُ عن رَدعٍ نفسيٍّ قاهرٍ ومانعٍ لهؤلاءِ المنافقين يَقفُون به على حقيقةِ ضياعِهم وسفاهتِهم وخسارتِهم.

ويرى (د. بن عيسى باطاهر) أَنَّ ((من الغاياتِ الفنيةِ التي تسعى إليها المقابلةُ في القرآنِ الكريمِ توفيرَ التناسقِ الفنيِّ بينَ أَجزاءِ التعبيرِ. والتناسقُ هو نوعٌ من الانسجامِ التامِّ والارتباطِ الوثيقِ بينَ الأَلفاظِ والعباراتِ والصورِ بحيثُ يبدُو التعبيرُ مثلَ الصورةِ المكتملةِ في

---

(328) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب 333:1.

(329) الميزان 118:5.

أَجزائِها ، المتناسقةِ في أَلوانِها ، وكالشيءِ الجَميلِ الذي تترابطُ جميعُ عناصرِهِ لتكونَ في النهايةِ منظرًا رائعًا مؤثرًا تتملاهُ العيونُ ، وتتجاذبُهُ النفوسُ))[330].

فالتناسقُ أَوِ التماسُكُ بين الجُملِ في النصِّ القرآنيِّ واحدٌ مِن الغاياتِ التي سَعَت إليها المقابلةُ لأَنَّها تُحقق غايةً نفسيةً إضافةً إلى الغايةِ الفنية.

2-التقابُلُ بينَ الإحياءِ ، والإماتة:

ولهذا الموضوعِ موردٌ في قولِه تعالى: **(أَوَ كالذي مَرَّ على قريَةٍ وهِيَ خاوِيةٌ عَلَى عُرُوشِها قال أَنَّى يُحيِي هذه اللهُ بعدَ مَوتِها فأَماتَه اللهُ مِأْئَةَ عامٍ ثُمَّ بعَثَهُ قالَ كَم لَبِثْتَ قال لَبِثْتُ يَومًا أَو بَعضَ يَومٍ قالَ بل لَّبِثْتَ مِأْئَةَ عامٍ فانظُرْ إلى طعَامِكَ لم يَتَسَنَّهْ وانظُرْ إلى حِمَارِكَ ولِنَجعَلَكَ آيةً للنَّاسِ وانظُرْ إلى العِظامِ كيفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكسُوها لَحْمًا فلَمَّا تَبيَّنَ لهُ قالَ أَعلَمُ أَنَّ اللهَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ)** [البقرة/259].

إنَّ الثنائيةَ الدَّالةَ على التقابلِ بينَ الإحياءِ والإماتةِ في هذا النصِّ القرآنيِّ قد جاءت متنوعةً بهذا النَّمَطِ الذي وُظِّفَ بتعبيرٍ تقابليٍّ بينَ الثنائيةِ نفسِها في سُورٍ أُخرى ؛ فقد سأَلَ الذي مرَّ على هذه القريةِ – وهو (العُزَيرُ، أَو إرْمِيا ، أَوِ الخِضرُ/ عليهِمُ السلامُ)[331] – عن كيفيةِ إحياءِ قريةٍ هلَكَت بأَكملِها بسؤالٍ انتظمته الجملةُ الإسميةُ في قولِه تعالى: **(أَنَّى يُحيِي هذه اللهُ بعدَ مَوتِها)** وهو رُكنُ هذه الثنائيةِ التقابليةِ الأَولُ ؛ فجاءَهُ الردُّ الإلهيُّ بالرُكنِ المقابِلِ المُضادِّ له الآخرِ الذي انتظمته الجملةُ الفِعليةُ في قولِه تعالى: ((فأَماتَه اللهُ مِأْئَةَ عامٍ ثُمَّ

---

(330) المقابلة في القرآن الكريم 23.

(331) يُنظر: التبيان في تفسير القرآن ، أَبوجعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تح: أَحمد شوقي الأَمين وزميله 319:2 ، ونور الثقلَين ، الشيخ عبدعلي الحويزي ، تح: السيد علي عاشور 300:1و303 ، والتفسير الصافي ، الفيض الكاشاني ، تصحيح: الشيخ حسين الأَعلمي 146:1و76:5 ، والميزان في تفسير القرآن 217:2 ، وتفسير كنز الدقائق ، الميرزا محمد المشهدي القمي 166:2و174 ، ومتشابه القرآن ، ابن شهرآشوب المازندراني 126:2 ، وتفسير القمي ، أَبوالحسن علي بن إبراهيم القمي ، تصحيح: الجزائري26:6 ، تفسير العيَّاشي ، محمد بن مسعود العياشي150:1 ، وميزان الحكمة 214:10.

بعَثَهُ...)) ؛ فهو ليس كالتقابلِ المتطابقِ تركيبًا ونمَطًا بينَ طرفَيِ التضادِّ كقولِه تعالى: (**لـهُ مُلكُ السَّماواتِ والأَرضِ يُحيِي ويُمِيتُ وهُوَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ**) [الحديد/2] الذي تضمَّنَ الجملتَينِ الفعليتَين (يُحيِي ، ويُمِيتُ) المتطابقتَينِ بالفعلِ مضارعًا ، أَو قولِه تعالى: (**وأَنَّـهُ هُوَ أَماتَ وأَحيَا**) [النجم/44] الذي تضمَّنَ الجملتَينِ الفعليتَين (أَماتَ ، وأَحيا) المتطابقتَينِ بالفعلِ ماضيًا ، أَو قولِه تعالى: (**الَّذي خَلَقَ المَوتَ والحياةَ لِيَبلُوَكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلًا وهُوَ العزيزُ الغفورُ**) [المُلك/2] الذي تضمَّنَ اللفظَينِ (المَوتَ ، والحياةَ) المتطابقتَينِ بالاسميةِ مصدَرًا.

يَضِحُ من هذا التقابلِ الواردِ بينَ الإحياءِ والإماتةِ في آيةِ (الذي مَرَّ على قريةٍ) بهذا التعبيرِ المتنوِّعِ مُغايرةً تختلفُ عمَّا وردَ في نصوصِ الآياتِ التي مرَّ ذِكرُها أَنَّ التقابلَ فيها قدِ انتقلَ مِن الشخوصِ (البشَرِ) إلى الجَماداتِ (القريةِ) وهو ما وثَّق عنه أَحدُ الباحثِين بـ((أَنَّ المبنَى الفنيَّ لهذا السياقِ التقابُليِّ يتضمَّنُ تقابُلاتٍ أُخرى جانبيةً كالتقابلِ بينَ إحياءٍ جماعيٍّ وإحياءٍ فرديٍّ وإحياءٍ بشريٍّ وإحياءٍ حيوانيٍّ ، وأَنَّ هذا الحشدَ والتنوُّعَ من التقابُلاتِ لَيَنطوِي على جماليةِ المبنَى الفنيِّ للعنصرِ القَصصيِّ الذي يُوظِّفُهُ النصُّ لبلورةِ الهدفِ. لقد نَقلَ النصُّ حركةَ المتلقِّي الفكريةَ مِن القريةِ الخاويةِ ، وإمكان إحيائِها إلى حدَثٍ فرديٍّ مُتصِلٍ بالمارِّ على القريةِ المذكورةِ ليكونَ حَدَثًا قريبًا إلى نفسِ كلِّ شخصٍ وكلِّ فردٍ وكلِّ مُتَلَقٍّ))[332] ؛ فلم يحدُثْ هذا التأثيرُ النفسيُّ في التقابلِ بينَ الإحياءِ والإماتةِ بطريقةٍ عابرةٍ بل بتوظيفٍ دَلاليٍّ مقصودٍ قائمٍ على تصويرِ حَدَثٍ لا يُؤمِنُ بقُدرةِ اللهِ سبحانَه على إحياءِ تلك القريةِ وما فيها بعدَ أَن كانت سُباتًا ؛ يقولُ (سيد قطب) في هذا المَورِدِ القرآنيِّ: ((إِنَّ القائلَ لَيَعرِفُ أَنَّ اللهَ هناكَ ، ولكِنَّ مَشهَدَ البِلَى والخَواءِ ووَقْعَهُ العنيفَ في حِسِّهِ جعَلَه يَحارُ: كيفَ يُحيِي هذه اللهُ بعدَ موتِها ؟ وهذا أَقصى ما يَبلُغُه مَشهُدٌ من العُنفِ والعُمقِ في

(332) دراسات فنية في التعبير القرآني ، د. محمود البستاني 233. وينظر: جماليات التلقي في السرد القرآني ، د. يادكار لطيف الشهرزوري 263.

الإيحاءِ... وهكذا يُلقِي التعبيرُ القرآنيُّ ظِلالَهُ وإيحاءاتِه فيُرسُمُ المَشهَدَ كأَنَّما هو اللحظةَ شاخصٌ تُجَاهَ الأَبصارِ والمشاعرِ))[333].

3-التقابلُ بينَ الذِّكْرَى ، وفَواتِ الأَوان:

ومن شواهدِ هذ المضمونِ بهذا النمَطِ التقابليِّ قولُه تعالى: **(وجِيءَ يَومَئِذٍ بجَهنَّمَ يَومَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسانُ وأَنَّى لَهُ الذِّكرَى ، يَقُولُ يا لَيتَنِي قدَّمْتُ لِحَياتِي)** [الفجر/23-24].

ورَدَ في هذا النصِّ المبارَكِ تقابلٌ دلاليٌّ متضادٌ نقرَأُ منه دَلالاتٍ نفسيةً تكشِفُ عن حالِ الإنسانِ الذي أَنهَى حياتَه باللهْوِ واللعِبِ والإعراضِ عنِ الهدايةِ والعملِ الصالحِ نتيجةَ إنكارِهِ يومَ الحِسابِ.

وهو تقابلٌ قد تنوَّعَ طرفاهُ بتركيبَينِ غيرِ متطابقَينِ تناظُرًا جاءَ الأَولُ منهما – وهو قولُهُ تعالى: **(يَتذَكَّرُ الإِنسانُ)** – قائمًا على تركيبِ الجملةِ الفعليةِ الخَبَريةِ ذاتِ الفعلِ المضارعِ الذي دَلَّ بأَجلى دَلالةٍ على أَنَّ تذكُّرَ الإنسانِ يومَ الحسابِ في هذا المَوقفِ إنما حدَثَ له الآنَ بلا سابقٍ ينفعُهُ ؛ فالآنَ – أَي يومَ الحِسابِ – قد عرَفَ هذا الإنسانُ اللاهِي اللاعِبُ غيرُ المُهتدِي أَنه قد خَسِرَ الدنيا لأَنه لم يَعمَلْ صالحًا ، وهاهو الآنَ يخسَرُ الآخرةَ لأَنه لم يُحضِرْ لها زادًا ينفعُهُ فيها ؛ والدليلُ على ذلك حالةُ التمنِّي التي يَكونُ عليها التي كشَفَ عنها قولُه تعالى المتعاقبُ اللاحقُ: **(يا لَيتَنِي قدَّمتُ لحَياتِي)**.

وجاء التركيبُ الآخَرُ منهما قائمًا على الجُملةِ الاسميةِ الإنشائيةِ بقولِه تعالى: **(وأَنَّى لَهُ الذِّكرَى)** وهو تركيبٌ مُقابلٌ مُضادٌّ جاءَ بتبكِيتٍ وتأنيبٍ وتخسيرٍ لهذا الإنسانِ بأُسلوبِ الاستفهامِ القائمِ على تركيبِ جملةٍ اسميةٍ مؤلفةٍ من المبتدأِ المؤخَّرِ وُجوبًا (الذِّكرَى) والخبرِ المقدَّمِ وُجوبًا اسمِ الاستفهامِ (أَنَّى) المرتبطَين بالجَارِّ والمجرورِ (له) العائدِ ضميرُهُ على الإنسانِ في الجُملةِ الأُولى.

---

(333) في ظلال القرآن 1:258.

إنَّ هذه الثنائيةَ المتقابلةَ الدالةَ على ضياعِ الإنسانِ في الدنيا بلَهوِه وإعراضِه عنِ الهِدايةِ والرشادِ جاءت مختصَّةً بالحالِ العامةِ لكلِّ من أَضاعَ الهدفَ من خلقتِه ووجودِه وهو محورُ هذه الذِّكرَى ؛ فهو – إذًا – لا يمتلِكُ مؤهلاتِ هذه الذِّكرى. وهي الحالُ التي نُقابلُها حالٌ أُخرى يكونُ عليها الإنسانُ يومَ الحسابِ يَكشِفُ عنها قولُه تعالى: **(يومَ يَتذكَّرُ الإنسانُ ما سَعَى)** [النازعات/35].

إنَّ الحسرةَ النفسيةَ واضحةٌ من لحظةِ الضياعِ الإنسانيِّ هذه يومَ يقِفُ الإنسانُ ولا شيءَ عندَه قدِ اكتنزَهُ من دارِ الدنيا ليتزوَّدَ به وَقارًا لنفسِه ، ونيلًا لجائزةٍ تُنقِذُه.

إنَّ الندامةَ التي نراها في الدنيا تُشعِرُنا بالأَسف والأَسى والخجلِ معًا مع إمكانِ تصحيحِ الأَخطاءِ ، وتدارُكِ الصوابِ ؛ فكيف بنا عندَما يَفوتُ الأَوانُ ولا يُمكِنُ تدارُكُ الصوابِ ؛ ((فيَومَئِذٍ يندَمُ ويتحَسَّرُ الغافلُ على ما فاتَه في دُنياهُ ، ويتذكَّرُ أَنه لم يُقدِّمْ خيرًا لِحياتِه ؛ فلا تُنفعُهُ الذِّكرَى في ذلك الوقتِ المتأَخِّرِ ... وتُصبِحُ روحُهُ حَبيسَةً لِمَا كان علَيهِ من الشركِ والظلماتِ [بدليلِ قولِه تعالى:] **(ولا يُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ)**))[334].

إنَّ هذا التقابلَ بما يُفضي إليهِ من فضاءاتٍ دَلاليةٍ قد أَبرز شدَّةَ الوقعِ النفسيِّ التقريعيِّ الذي ينتابُ هذا الإنسانَ اللاهيَ المُعرَضَ في دنياهُ وهو في خُسرانٍ مبينٍ في أُخراهُ. وهذا سبيلُ التركيبِ القرآنيِّ عامةً الذي لا يُوازَنُ بقولِ البشرِ مع ((أَنَّ المتكلم [منهم] قد يَشحَنُ الكلمةَ شُحنةً إقناعيةً عاطفيةً فتكونُ الكلمةُ ترهيبيةً أَو ترغيبيةً ؛ فتتحولُ الكلمةُ عندئِذٍ إلَى إشارةٍ لا لِتدُلَّ على معنًى فقط إنما لتُثيرَ أَيضًا في الذهنِ إشاراتٍ أُخرى ، وتجلُبُ إلى داخلِها صُورًا لا يُمكِنُ حصرُها ؛ فتثيرُ في المتلقِّي شعورَ الرغبةِ أَوِ الرهبةِ تمهيدًا لحملِه على إتيانِ عمَلٍ ما أَو سُلوكٍ مَّا))[335].

---

(334) بيان النظم في القرآن الكريم ، محمد فاروق الزين 317– 318.

(335) الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم 47.

فالنصُّ القرآنيُّ نجدُه تارةً يُخاطبُ النزعةَ العقليةَ للمتلقِّي ، وتارةً أُخرى يُخاطبُ النزعةَ النفسيةَ لـه ؛ فيُثيرُ ذلك عواطفَه وأَحاسيسَه ؛ فإنَّ ذلك يُمَكِّنُه من أَخذِ صورةٍ حِسِّيةٍ ليَبنِيَ موقفًا متكاملا عن ذلك السلوك.

ويرى (د. يادكار لطيف الشهرزوري) ((أَنَّ نقطةَ الارتكازِ لتَمَييزِ معنًى عن معنًى أَوِ المعنى الثاني عن المعنى الأَولِ ومن ثَمَّ تمييزِ عبارةٍ عن أُخرى هي قوةُ التأثيرِ في المتلقِي ... فقوةُ التأثيرِ لا تتحققُ إلا في حالةِ وُجودِ قُدرةٍ على الاستجابةِ لدى المتلقِي))[336]. وهو ما يُفصِحُ عن أَنَّ ما يتحصَّلُ لدى المتلقِي من قوةِ تفسيرٍ أَو تحليلٍ ما هو إِلَّا استجابةٌ نفسيةٌ حصَلَ علَيها هو نفسُه من الإِشاراتِ النفسيةِ التي يَحملُها النصُّ القرآنيُّ بخِطابِه وأُسلوبِه وتراكيبِه وأَنماطِه.

ثانيًا: تقابلُ الجُملةِ ذاتِ الفِعلِ المبنيِّ للفاعلِ ، والفِعلِ المبنيِّ للمفعولِ:

-التقابلُ بينَ الشقاءِ والسعادةِ:

قال تعالى: **(فأَمَّا الذِينَ شَقُوا ففِي النارِ لهُم فيها زَفيرٌ وشَهيقٌ خالِدِينَ فيها ما دَامتِ السَّماواتِ والأَرضِ إِلَّا ما شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ ربَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ، وأَمَّا الذِينَ سُعِدُوا ففِي الجَنَّةِ خالِدِينَ فيها ما دَامتِ السَّماواتِ والأَرضِ إِلَّا ما شَاءَ رَبُّكَ عَطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ)** [هود/ 106-108].

في هذا النصِّ الكريمِ تنوَّعَ نَمَطُ التقابلُ بدَلالتَين متضادَّتَين ، لكُلٍّ منهما آثارٌ نفسيةٌ واضحةٌ تُفصِحُ عن نتائجَ يَحصُدُها أَصحابُها بحسَبِ أَعمالِهم.

جاء هذا التقابلُ بالتركيبِ الأَولِ وهو قولُه تعالى: **(أَمَّا الذِينَ شَقُوا ففِي النارِ...)** بالفعلِ الماضِي (شَقُوا) المبنيِّ للفاعلِ ؛ ففاعلُه (واوُ الجماعةِ) وهو كِنايةٌ عن الفاعلينَ أَصحابِ الشقاءِ والذنوبِ والآثامِ والإِجرامِ في الدنيا.

---

(336) جماليات التلقي في السرد القرآني 31.

لقد أُسنِدَ هذا الفعلُ إلى فاعلِه المباشرِ دَلالةً على أَنَّ فِعلَ الشقاءِ الذي يَنتظِمُ أَعمالَ السُّوءِ كلِّها إنَّما حصَلَ بإرادتِهم وإقدامِهم ورغبتِهم في المنكَرِ وإدامتِهم أَسبابَه ورضاهُم بالمنكَراتِ ، وهو ما يُؤكدُه قولُه تعالى: **(وما ظَلَمناهُم ولكِنْ كانُوا هُمُ الظالِمِينَ)** [الزخرُف/76].

إنَّ الردعَ النفسيَّ المتحصَّلَ من مَآلِ هؤلاءِ **(الذِينَ شَقُوا)** بإرادتِهم ، وظَلَمُوا أَنفسَهُم بأَيدِيهِم مِن مصيرٍ عِقابيٍّ يُظهِرُهُ قولُه تعالى: **(ففِي النارِ لهُم فيها زَفيرٌ وشَهيقٌ خالِدِينَ فيها ما دَامتِ السَّماواتِ والأَرضِ إلَّا ما شَاءَ رَبُّكَ إنَّ ربَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)** يَكشِفُ عن آثارٍ نفسيةٍ كبيرةٍ تَؤُزُّ قلوبَ المسيئِين لتأخُذَ بأَيديهِم إلى صلاحِ أَنفسِهم ، وتُغيِّرَ حالَهم إلى الأَحسنِ والأَكملِ قبلَ فواتِ الأَوانِ. وهذا ما أَشارَ إليه (د .صالح ملا عزيز) بقولِه: ((أَما دورُ التراكيبِ في تشخيصِ الأَحوالِ النفسيةِ فيأتي من أَنَّ اللغةَ تُوجَدُ فيها وسائلُ تعبيريةٌ قادرةٌ على تِبيانِ المعالِمِ النفسيةِ والنواحِي العاطفيةِ. وقد لا نكونُ مُجانِبين للصوابِ إذا قلنا: إنَّ الأَساسَ الذي انطلَقَ منه الجُرجانيُّ لإنشاءِ نظريةِ النَّظْمِ هو أَساسٌ نفسيٌّ حيثُ يكونُ ترتيبُ الأَلفاظِ في النُّطقِ انعكاسًا لترتيبِ المعاني في النفس))[337]. وهو رأيٌ قدِ استنبطَه من قولِ (الجُرجانيِّ/ ت471هـ) : ((إنَّ اللفظَ تَبَعٌ للمعنَى في النَّظْمِ ، وإنَّ الكَلِمَ تَرَتَّبَ في النُّطقِ بسببِ ترتيبِ معانِيها في النفسِ))[338].

إنَّ اللغةَ ((تُمثِّلُ ... شَبكةً من العِلاقاتِ الداخليةِ والخارجيةِ المتداخلةِ التي تتضافرُ فيما بينها لإنتاجِ المعنى))[339].

يُقابلُه التركيبُ المُضادُّ له وهو قولُه تعالى: **(وأَمَّا الذِينَ سُعِدُوا ففِي الجَنَّةِ خالِدِينَ فيها)** الذي جاء فيه الفعلُ المُقابلُ تضادًّا (سُعِدَ) مُسنَدًا إلى المفعولِ بصيغةِ (فُعِلَ) التي يُسمِّيها بعضُ النحويينَ (المبنيُّ للمجهولِ).

---

(337) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني 178.

(338) دلائل الإعجاز 55-56.

(339) المعنى خارج النص أَثر السياق في تحديد دلالات الخِطاب ، فاطمة الشيدي10.

إنَّ إسنادَ الفعلِ (سُعِدَ) إلى ما هو مفعولٌ به أَصلا يُفصِحُ عن الكرامةِ التي مُنِحَها هؤلاءِ السعداءُ ، وعن تعظيمِ شأنِهم ، ورِفعةِ منزلتِهم ، وعن تلبُّسِ السعادةِ بهِم ؛ فكأَنهُم قد خُلِقُوا ليتصِفُوا بالسعادةِ في الآخرةِ نتيجةَ إيمانِهم وتقواهُم في الدنيا. وهذا دليلٌ قرآنيٌّ لغويٌّ تركيبيٌّ إسناديٌّ يَكشِفُ عن أَبعادٍ نفسيةٍ يتحصَّلُ عليها المؤمنونَ المتَّقونَ في الدنيا ما يَزيدُ من إقدامِهم على العملِ الصالحِ وهم يعلمونَ كرامةَ النفسِ المؤمنةِ عندَ اللهِ تعالى إذ قد عرَفُوا يقينًا طِيبَ مآلِها ، وسعادةَ مآبِها ، ورِفعةَ مثواها ؛ فإسنادُ الفعلِ لمفعولِه أَصلا وبناؤُه عليهِ يُفيدُ التعددَ في الإيحاءاتِ الدَّلاليةِ التي تُرادُ من هذا الإسنادِ[340].

إذا جاء الفعلُ المبنيُّ لمفعولِه في سياقِ الشرطِ ((أَفاد العمومَ ... ليُسلطَ الضوءَ ، ويَلفِتَ الانتباهَ إلى حقيقةِ الحدثِ وطبيعتِه ومدى عَلاقتِه وتعلُّقِه بالمفعولِ الأَصليِّ ؛ فيُحققَ الغرضَ الأَساسيَّ من إبرازِ عناصرِ المشهدِ ، ويُتيحَ لها المجالَ الأَكبرَ لتأديةِ دورِها في قوةٍ ووضوحٍ دونَ مزاحمةٍ لفظيةٍ أَو حضورٍ لغويٍّ لا يتعلقُ الغرضُ به))[341].

ولا شكَّ في وضوحِ الشأنِ بالتقابلِ المتضادِّ وإيحاءاتِه النفسِيةِ بينَ اتصافِ أَصحابِ النارِ بالشقاءِ وتلبُّسِهم به خالدِينَ فيها نتيجةَ فسادِهم في الدنيا وعقابِهم عنه، واتِّصافِ أَصحابِ الجَنةِ بالسعادةِ وتلبُّسِهم بها خالدينَ فيها نتيجةَ تقواهُم في الدنيا وثوابِهم عنها.

لقد جاء هذا التقابلُ المتنوِّعُ تفصيلا للتقابلِ غيرِ المتنوِّعِ السابقِ في قولِه تعالى: **(فمِنهُم شَقِيٌّ وسَعيدٌ)** [هود/105] الذي ورَدَ بصيغةِ الاسمِ (الصفةِ المشبَّهةِ) لكُلٍّ مِن (شَقِيٌّ) ، و(سَعيدٌ).

---

(340) يُنظر: الفعل المبني للمجهول في اللغة العربية (أَهميته. مصطلحاته. أَغراضه) ، د. عبدالفتاح محمد 56 ، وهو بحثٌ منشورٌ في العام 2006م.

وقد وجدتُ – اطِّلاعًا وافيًا – أَنَّ بحثًا بالعنوانِ التامِّ نفسِه ، والمضمونِ التامِّ نفسِه قد نُشِرَ باسمِ (وداد حميد مهدي) – تعريفًا بانتسابِها إلى تربيةِ محافظةِ نينوى / ثانوية المعالي للبنات – في (مجلةِ التربيةِ والعِلم) م18 ، ع2 ، 2011م.

(341) الإعجاز البلاغي في استخدام الفعل المبني للمجهول ، د. محمد السيد موسى 39.

إنَّ الشقاءَ ونتيجتَه إنما يتحصَّلانِ مِن فِعلِ الإنسانِ نفسِه. أَمَّا السعادةُ فهي كرامةٌ قد وَهَبَ اللهُ تعالى عبادَه الصالِحِين مُقدِّماتِها ؛ فسلكُوا سبيلَ الطاعةِ تحصيلا لها. ولولا هذه الهِدايةُ الإلهيةُ لَمَا نال المؤمنُ هذه الكرامةَ التحصيليةَ بدَليلِ قولِه تعالى:﴿ **وما تَوفِيقي إِلَّا باللهِ**﴾ [هود/88].

ثالثًا: تقابلُ المعرفةِ والنكرة:

-التقابل بين (الحَسَنَةُ) و (سَيِّئَةٌ):

وردَ هذا النَّمَطُ المتنوِّعُ موَظَّفًا لمضمونِ تقابلٍ بينَ طرفَيهِ المُتضادَّينِ في قولِه تعالى: **(فإذا جاءَتهُمُ الحسَنةُ قالُوا لنا هذه وإنْ تُصِبْهُم سيئةٌ يَطَّيَّرُوا بمُوسَى ومَن مَّعَهُ أَلَا إنَّما طائِرُهُم عندَ اللهِ ولكِنَّ أَكثرَهُم لا يَعلَمُون)** [الاعراف/131].

يُطالعُنا في هذا النصِّ بتوظيفِ نَمَطِ التنوُّعِ التركيبيِّ تقابلٌ دَلاليٌّ مُتضادٌّ ذو فضاءاتٍ نفسيةٍ واضحةٍ لدى المتلقِي تنوَّعَ نظمُه بتقابلِ المعرفةِ مع النكرةِ في سياقِ أُسلوبٍ شرطيٍّ جرَى فيه تعليقُ الجَوابِ على الشرطِ تعليقًا لازمًا بينَ جملةِ الشرطِ (إذا جاءتهُمُ الحسَنةُ) ، وجوابِه (قالُوا لنا هذه) في التقابلِ الأَولِ لهذا النصِّ في الصورةِ الأُولى منه التي قامت على جملةِ الشرطِ (إنْ تُصِبْهُم سيئةٌ) ، وجوابِه (يَطَّيَّرُوا بمُوسَى ومَن معَه) ؛ فإن كان التقابلُ قد جاء واضحًا بين تركيبَين فعليَّين مرتبطَين هما (جاءتْهُم) ، و(تُصِبْهُم) شرطًا ، وتركيبَين فعليَّين مرتبطَين هما (قالُوا) ، و(يَطَّيَّرُوا) فإنه قد تنوَّعَت دَلالةُ هذه الأَفعالِ ؛ فهي متقابلةٌ من جهةٍ لكنَّها ليست مُتضادَّةً من جهةٍ أُخرى ؛ فالمجيءُ والإصابةُ حدَثَان حركِيانِ وأَثرَان واضحانِ نتيجةً فعليةً للسبَبَين المرتبطَين بهِما يُحدِّدُ دَلالةَ كلِّ تركيبٍ منهُما التقابلُ المتنوِّعُ بينَ (الحسَنةُ) ، و(سيِّئَةٌ).

وقد وقفَ عُلماءُ العربيةِ على حقيقةٍ راسخةٍ قِوامُها ((دِقةُ اختيارِ بعضِ الأَلفاظِ النفسيةِ من خِلالِ إشارتِهم إلى الفُروقِ الدقيقةِ بينَ دَلالتِها مستنِدين في ذلك إلى خصوصيةِ الاستعمالِ القرآنيِّ))[342].

فالحسنةُ مَطلوبةٌ يَجرِي التنافسُ لاغتنامِ فعلِها بما يُظهرُه الفاعلُ بصورةٍ مقبولةٍ قبولًا نفسيًّا آمِنًا ؛ فهي معروفةٌ لهذا التقابلِ. أَمَّا السيئةُ فتَرفُضُها النفسُ إبعادًا للتلَبُّسِ بها ، ويُنكِرُها من حَلَّت عليهِ ، ويُعيدُ أَسبابَها إلى غيرِه ؛ فهي مرفوضةٌ مُنكَرَةٌ كتَنكِيرِها في هذا التقابلِ.

ويرَى (د. صالح مُلا عزيز) في مَعرِضِ تحليلِهِ (أَلفاظَ لُغةِ البَثِّ الفنيِّ) أَنَّها ((تُوحِي بأَكثرَ مِن مدلولِها الظاهريِّ ، وتَنطوِي على جُملةٍ من المعاني الخفِيةِ التي تُعَدُّ مِقياسًا لتقديرِ قِيمةِ اللفظِ تتأثرُ بقَدْرِ ما يَمنحُهُ ذلك اللفظُ من إيحاءاتٍ خاصةٍ به؛ فكُلما كانت إيحائيةُ الكلمةِ عاليةً كانت قيمةُ تلك الكلمةِ عاليةً فنيًّا))[343].

فثنائيةُ التقابلِ الدالةُ على (الحسنَةُ) و(سيئةُ) قد جاءت مغايرةً للتعبيرِ التقابليِّ في سورةٍ أُخرى تضمنت قولَه تعالى: **(أَينَما تَكونُوا يُدْرِككُّمُ المَوتُ ولو كُنتُم في بُروجٍ مُشيَّدَةٍ وإِنْ تُصِبْهُم حسَنَةٌ يَقولُوا هذه مِن عندِ اللهِ وإِنْ تُصِبْهُم سَيئةٌ يَّقُولُوا هذه مِن عندِكَ قلْ كلٌّ مِن عندِ اللهِ فمَالِ هؤلاءِ القومِ لا يَكادُونَ يَفقهُونَ حديثًا)** [النساء/78].

قال (د. فاخر الياسري) في هذا المورِدِ: ((فأَنتَ تَلحَظُ في الأُسلوبِ القرآنيِّ أَنَّ كلَّ لفظةٍ وُضِعَتْ لتُؤَدِّيَ نصيبَها من المعنى أَقوى أَداءً ، وتَجِدُ أَيضًا أَنَّ كلَّ كلمةٍ أَو لفظةٍ في القرآنِ تحمِلُ معنًى جديدًا بينَ هذه الأَلفاظِ مِن تبايُنٍ وفُرُوقٍ في الدَّلالةِ ولِمَا يَبعَثُ بعضُها في النفسِ من إيحاءاتٍ خاصةٍ))[344].

---

(342) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني 136.

(343) المصدر نفسه 129. وينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني 251.

(344) خطرات في اللغة القرآنية 110-111.

وهذا بحقيقتِه يفصح عن أَن لكلِّ لفظةٍ في القرآن الكريم دَلالتَها ، ومعناها المغايرَ الذي تختصُّ به في ضوءِ سياقِها ؛ وهذا يبعثُ التأملَ والتدبرَ في النصِّ القرآنيِّ. ومن هذه الحقيقةِ يرى (د. ياد كار لطيف الشهرزودي) أَنَّ هذا النصَّ القرآنيَّ ((يُركِّزُ ... على التضادِّ بين الحسنةِ والسيئةِ ؛ ليُسلِّطَ الضوءَ على تداعياتٍ خطيرةٍ من حيثُ الموقفُ وردودُ الأَفعالِ التي تُصورُ الازدواجيةَ في سلوكياتِ فِرعونَ ومَلئِه))[345].

رابعًا: تقابلُ اسمُ المَوصولِ (الذينَ) ، و(أَلِ) التعريفيةِ لاستغراقِ الجِنس:

– التخصيصِ ، والتعميمِ:

وهو التقابلُ الذي نقرؤُهُ في قولِه تعالى: **(فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرسِلَ إِلَيهِم وَلَنَسْأَلَنَّ المُرسَلِينَ)** [الأَعراف/3].

في هذا النصِّ الكريمِ نجِدُ تقابلا دَلاليًّا مُتضادًّا مُتنوِّعًا نَمَطُهُ له رُكنانِ: الأَولُ قولُه تعالى: **(الذِينَ أُرسِلَ إِليهِم)** ، والآخَرُ **(المُرسَلِينَ)** ، وكلاهُما جاءَ مفعولا به لفِعلٍ موحَّدٍ هو قوله تعالى: **(لَنَسْأَلَنَّ)**.

أَمَّا الأَولُ فمؤلَّفٌ من اسمِ الموصُولِ (الذِينَ) وصِلتِه (أُرسِلَ إِليهم) وهو اسمٌ يُبيِّنُ خصوصيةَ جماعةٍ مُحدَّدةٍ مِن دُونِ غيرِهِم همُ (الناسُ) حصرًا ، وأَمَّا الآخَرُ فهو الاسمُ المنفرِدُ بصيغةِ جَمعِ المذكرِ (مُرسَلِينَ) المسبوقِ بـ(أَلِ) التعريفيةِ وهي أَداةُ تعميمٍ يُرادُ بها استِغراقُ أَفرادِ جِنسِ ما دخِلت عليه ، أَي (الأَنبياءُ المُرسَلُونَ) كلُّهُم عامةً ؛ فهو تنوُّعٌ قائمٌ على رُكنَينِ مؤلَّفِينِ من (تركيبٍ) ، و(كلمةٍ منفردةٍ).

وقد جاء الركنُ الأَولُ بتركيبٍ هو اسمُ المَوصولِ (الذِينَ) وصلتُه (أُرسِلَ إِليهِم) ، ولم يأتِ بلفظٍ منفرِدٍ هو (المُرسَلَ إِليهِم) ؛ ليكونَ مقابِلا مطابقًا بالشكلِ لكلمةِ (المُرسَلِينَ). وجاء

(345) جماليات التلقي في السرد القرآني 265.

الركنُ الآخَرُ (المُرسَلِينَ) بلفظٍ منفردٍ ، ولم يأتِ بتركيبٍ هو (الذِينَ أَرسَلْنا) ؛ ليكونَ مُقابِلا مطابقًا بالشكلِ لتركيبِ (الذِينَ أُرسِلَ إِليهِم) ؛ لِمَا لهذا النَّمَطِ بموردِه التقابليِّ من دَلالاتٍ إيحائيةٍ دَقيقةٍ بديعةٍ بمِصداقِ التخصيصِ المقصودِ تحديدًا لكُلِّ قَومٍ قد بُلِّغُوا رسالةَ السماءِ التشريعيةَ عن رَّسولِهمُ الذي عاصرَهم وعَرفُوه وسَمِعُوا منه.

ويرَى (أ.د. علي عبدالفتاح) أَنَّ هذا التخصيصَ ((إنما هو تخصيصٌ توثيقيٌّ يَشهَدُ به كلُّ قَومٍ على أَنفسِهم ، وتَظهرُ فيه الآثارُ النفسيةُ واضحةً بحسَبِ سِيرتِهم وعملِهم في الدنيا. وهذا لا يَتحصَّلُ لو كان التقابلُ واردًا بالتطابقِ الشَّكليِّ (المُرسَلَ إِليهِم). أَمَّا المقابِلُ الآخَرُ (المُرسَلِينَ) فلم يُقصَدْ به تخصيصُ مُرسَلِينَ بعينِهم من دونِ غيرِهم ؛ لذا لم يَقُلِ (الذِينَ أَرسَلْنا) ؛ لأَنَّ الرسالةَ السماويةَ واحدةٌ بأُصولِها وأَهدافِها وغاياتِها ، وأَنَّ المُرسَلِينَ باستِغراقِ أَفرادِهِم كلِّهِم (عليهمُ السلامُ أَجمعين) قد وُجِّهُوا توجيهًا واحدًا بعَهدٍ واحدٍ وإِن تعدَّدَتِ الأَزمنةُ والأَمكِنةُ. وفي هذا أَثرٌ نفسيٌّ يُوثَّقُ انتصارَ المُرسَلِينَ بحسَبِ تكليفِهِمُ الشرعيِّ الحقِّ الذي يُفضِي إِلى آثارٍ نفسيةٍ آمِنَةٍ مُطمَئِنَّةٍ))[346].

وفي هذا التقابلِ المتنوِّعِ يرَى (الزمخشريُّ) أَنَّ النصَّ القرآنيَّ الكريمَ يتضمنُ موضوعَ السؤالِ وقد أُريدَ به تقريعُ الأُممِ التي خالفَت بلاغَ السماءِ ، ولم تستجِبْ شعوبُها لأَوامرِ الرسُلِ وإرشاداتِهم وإِصلاحاتِهم[347]. وهذه حقيقةٌ موضوعيةٌ يُفصِحُ عنها التقابلُ أَينما ورَدَ بمِصداقِ ((أَنَّ ظاهرةَ التقابلِ ترتبِطُ ارتباطًا وثيقًا بجنسَينِ رئيسَيَّينِ من الجمَالِ هما الانسجامُ ، والاختلافُ))[348].

---

(346) مدونةٌ حواريةٌ علميةٌ مع (أ.د. علي عبدالفتاح – كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل) بتاريخ 6/ 7/ 2025.

(347) الكشاف2:502.

(348) التقابل الدَّلالي: دراسة نظرية تطبيقية في سورة النساء ، د. نوال بنت إبراهيم 173.

المبحثُ الثالثُ/ نمطُ التقابلِ الجزئيِّ:

أَقصِدُ بالتقابلِ الجزئي – في ضوءِ عنوانِ هذه الرسالةِ – التقابلَ المعقودَ بينَ كلمتَينِ منفردتَينِ متقابلتَينِ متضادَّتَينِ في مَوردٍ واحدٍ في نصَّين متوالِيَينِ تطابقتْ فيهما هاتانِ الكلمتانِ تطابقًا تامًّا ، واختلفَتَا بحركةٍ واحدةٍ (مُصوِّتٍ) على حرفٍ واحدٍ متماثلٍ بينَهما ، أَو بصَوتٍ واحدٍ(حرفٍ واحدٍ) من أَصواتِها. وتَصفُ الباحثةُ هذا الصوتَ المختلفَ بالجُزءِ الذي أَدَّى إلى هذا التقابلِ المتضادِّ نتيجةَ تقابلٍ مِن (حرَكةٍ ، أَو حرفٍ) مُعيَّنَينِ مختلفَينِ من هاتَينِ الكَلِمتَين.

وهذا النمطُ التقابليُّ الجُزئيُّ يُقابلُ النمطَ التقابليَّ الكليَّ الذي يَغلِبُ استعمالُه غَلَبَةً كبيرةً جدًّا في القرآنِ الكريمِ وسِواهُ.

والتقابلُ الكُليُّ الذي أَقصِدُهُ هنا في رسالتِي هذه هو التقابلُ الذي يقومُ على التضادِّ بينَ كلمتَينِ كاملتَينِ مختلِفتَينِ تمامًا ، أَو بينَ تركيبَينِ كاملَين ، أَو بينَ نصَّينِ كاملَين ، وهو التقابلُ الذي انتظمَهُ الفصلانِ الأَولُ والثاني ، والمبحثانِ الأَولُ والثاني من الفصلِ الثالثِ هذا من هذه الرسالة.

إنَّ الشاهدَ القرآنيَّ الفَردَ الذي يتضمنُ صوتًا فَرْدًا إنما هو شاهدٌ يقومُ برأسِهِ نمطًا لُغويًا ذا دَلالةٍ مُختصَّةٍ ولا يُؤثرُ في انفرادِه موردًا كثرةُ الأَنماطِ التي ترِدُ في مواضعِها القرآنية. ومن ذلك قولُه تعالى: **(وهُم يَصْطَرِخُونَ فيها ربَّنا اخرِجْنا نَعمَلْ صالِحًا غيرَ الذي كُنَّا نَعمَلُ ....)** [فاطر/37].

فهذا نصٌّ قرآنيٌّ تفرَّدَ بذِكرِ كلمةِ (يَصْطَرِخُونَ) التي لم تَرِدْ إلا في هذا الموضعِ القرآنيِّ وقد تفرَّدت هي بتركيبِها الصوتيِّ المقصودِ لدَلالةٍ بعينِها قال عنها (د. تمام حسَّان): ((فكأنَّ ارتفاعَ أَصواتِهم بالصُّراخِ ومشاركتَهم جميعًا فيه تَكرارُ ذلك منهُم لا يَكفي أَن يُعبَّرَ عنه بالفعلِ المجرَّدِ فيُقالَ مثلا: ((وَهُم يَصرُخُونَ فيها)) فجاءت (تاءُ) الافتعالِ لتدُلَّ على المبالغةِ في إيقاعِ الحدَثِ ، وقد قُصِدَ لها أَن تُجاوِرَ (الصادَ) المُطبَقَةَ فتتحولَ بالمجاورةِ إلى التفخيمِ ليكونَ في تفخيمِها فضلُ مبالغةٍ في إيقاعِ الفِعل))[(349)].

إنه تآلُفُ أَصواتٍ ناسبَ وَقعُها حالَ هؤلاءِ المُعذَّبين النفسيةَ ، وأَجواءَ مآلِهم ؛ ((فالصرخاتُ القويةُ التي يُفيدها لفظ (يَصْطَرِخُونَ) صورةٌ جلِيةٌ لنفسٍ تتألمُ من شِدةِ العذابِ الأَليمِ. وجاء بناءُ لفظةِ (يَصْطَرِخُونَ) بـ(الطاءِ) بعدَ (الصادِ) المطبقتَينِ ثم (الخاءِ) المستعلِيةِ الحَلْقيةِ للدَّلالةِ على تلك الأَصواتِ الخَشِنةِ الغليظةِ التي تنفجِرُ بها حَناجرُ أُولئكَ الكفارِ من شدةِ ما تُعانيهِ نفوسُهُم مِن آلامِ العذابِ السعيرِ. مُقابلَ ذلك الصُّراخِ الشديدِ والضجيجِ الحادِّ يَرسُمُ القرآنُ موقفًا آخرَ يَملَؤُهُ الصمتُ الرهيبُ الذي اقتضاهُ القَرْعُ والرَّوْعُ الشديدُ والترقبُ لأَمرٍ جَلَلٍ معَ الخضوعِ التامِّ للمَلِكِ الدَّيانِ **(يَومَئِذٍ يتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لهُ وخَشَعَتِ الأَصواتُ للرَّحمنِ فلا تَسْمَعُ إلَّا هَمْسًا)** [طه/108] خُفِضَتِ الأَصواتُ وخَشَعَت فلا تَسمَعُ إلَّا هَمهمَةً وتحريكًا للشفتَين هَمْسًا لأَنَّ الخوفَ استبدَّ بمجامِعِ القلوبِ))[(350)].

إنَّ للدَّلالةِ الصوتيةِ أَبعادًا نفسيةً عند المُتلقِي ، وهذا ما أَبانَ له (د. عادل عباس النصراويُّ) بقولِه: ((إنَّ اجتِماعَ هذه الخصائصِ المتمثِّلةِ بالدَّلالةِ الصوتيةِ والإيقاعِ الداخليِّ

---

(349) البيان في روائع القرآن 204:1.

(350) الصوت والدلالة في القرآن الكريم ، كاملي بشير 169-170.

والموسيقى يُمكنُ أَن نتلمَّسَ منه المعنى الدقيقَ في الآيةِ القرآنيةِ بسببٍ من التلاؤُمِ والاتحادِ بينَ هذه المفرداتِ بتناسقٍ فنيٍّ رائعٍ ؛ فهو تصويرٌ بالصوتِ والحركةِ الفعليةِ ، وتصويرٌ بالنَّغَمِ إذ إنَّ النسقَ الصوتيَّ الذي يُحدِثُه النظامُ الذي يَسيرُ فيه يُعَدُّ مُوجِّهًا لفِكرِ المتلقي نحوَ الحدثِ وتحتَ تأثيرِ الإيقاعِ الموسيقيِّ راسمًا له صورةً تنسجِمُ والحدثَ المعروضَ))[351].

وفي إطارِ هذا البيانِ الدَّلاليِّ النفسيِّ للأَصواتِ ذهب (د. لطفي فكرى الجودي) إلى أَنه ((إذا كان الخطابُ القرآنيُّ قدِ اعتنَى باختيارِ الأَصواتِ الدقيقةِ المناسبةِ للأَحوالِ الدَّلاليةِ المختلفةِ فذلك راجعٌ لما تتمتَّعُ به الأَصواتُ والحروفُ من حرارةٍ وتوهُّجٍ يُضِيءُ المعنى المرادَ ؛ فكانت كلُّ كلمةٍ بما تتألفُ به من أَصواتٍ مناسبةً لصُورتِها الذهنيةِ ؛ فما كان يَستَلِذُّ السمعَ ويَستميلُ النفسَ فحظُّهُ مِن الأَصواتِ الرِّقَّةُ والعُذُوبةُ ، وما كان يُخيفُها ويُزعِجُها فحظُّهُ مِن الأَصواتِ الشدَّةُ. وهذا التناسبُ الصوتيُّ بينَ اللفظِ والمعنَى وسيلةٌ سياقيةٌ مِن وسائلِ تنبيهِ مشاعرِ الإنسانِ الباطنةِ واستثارةِ المعاني النفسيةِ المناسبةِ للمَوقفِ الخارجي))[352].

ومِن ثُنائِياتِ التقابلِ الجُزئيِّ الواردةِ بهذا النَّمَطِ القائمِ على التضادِّ الدَّلاليِّ بالتضادِّ الصوتيِّ وإيحاءاتِه النفسيةِ ما يأتي:

أَولًا/ التقابلُ بينَ المُنذِرين ، والمنذَرِين (التقابلُ بالحركة):

وقد ورَدَ في قولِه تعالى: **(ولقَدْ أَرسَلْنا فِيهِم مُنذِرِينَ ، فانظُرْ كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُنذَرِينَ)** [الصافات/72-73].

انتظَمَتْ هاتانِ الآيتانِ الكريمتانِ نمَطًا متنوِّعًا ضمَّ تقابُلا دَلالِيًّا مُتضادًا قائمًا على لفظٍ مفرَدٍ واحدٍ مُتطابقٍ بالشكلِ معَ لفظٍ مُقابلٍ له مُختلِفٍ معَه بمُصَوتٍ واحدٍ (حرَكةٍ واحدةٍ) على

(351) الأَنساق الدلالية للصوت اللغوي بحوث تطبيقية في القرآن الكريم 13.
(352) جمالية الخطاب في النص القرآني 174.

حرفٍ واحدٍ متماثلٍ في اللفظَينِ كلَيهِما ؛ إذ وقعَ التقابلُ فيهِما بينَ (مُنذِرِينَ) ، و(المنذَرِينَ) ، وكلاهُما جمعُ مذكرٍ وقعَ الأَولُ منهما مفعولًا به للفعل (أَرسَلَ) ، ووقعَ الآخَرُ مضافًا إلى (عاقبةُ).

إنَّ المرادَ بكلمةِ (مُنذِرِينَ) بكَسْرِ (الذالِ) الأَنبياءُ والرسُلُ (عليهمُ السلامُ). وهو اسمُ فاعلٍ مِن الفِعلِ (أَنذَرَ) ؛ جاء إفصاحًا عن أَبعادِ الرحمةِ الإلهيةِ والهدايةِ الربانيةِ التي منّ اللهُ تعالى بها على الناسِ أَجمعِين قِوامُها أَنه سبحانَه لا يُحاسِبُ خَلْقَهُ إلَّا بعدَ إلقاءِ الحُجةِ عليهِم وابتِلائِهِم بدليلِ قولِه تعالى: (**... وما كُنَّا مُعذِّبِينَ حتَّى نَبعَثَ رَسُولًا**) [الإسراء/15].

ولبيانِ أَثَرِ الحركةِ في دَلالةِ الحرفِ ، وأَثَرِ الحرفِ وصوتِه في دَلالةِ الكلمة يقول (د. عبدالصبور شاهين/ ت2010م): ((ولعلَّ أَفضلَ ما يُصوِّرُ عِلاقةَ الصوامتِ بالحرَكاتِ في بِنيَةِ الكلمةِ أَن نقولَ: إنَّ الصوامِتَ هي مادةُ الكلمةِ الثابتةِ تَحمِلُ المعنى الأَصليَّ الذي تَدُلُّ عليها بمجموعِها ، وإنَّ الحركاتِ تُشَخِّصُ المعنى حينَ تُبرِزُهُ في وَضعٍ مُعيَّنٍ ؛ فهي التي تَستقِلُّ بتوجيهِ الدَّلالةِ إلى حيثُ يُريدُ المتكلمُ؛ فإذا أَرادَ وصفًا للفاعلِ استخدَمَ مِن الحرَكاتِ ما يُؤدِّي معناهُ ، وإذا أَرادَ اسمَ مَفعولٍ فإنَّ له حركاتِهِ الخاصةَ))[353].

فهذه صورةٌ من صُورِ الرحمةِ الإلهيةِ التي تُلقِي بفُيوضِها النفسيةِ المُطَمْئِنَةِ والهاديةِ المُرشدةِ على الناسِ.

وقد جاءت هذه الكلمةُ (مُنذِرِينَ) نكرةً لتشمَلَ الأَنبياءَ والمرسلِينَ (عليهمُ السلامُ) كلَّهم بهذا الإرسالِ مِن دُونِ تخصيصِ أَحدِهِم ، أَو جماعةٍ معينةٍ مِنهُم ما يُوثِّقُ أَنَّ الرسالةَ السماويةَ واحدةٌ ، وأَنَّ دِينَها (الإسلامَ) واحدٌ وإن تعدَّدت شرائِعُها وتباينَت أَزمنتُها وأَمكنتُها. وحدَّد هذه الدَّلالةَ الشموليةَ للأَنبياءِ والمرسلِينَ (عليهمُ السلامُ) مُصوِّتٌ واحدٌ هو (الكسرةِ) تحتَ حرفِ (الذالِ) ، وهي أَصغرُ جزءٍ في هذه الكلمةِ أَدَّى هذه الدَّلالةَ ؛ ((فالصوتُ في

(353) المنهج الصوتي للبِنية العربية 44– 45.

البِناءِ التركيبي لأَلفاظِ القرآنِ يُعَدُّ كاشِفًا فعَّالاً عن مدَى فعاليةِ التعبيرِ فيَزدادُ الصوتُ قوةً وشدةً في السياقِ الذي يتطلَّبُ ذلك))[354].

أَمَّا الركنُ المقابلُ وهو (المُنذَرِينَ) بفَتحِ (الذالِ) فيُرادُ بهِ الناسُ الذين اختَصَّهُمُ اللهُ تعالى بأَحَدِ أَنبيائِه أَو رسُلِه ، وهو جمعُ مذكرٍ أَيضًا وردَ بصِيغةِ اسمِ مَفعولٍ من الفعلِ (أُنذِرَ) وقَعَ مُضافًا إليه بعدَ المُضافِ (عاقِبةُ) التي تدُلُّ على النتيجةِ النهائيةِ التي يَستحقُّها كلُّ مَن يُبَلَّغُ بالرسالةِ السماويةِ والهِدايةِ الإلهيةِ ولا يَمتثِلُ لها إنقاذًا لنفسِه ؛ فينالُ الأَثَرَ المترتِّبَ من هذا الإعراضِ في نفسِه إذ إنه ((مِمَّا لا شَكَّ فيه أَنَّ التقابلَ ما بينَ الأَلفاظِ أَو ما بينَ المعاني مِن وجوهِ الترابطِ التي تترُكُ أَثرًا في النفسِ))[355].

إنَّ هذا المورِدَ الصوتيَّ واللفظيَّ والتركيبيَّ يَكشِفُ عنِ الأَبعادِ النفسيةِ التي يكونُ عليها من يُخالِفُ الإرادةَ الإلهيةَ ، ويَعصِي أَوامرَ الرُّسُلِ والأَنبياءِ ؛ فالعاقبةُ وخيمةٌ ، والحِسابُ عسيرٌ ، والعقابُ حتميٌّ. وهو الفَهمُ الذي ذهبَ إليهِ الباحثُ (عمار عبدالأَمير السلاميُّ) بقولِه: ((فاللغةُ التصويريةُ بما توظِّفُهُ من جَرْسِ الأَلفاظِ وبعضِ الظِّلالِ والدَّلالاتِ تُهيِّئُ المتلقِّي ذِهنيًّا وتصويريًّا للدخولِ إلى مِنطقةِ الصُّورةِ الفنيةِ في السياقِ والتأثيرِ فيهِ بطريقةٍ فنيةٍ تجعلُهُ يَندمِجُ مع ما يَعرِضُ له ، ويَتخيَّلُ الصورةَ حيَّةً حاضرةً مؤثِّرةً))[356].

وهذا رادعٌ للنفسِ الأَمَّارةِ بالسُّوءِ وهادٍ لها بالاعتبارِ والطاعةِ والإذعانِ. وقد جاءت كلمةُ (المُنذَرِينَ) مُعرَّفةً بـ(أَل) لأَنهم مَعرفُونَ ومَعنيُّونَ ومُحدَّدُونَ ؛ فهُمُ الناسُ الذينَ وثَّقَ القرآنُ عِنادَهُم واعتراضَهُم على الأَنبياءِ (عليهِمُ السلامُ) لا سِواهُم في كُلِّ وقتٍ ، وفي كلِّ مكانٍ.

ويرى (د. عبدالقادر عبدالجليل) أَنَّ هذا الجزءَ الصوتيَّ الصغيرَ ((يشكّل [في] التنظيم الفونولوجي للغة العربية وحدة متكاملة تخضع لمجموعة من القوانين والأنظمة الصوتية والدلالية ، وتنشأ هذه من تجاور الأصوات ومواقعها وإمكانية تواجدها في المقاطع وكذلك من

---

(354) أَثر التماثل الصوتي في التوازن الإيقاعي ، د. فائزة محمد المشهداني 276.

(355) البعد الترابطي في القرآن الكريم دراسة تفسيرية 96.

(356) بنائية الصورة القرآنية 311.

قابليتها للتحقيق والإظهار والتداخل في التراكيب اللغوية اثناء قيامها الفعلي بوظائفها ومهماتها وقد تؤدي تلك إلى دلالات تتطابق أو تختلف وهي في كل هذا وذاك تسير وفق نظام متناسق لا تتعارض فيه هذه الأصوات))[357].

ثانيًا/ التقابلُ بينَ اليُسرِ ، والعُسر (التقابلُ بالحرفِ):

وقد ورَدَ في قولِه تعالى: (... **يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ ولا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ ولِتُكْمِلُوا العِدَّةَ ولِتُكَبِّرُوا اللهِ علَى ما هدَاكُم ولعلَّكُم تَشكُرُونَ**) [البقرة/185].

في هذا النصِّ الكريمِ تقابَلَ لفظان متطابقان وزنًا ونُطقًا ومَظهرًا ، واختلَفا في صوتٍ واحدٍ في كلِّ واحدٍ منهُما هو (الياءُ) في (اليُسْرَ) ، و(العَينُ) في (العُسْرَ). وقد أَدَّى كلٌّ مِن هذينِ الصوتَينِ أَثَرَه الدَّلاليَّ المائزَ في كلٍّ منهما ما جعَلَ الكلمتَين متقابلتَين متضادَّتَين دَلاليًّا.

وفي هذا المورِدِ قال (الزمخْشَرِيُّ): إنَّ اللهَ تعالى ((يُيسِّرُ علَيكُم ، ولا يُعَسِّرُ ، وقد نفَى عنكُمُ الحرَجَ في الدِّينِ ، وأَمرَكُم بالحَنِيفيةِ السَّمْحَةِ التي لا إِصْرَ فيها))[358].

فاليُسرُ هو الذي يُريدُه اللهُ سبحانَه لعبادِه حُبًّا بهم ، وتخفيفًا عنهُم ، وتسهيلًا لشؤُونِهم وأُمورِهم ومُتطلباتِهم وما يَجِبُ علَيهم ؛ فهذا تيسيرٌ في التكليفِ يُلقِي بظِلالِه النفسيةِ الآمنةِ المُطَمئِنَةِ على العبادِ ؛ فيُقبِلُونَ على عبادةِ ربِّهِم طائعِين مُحبِّينَ شاكرين.

ولا يُريدُ اللهُ لعبادِه خِلافَ ذلك من تَصعيبٍ أَو إِثقالٍ أَو فرضٍ لا يَقوَى علَيه العبدُ ، أَو حقٍّ لا يَنالُه قَطُّ ؛ فلو كان هذا مُرادًا ومفروضًا ؛ لأَلقَى بظِلالٍ نفسيةٍ خانقةٍ على العبادِ من شدةٍ ، ومشقَّةٍ حاشَ للهِ أَن تكونَ فرضًا على مَن خلقَهم ، وكرَّمَهم ، ويسَّرَ لهم ، وكلَّفَهُم ما

---

(357) علم الصرف الصوتي 96. وينظر: الدَّلالة النفسية في الخطاب القرآني ، رياض علي حسين 59 .

(358) الكشاف 207:1.

يُطيقُون فيقول (عبد الله الجيوسي/ ت2011م): ((إنَّ مِن الحروفِ ما هو لَيِّنٌ هادئُ الجَرْسِ يكونُ دَورُهُ النفْسيُّ مَبعَثَ الارتياحِ ، ومنها ما هو قويٌّ يُناسبُ مواقفَ الزجرِ والتعنيفِ ، ومنها مناسبةٌ مواطنَ النُّصحِ والإرشادِ))[359].

وقد ناسَبَ صوتُ (الياءِ) الهَيِّنُ نُطقًا ، السهلُ إظهارًا التيسيرَ الذي أَرادَه اللهُ لِعبادِه ؛ لذلك جاء هذا الصوتُ مائزًا لكلمةِ (اليُسْرَ) مُنساقًا معَ دَلالتِها. أَمَّا (العَينُ) وهو الجُزءُ المُقابلُ المُضادُّ في كلمةِ (العُسْرَ) فنُطقُهُ يتطلَّبُ جُهدًا أَو ضغطًا يَنقطِعُ به النفَسُ ، وتُنقبِضُ فيه عضَلاتُ الحُنْجَرَةِ ، ويَضِيقُ به تجويفُها ؛ لذا ناسَبَ صوتُ (العَينِ) دَلالةُ (العُسْرَ) التي تدُلُّ على الصعوبةِ والشدةِ التي لا يَقوَى الإنسانُ على تحمُّلِها ؛ وهذا ما لا يُريدُه اللهُ لعبادِه.

وفي هذا ((يَظهَرُ تقابلُ دَلاليٌّ متضادٌّ بينَ (اليُسْرِ ، والعُسْرِ). وبعدَ مقارنةِ البِنيَةِ الصوتيةِ للكلمتَين نجد أَن لا فرقَ بينَهما من الناحيةِ الصوتيةِ إلَّا في حرفَي (ع ، ي). و(العَينُ) من الحروفِ الحَلْقيةِ والاحتكاكيةِ. ومعلومٌ أَنَّ الحروفَ الحَلْقيةَ مِن أَصعبِ الحُروفِ نُطقًا خاصةً إذا أَضفْنا سِمَةَ الاحتكاكِ الناجمةِ عن ضغطٍ وانقباضٍ في التجويفِ الحلقيِّ. وهذا يتناسبُ معَ دَلالةِ الكلمةِ التي تدُلُّ على الصعوبةِ والمَشقةِ والضِّيقِ ، في حِينِ تمتازُ (الياءُ) بسُهولةٍ في النطقِ ، وقد صنَّفها علماءُ الأَصواتِ ضمنَ أَصواتِ اللينِ والسهولةِ واليُسرِ. يتميَّزُ نطقُها باتساعٍ في مَجرَى الهواءِ أَكثرَ من غيرِها من سائرِ الصوامِتِ بحيثُ لو زادَ الاتساعُ قليلًا لدَخَلنا منطقةَ الصوائتِ. ويَسمحُ هذا الاتساعُ بمرورِ الهواءِ بيُسرٍ وسهولة))[360].

وبالمحصِّلةِ فإنَّ صوتَ (العينِ) يَكشِفُ لنا هذا عن تأثيرٍ نفسيٍّ عميقٍ في مَوردِهِ هذا ؛ فهي ((لخُروجِها من أَقصَى الحَلْقِ تَصلُحُ للتعبيرِ عمَّا بعُدَ غورُهُ ، وتَعمَّقَ أَثَرُهُ))[361].

---

(359) التعبير القرآني والدَّلالة النفسية 244. وينظر: الدَّلالة النفسية في الخطاب القرآني 59.

(360) الصوت والدلالة في القرآن الكريم 202–203.

(361) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني 258.

ثالثًا/ التقابلُ بينَ حَشْرِ المُتَّقِين ، وسَوْقِ المُجرِمِينَ (التقابلُ بالحرفِ):

ورد هذا التقابلُ في قولِه تعالى: **(يَومَ نَحْشُرُ المُتَّقِينَ إلى الرَّحمَنِ وَفْدًا ، ونَسُوقُ المُجرِمِينَ إلى جَهَنَّمَ وِرْدًا)** [مريم/ 85-86].

تَقابَلَ في هذينِ النصَّينِ لفظانِ مُتضادَّانِ دَلاليًّا تقابُلًا وتضادًّا ناشِئَينِ من جزءٍ واحدٍ في كلٍّ منهُما اختلَفَ عن نظيرِه في الكلمةِ المُقابلةِ بحركةٍ وصَوتٍ ، وهذا الجُزءُ هو صوتُ (الفاءِ) في كلمةِ (وَفْدًا) ، وصوتُ (الرَّاءِ) في كلمةِ (وِرْدًا) وهما أُسُّ التقابُلِ والتضادِّ. أَمَّا الحركةُ المختلفةُ على كلٍّ من هذينِ الجُزْءَينِ فهي (الفتحةُ) على (الواوِ) في (وَفْدًا) ، و(الكَسرةُ) تحتَ (الرَّاءِ) في (وِرْدًا). وهما حركتانِ لا تأثيرَ لهما دَلاليًّا في كلٍّ منهما وإنِ اختلفتا ؛ فالتأثيرُ مُتحَصَّلٌ مِنَ الصوتَينِ المذكورَينِ (الفاءِ ، والرَّاءِ).

يقولُ (د. عبدالكريم مجاهد) في أَثرِ الصوتِ في الكلمةِ دَلاليًّا: ((فأَمَّا الدَّلالةُ الصوتيةُ المُطَّرِدَةُ فالتي تَعتمِدُ على تغييرِ مواقعِ الفُونِيماتِ أَي باستخدامِ المقابلاتِ الاستبداليةِ بينَ الأَلفاظِ حتى يَحدُثَ تعديلٌ أَو تغييرٌ في معاني هذه الأَلفاظِ ؛ لأَنَّ كلَّ فُونيمٍ مُقابلٍ استبداليٍّ لآخرَ فتَغيُّرُهُ أَوِ استبدالُهُ بغيرِهِ لا بُدَّ أَن يعقُبَهُ اختلافٌ في المعنى كما نقولُ في العربيةِ (نَفَرَ ، ونَفَذَ) ؛ فبمُجرَّدِ استبدالِ (الراءِ) بـ(الذالِ) يتغيَّرُ معنى الكلمتَينِ بصورةٍ آليةٍ ، وهذا ما يُسمِّيهِ فيرْث (الوظيفةَ الصوتيةَ الصُّغرَى أَوِ القاصرةَ) مُقابلَ الوظائفِ الكُبرَى))[362].

إنَّ التقابلَ المتضادَّ بالجُزءِ الصوتيِّ استعمالٌ لُغويٌّ ذو أَثَرٍ دَلاليٍّ مَقصودٍ وواضحٌ ؛ لذا ذهبَ (ابنُ جني) إلى أَنَّ ((مقابلةَ الأَلفاظِ بما يُشاكِلُ أَصواتَها مِنَ الأَحداثِ ... بابٌ عظيمٌ واسعٌ ، ونَهجٌ مُتْلَئِبٌّ عندَ عارِفِيهِ مَأمُومٌ ؛ وذلك أَنهم كثيرًا ما يَجعلُونَ أَصواتَ الحُرُوفِ علَى

(362) الدلالة اللغوية عند العرب 166.

سَمْتِ الأَحداثِ المُعَبَّرِ عنها فيُعَدِّلُونَها ويَحتذُونَها، وذلك أَكثرُ ممَّا نُقدِّرُهُ ، وأَضعافُ ما نَستَشعِرُه ؛ مِن ذلك قولُهم: قَضَمَ، وخَضَمَ))[363].

ولهذا التقابلِ دَلالةٌ نفسيةٌ مُطمْئِنَةٌ بأَنَّ المآبَ سيكونُ ضمنَ ثُلَّةٍ كريمةٍ من المُتَّقِينَ يُستَقبَلُونَ مُكرَّمِينَ كالوَفدِ الذي يُقبِلُ مجتمِعًا على محورٍ واحدٍ من أَساسٍ واحدٍ إلى مقصَدٍ واحدٍ لهدفٍ واحدٍ ؛ فيتحصَّلُ للإنسانِ أَن يسلُكَ في حياتِه الدنيا سبيلَ الهُدى لتحقيقِ التقوَى التي ستُهيِّئُهُ لهذا الإقبالِ الوافدِ تكريمًا يومَ الحشرِ وذلك بالترغيبِ والتحبيبِ في السعْيِ إلى مَرضاةِ اللهِ بما يُظهِرُه قولُه تعالى: (**يَومَ نَحْشُرُ المُتَّقِينَ إلى الرَّحمَنِ وَفْدًا**). وله دَلالةٌ نفسيةٌ أُخرى مُقابلةٌ مُنذِرةٌ قارعةٌ مُرعبةٌ تُنذِرُ صنفًا آخَرَ من الناسِ قدِ اتخذُوا سبيلَ الإجرامِ في حياتِهِمُ الدنيا ؛ فبيَّنَ لهُمُ الخالقُ القاهرُ مآلَهُم يومَ الحسابِ بأَنَّهم سيُساقُونَ سَوقَ الإبِلِ العَطْشَى التي لا تَقوَى على السيرِ بنفسِها بل يسُوقُها سائقُها إلى ما يُريدُ لها بحقيقةِ (**ونَسُوقُ المُجرِمِينَ إلى جَهَنَّمَ وِرْدًا**) ، وأَيُّ مَساقٍ هو بهذا السَّوقِ الرادعِ الذي وَجَبَ نتيجةَ تِيهٍ كانُوا عليه في دارِ ابتلائِهِم ؛ فحَقَّ هذا المساقُ عاقبةً لكلٍّ من ابتعَدَ عنِ السعيِ إلى اللهِ تعالى. وهو القارعُ جَرْسَ الأَلمِ في أَنفُسِ المُجرِمين.

يرَى (حازم القرطاجنيُّ/ ت684هـ) في هذا الصدَدِ ((أَنَّ للنفسِ في تقارُبِ المتماثِلاتِ وتشافُعِها والمُتشابِهاتِ والمتضادَّاتِ وما جرَى مُجرَاها تحريكًا وإيلاعًا بالانفعالِ إلى مقتضَى الكلامِ ؛ لأَنَّ تناظرَ الحِسِّ في المُستحسِنَينِ المتماثِلَينِ والمتشابهَينِ أَمكنُ في النفسِ موقعًا مِن سُنُوحِ ذلك في شيءٍ واحدٍ. وكذلك حالُ القبيحِ وما كان أَملكَ للنفسِ وأَمكَنَ منها فهو أَشدُّ تحريكًا لها. وكذلك مُثُولُ الحَسَنِ إزاءَ القبيحِ))[364].

---

(363) الخصائص ، تح: محمد علي النجار 157:2. وينظر: المزهر ، السيوطي ، تح: محمد أَحمد جادالمولى وزميلاه 50:1.

(364) منهاج البلغاء ، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة 44.

مما مرَّ يَضِحُ أَنَّ كلمةَ (وَفْدًا) قد دَلَّت بوضوحٍ على مجيءِ كريمٍ لجمعٍ مُترابطٍ مِن الناسِ متمسِّكِينَ بمنهجٍ واحدٍ وهدفٍ واحدٍ كما ذُكِر سابقًا. وقدِ انتظَمَت هذه الكلمةُ صوتَ (الفاءِ) وهو من الأَصواتِ المهموسةِ مُقابِلا لصَوتِ (الراءِ) في كلمةِ (وِرْدًا) وهو من الأَصواتِ المَجهُورةِ المتكررةِ تَردَادًا[365] ؛ فلهذا التباينِ والتضادِّ أَثَرٌ دَلاليٌّ في سياقِ النصِّ القرآنيِّ ، وله أَبعادٌ نفسيةٌ أُخرى منها التدبُّرُ والموعظةُ في بيانِ عاقبةِ كلِّ مجموعةٍ.

وثمة تساؤُلٌ قد أَثارَهُ الشيخُ (ناصر مكارم الشيرازيُّ) فيما يختصُّ ذِكرَ (جهنَّمَ) مساقًا للمُجرِمِينَ ، وعدمَ ذِكرِ ما يُقابلُها وهو (الجَنَّةُ) مَحشَرًا للمُتَّقِينَ ؛ فقال: ((أَلَم يَكُنْ من المناسبِ أَن يُقالَ: (الجَنَّةِ) هنا بدَلَ (الرحمنِ) ؟))[366] ؛ فأَجابَ عنه بقولِه: ((إِنَّ هذا التعبيرَ – في الحقيقةِ – يُشيرُ إِلى نُكتَةٍ مهمَّةٍ وهي أَنَّ المتَّقِينَ يَحصُلُونَ على ما هو أَسمَى من الجَنَّةِ ؛ فهم يَقتربُون من اللهِ وتجلِّياتِه الخالصةِ ، ويُدرِكُونَ رضاه الذي هو أَسمَى وأَغلَى من الجَنَّةِ ... ثمّ تقولُ [الآيةُ] في المقابلِ: (**ونَسُوقُ المُجرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْدًا**) كما تُساقُ الإِبلُ العَطْشَى إِلى مَحَلِّ الماءِ إِلا أَنَّه لا ماءَ هناكَ بل نارُ جهنَّمَ. ينبغي الالتفاتُ إِلى كلمةِ (وِرْدًا) تعنِي مجموعةً من البشَرِ أَوِ الحيَواناتِ التي تَرِدُ المياهَ. ولَمَّا كان هؤلاءِ الجماعةُ عطَاشَى حتمًا فإِنَّ المفسرينَ فسَّرُوا هذا التعبيرَ هنا بأَنهم يَرِدُونها عَطاشَى))[367].

ولهذا جاء التعبير القرآني مُعبِّرًا وذا أَثرٍ دَلاليٍّ كبيرٍ في هاتَينِ الكلمتَينِ المتقابلتَينِ اللتينِ اتفقتا بثلاثةِ أَصواتٍ ، واختلفَتَا بصوتٍ واحدٍ كان له بيانٌ دَلاليٌّ مُنساقٌ مع دَلالةِ سِياقِهِ العامِّ ؛ فـ((إِنَّ هذا التأثيرَ للصوتِ ليس سببُه ما تضمَّنَهُ من معنى بل سببُه ذلك

---

(365) ينظر: الأَصوات اللغوية وظواهرها عند الجاربردي ، مصطفى عبدكاظم الحسناوي 86.

(366) الأَمثل 8 :89–90.

(367) الأَمثل 8 :89–90. وينظر: التعابير القرآنية في مشاهد يوم القيامة دراسة دلالية جمالية، د. ابتسام مرهون الصفار 241.

التناسبُ والانسجامُ بينَ الأَصواتِ والمقاطعِ ، وتآلُفُها في إيقاعٍ عَذْبٍ تُدرِكُهُ حاسةُ السمعِ المُرهفَةِ ، ويَنفُذُ إلى أَعماقِ النفسِ البشريةِ ؛ فتَنتُجُ عنه حالةٌ نفسيةٌ))[368].

ومن الدَّلالاتِ التقابُليةِ التي أَفادها هذا النصُّ الكريمُ أَنه عَرَضَ ما سيكونُ عليهِ المؤمنون المتَّقُونَ يومَ الحسابِ ؛ فهُم ((قادمون على الرحمنِ وَفْدًا في كرامةٍ وحُسنِ استقبالٍ ... وأَمَّا المُجرمونَ فمُساقُونَ إلى نارِ جهنَّمَ كما تُساقُ القُطعانُ))[369].

رابعًا/ التقابلُ بينَ السَّرَّاءِ ، والضَّرَّاءِ (التقابلُ بالحرفِ):

قال تعالى: (**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والكاظِمِينَ الغَيْظَ والعافِينَ عَنِ النَّاسِ واللهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ**) [آل عمران/134].

يَكشِفُ هذا النصُّ القرآنيُّ الكريمُ عن تقابلٍ دَلاليٍّ مُتطابقٍ وزنًا ونُطقًا انتظَمَهُ لفظانِ متضادَّانِ دَلالةً ، مُتطابقانِ غالبًا بأَحرُفِهما ، مختلفانِ بصَوتٍ واحدٍ منها هو (السِّينُ) في (السَّرَّاءِ) ، و(الضادُ) في (الضَّرَّاءِ). وقد أَدَّى كلٌّ منهما في موردِه اللفظيِّ أَثَرًا دَلاليًّا متناسقًا معَ دَلالةِ الكلمةِ ؛ فـ(((السِّينُ) حرفٌ صفيريٌّ مهموسٌ مُرقَّقٌ ... و...(الضادُ) حرفٌ مَجهورٌ مُطبَقٌ مُستَعْلٍ مُفَخَّمٌ))[370].

---

(368) الصوت والدلالة في القرآن الكريم 176.

(369) التفسير المُيَسَّر ، نخبة من أَساتذة التفسير 296:5، وينظر: مختصر تفسير البغوي اختصار وتعليق: د. عبدالله الزيد 96:5 ، وفي ظلال القرآن 2320.

(370) علم الأَصوات العام ، د . بسّام بركة 115-123. وينظر: المدخل إلى علم أَصوات اللغة العربية ، د. غانم قدوري الحمد 102، وعلم الأَصوات اللغوية ، د. مناف مهدي الموسوي 49-50.

ولهذا التقابل الجُزئيِّ المتضادِّ صوتيًّا أَثرٌ نفسيٌّ عندَ المتلقِّي بيَّنَ جانبًا منه (د. حسن ظاظا) من تذوُّقِ (التفخيمِ ، والترقيقِ) بما عرَضَ له بقولِه: ((والصوتُ الإنسانيُّ يَرِنُّ داخلَ أَعضاءِ النطقِ ؛ فإذا ضاق حَيْزُ الرَّنينِ – أَي صَغُرَ حجمُ الفَراغِ الهوائيِّ الذي يَرِنُّ فيه الصوتُ – جاء الحرفُ مُرقَّقًا أَو مُنخَفِضًا ، أَمَّا إذا اتَّسَعَتِ التجاويفُ وكَبُرَ حجمُ الفراغِ الهوائيَّ ؛ فإنَّ الحرفَ يُسمَعُ مُفَخَّمًا أَو مُستَعلِيًا))[371].

ويُفصِحُ سِياقُ هذا النصِّ القرآنيِّ عن بُعدٍ نفسيٍّ آخرَ هو الترغيبُ بعَطاءِ اللهِ؛ فالعفوُ، والتسامحُ ، وكَظمُ الغيظِ ، ورَدُّ الإساءةِ بإحسانٍ كلُّها أَعمالٌ تُقرِّبُ العبدَ إلى اللهِ ؛ وبهذا تكونُ النتيجةُ رضا اللهِ تعالى ، وحُبَّه عبدَه ((إنَّ القرآنَ الكريمَ بما يتضمنُهُ مِن إعجازٍ في تراكيبِه اللغويةِ ليست في طوقِ البشرِ إنَّما جَمَعَ بينَ المعاني اللغويةِ للأَلفاظِ في قوالبِها وأَشكالِها وضوابطِها وحقائقِها وبينَ المعاني الضمنيةِ في دَلالاتِها النفْسيةِ وإثارتِها للمشاعرِ والأَحاسيسِ ووُصولِها بالقارئِ إلى حالاتِ الامتاعِ والارتياحِ من حيثُ مُعايشتُهُ للأَلفاظِ وما وراءَ تلك الأَلفاظِ من مَضامينَ))[372].

---

(371) كلام العرب من قضايا اللغة العربية 9. وينظر: أَثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبِنْية ، علي عبدالله علي القرني 30.

(372) علم النفس اللغوي ، د. نوال محمد عطية 100.

خاتمةٌ ونتائجُ

عن كلِّ جُهدٍ علميٍّ يَقضِي لـه الباحثُ سنةً أَو يَزيدُ من المتابعةِ العلميةِ التحقيقيةِ الجَمْعيةِ – التنظيميةِ الحثيثةِ تَتحصَّلُ لائحةٌ يَعرِضُها الباحثُ خُلاصةً موجزةً عن هذا الجُهدِ ؛ ليُقدِّمَها دَليلَ إنجازٍ من جهةٍ ، ومَعقِدَ خِدمةٍ ونفعٍ للمكتبةِ العامةِ والخاصةِ من جهةٍ ثانيةٍ ، ومنارَ تجديدٍ في الموضوعِ المختصِّ من جهةٍ ثالثةٍ. وقد تحصَّل لي من شرفِ هذا الرحلةِ المعرفيةِ الساميةِ في حضرةِ القرآنِ الكريمِ المُقدَّسةِ ، وفي رِحابِ خَدَمتِهِ من كتبٍ تفسيريةٍ وقرآنيةٍ ولُغويةٍ قديمةٍ وحديثةٍ ، ومن رسائلَ وبُحوثٍ، وآراءٍ تدوينيةٍ مباشرةٍ ما أَعرِضُ له بالنتائجِ الآتيةِ:

1- إنَّ وَصفَ اللّٰهِ تعالى نفسَه بأَنَّه **(ليس كمِثلِهِ شيءٌ)** [الشورى/١١] يأخُذُ بنا إلى اليقينِ الراسخِ بأَنَّ كلامَه سبحانَه ليس كمِثلِهِ شيءٌ ؛ والنتيجةُ المستوحاةُ من هذه الحقيقةِ أَنَّ لكلٍّ منَّا حدًّا معرفيًّا في تدبُّرِ كلامِهِ المُعجِزِ نتمكنُ به من خدمةِ النصِّ القرآنيِّ تكامُلا معَ الخَدَماتِ المعرفيةِ والعلميةِ التي يتمكنُ منها الباحثون الآخَرون.

2- إنَّ التدبُّرَ في النصِّ القرإنيِّ دَعوةٌ إلهيةٌ يُصدِّقُها قولُه تعالى: **(أَفلا يتدبَّرُونَ القرآنَ أَم على قلوبٍ أَقفالُها)** [محمد/٢٤] ، وهو تدبُّرٌ لا يَقِفُ عندَ أَحَدٍ ، ولا في زمانٍ مُحدَّدٍ ، ومكانٍ مُعيَّنٍ ؛ لذا تشرَّفتُ عن تحصيلٍ معرفيٍّ مؤَهِّلٍ أَن أَدَّبَّرَ لتوثيقِ ما يَخدُمُ النصَّ القرآنيَّ عن جانبِه المعنيِّ بتهذيبِ النفسِ.

3- إنَّ التقابلَ الدَّلاليَّ المُتضادَّ واحدٌ مِن حلَقَاتِ السلسلةِ القرآنيةِ الوَضَّاءةِ قد أَخذَت مكانَها بلاغًا لُغويًّا ذا تأثيرٍ نفسيٍّ لا يَحُلُّ أُسلوبٌ أَو نمَطٌ مَحَّلَهُ ، ولـه ميادينُـهُ اللغويـةُ وصُورُهُ النَّظْميةُ التي تَعرِضُ القصدَ وسيلةً وغايةً.

4- تحصَّلَت لموضوعِ رسالتي (الدَّلالـةُ النفسيةُ للتقابُلِ فـي النصِّ القرآنـيِّ) مكانـةٌ رئيسـةٌ فـي لائحـةِ البحثِ العلميِّ العالي استنادًا إلـى قولِـه تعالى: **(سَنُرِيهِم آياتِنـا فـي الآفـاقِ وفـي أَنفُسِهِم حتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحقُّ أَوَلَم يَكْفِ برَبِّكَ أَنَّهُ على كُلِّ شيءٍ شهيدٌ)** [فصلت/٥٣] ؛ فالنفسُ الإنسانيةُ وثيقةُ بُرهانِ الوجودِ الإلهيِّ ، وحالُها بين التأثُّرِ والتأثيرِ وسيلةُ هذا البُرهان ، وهي القوةُ المُدرِكةُ التي يتحرَّكُ الإنسانُ في حياتِه وَفْقَ تفاعلاتِها واستجاباتِها.

5- إنَّ اللغةَ القرآنيةَ وسيلةٌ بنَظمِها وأَساليبِها ودَلالاتِها وتأثيرِها غايتُها الأَساسُ هدايةُ الإنسانُ تكريمًا ، وغايتُها الكُبرى تأهيلُه نفسيًّا لعبادةِ الخالقِ الواحدِ الأَحَدِ ؛ فجاءت بأَساليبَ منها التقابلُ المتضادُّ الذي يُثبِتُ حقيقةَ وجودِ الحقِ الذي يجبُ اتِّباعُه ولا يُعرَفُ إلا بوجودِ نقيضِه الباطلِ الذي يُضادُّهُ ويجبُ اجتِنابُه.

6- لن تَقِفَ الدراسةُ البحثيةُ التحقيقيةُ عند حدٍّ في الدراسةِ اللغويةِ في ظلِّ الأَبعادِ النفسيةِ التي تحتاجُها المكتبةُ الفِكريةُ بل تستمِرُّ بلا انقطاعٍ ؛ لأَنَّ المعرفةَ التحليليةَ للنظْمِ اللغويِّ تختلفُ من باحثٍ إلى آخَر. وهذه حقيقةٌ تجعلُنا نُجيلُ الفِكرَ بلا انقطاعٍ تدَبُّرًا في دلالةِ نَظمِ التقابلِ اللغويِّ القرآنيِّ المُتضادِّ أُرجِّحُ أَنَّ عملي في رسالتي هذه قد قام على الصوابِ فيها ، وجاء به في أَفصُلِها ومباحثِها وفِقْراتِها ونتائجِها.

7- إنَّ المعرفةَ التي ثَبَتَ تحصيلُها بَدْهِيًّا تُغني عن عَرضِ موضوعاتِها لغويًّا واصطلاحيًّا إلا ما جاء بالإشارةِ العامةِ اللازمةِ ، أَو عندما تَمَسِّ الحاجةُ جدًّا لها ؛ لذا لم أُثقِلْ هذه الرسالةَ بمعارِضِ الدَّلالاتِ اللغويةِ والمعنويةِ ، واكتفَيتُ بإيجازٍ غيرِ مُخِلٍّ منها في بعضِ المواضعِ عندَ اللزومِ ومتطلباتِ المَقال.

8- إنَّ التقابلَ الدَّلاليَّ نَسَقٌ بلاغيٌّ جماليٌّ يستلزِمُ طرفَينِ واجبَي الذِّكرِ ، مُتضادَّيَ المعنَى لا يُغني ذكرُ أَحدِهما عن الآخَر.

9- إنَّ التقابلَ اللغويَّ المُتضادَّ قائمٌ طرفَينِ يُرغَّبُ في أَحدِهما تبشيرًا بمُعطياتِه ، ويُرغَّبُ عنِ الآخَرِ تحذيرًا من عواقبِه تَنتظِمُه الأَساليبُ اللغويـةُ المعروفـةُ كالاستفهامِ والشرطِ والنفيِ

والتوكيدِ ، ويَقومُ على الصورِ الفنيةِ البلاغيةِ المتنوعةِ كالحِجاجِ والتشبيهِ والكنايةِ والتَّكرارِ ، ويُوَظَّفُ في مواردِ الخِطابِ العَقَدِيِّ والشرعيِّ والاجتماعيِّ وسوى هذا من الأَساليبِ والتراكيبِ والصورِ البلاغيةِ والمواردِ الموضوعية.

10- يَكشِفُ التقابلُ اللغويُّ الدَّلاليُّ المُتضادُّ مدى التأثيرِ الأَقوَى لأَحدِ طرفَيهِ في المُتلقِّي إزاءَ ضَعفِ تأثيرِ الطرفِ الآخَرِ. وهو من أَبلَغِ مُعطياتِ البحثِ في هذا الموضوعِ.

11- يأخُذُ التقابلُ اللغويُّ المُتضادُّ تراكيبَ متنوعةً لا تجعلُ مواردَه مُصفَّدةً بنمَطٍ واحدٍ، أَو صورةٍ محددةٍ ، أَو تركيبٍ خاصٍّ ثابتٍ ، بل يأتي كيفما شاء المُتكلِّمُ إيرادَهُ قائمًا على طرفَيهِ المتقابلَينِ المُتضادَّينِ دَلاليًّا.

12- لا يقتصِرُ البحثُ في ميدانِ التقابلِ اللغويِّ المُتضادِّ دَلاليًّا على ميدانٍ لُغوِيٍّ من دونِ آخَرَ بل مَساحتُهُ اللغةُ بمستوياتِها كلِّها ، ومراتبِ نُصوصِها كافةً ، وفنونِ قولِها ، وأَحوالِها ، ومَقاماتِها. ويأتي قائمًا على أَصغرِ وَحدةٍ لُغويةٍ هي الصوتُ الأَصغرُ (الحركةُ) ؛ فيقومُ على حركتَينِ متقابلتَينِ ، وعلى حرفَينِ متقابلَين كقيامِه على لفظَينِ متقابلَينِ ، وعلى تركيبَينِ متقابلَينِ ، وهكذا.

13- إنَّ الاستعمالَ الدَّلاليَّ للكلمةِ في النصِّ القرآنيِّ يقومُ على إرادةِ دَلالتِها الرئيسةِ هي وما تُوحيهِ من دَلالاتٍ فرعيةٍ ، لا على إرادةِ معنًى آخَرَ بها من دونِ معناها هي ولو كان المُرادُ المعنى الآخَرُ تحديدًا من دونِ معناها الرئيسِ لاستُعملَتِ الكلمةُ الأُخرى نفسُها بمعناها الرئيسِ كـ(هل) في قولِه تعالى: **(هَل يَستوي الأَعمى والبَصيرُ)** [الأَنعام/٥٠] ؛ فالمدارُ الرئيسُ استفهامٌ مع إيحاءِ النفيِ سياقيًّا ، لا أَنها سيقَت لدَلالةِ النفيِ الخالصِ فقط. ولو كان المُرادُ النفيُ لاستُعمِلَت (ما) في هذا المحلِّ، لا (هل).

14- يُظهِرُ التقابلُ اللغويُّ المُتضادُّ في النصِّ القرآنيِّ مكنونَ النفسِ لدى المُخاطَبِ حصرًا بيانًا لحقيقةِ منهجِه ، وطبيعةِ سلوكِه ، ومَدى تأَثُّرِه لأَنه مخلوقٌ ذو شعُورٍ تأَثُّريٍّ ، واستجابةٍ متباينةٍ. أَمَّا المُتكلِّمُ / المُخاطِبُ (المُلقِي) وهو اللهُ تعالى فلا يَجري عليهِ من استنتاجٍ نفسيٍّ ما يجري استنباطًا على الإنسانِ لأَنه **(ليس كمِثلِهِ شيءٌ)** علاوةً على أَنه تعالى يُبيِّنُ لنا سَعَةَ رحمتِه ، وعظَمةَ لُطفِه بخَلقِه من كلِّ تقابلٍ جاء لبيانِ صفاتِه ، وأَحكامِه ، وأَوامرِه ، ونواهيهِ مَساقَ تهذيبِ النفسِ الإنسانية.

15- لا يَقتصِرُ موردُ التقابلِ اللغويِّ المُتضادِّ على تركيبَينِ مستقلَّينِ بل يأتي في التركيبِ الواحدِ نفسِه في موردٍ ، ويأتي بين طرفَينِ مزدوجَيِ التقابلِ في موردٍ ثانٍ ، وبين طرفَينِ أَحدُهما مزدوجُ التقابلِ إزاءَ الطرفِ الآخَرِ المقابلِ المنفردِ في موردٍ ثالثٍ، وبينَ طرفَينِ مُتداخلَيِ الدَّلالةِ في موردٍ رابعٍ ، وبينَ أَكثرَ من طرفَينِ في موردٍ خامسٍ.

16- يأتي التقابلُ اللغويُّ المُتضادُّ بين طرفَينِ متَّفِقَينِ نظمًا وتركيبًا ، أَو مختلفَينِ نظمًا وتركيبًا ؛ فلا اقتصارَ له على موردِ تطابُقِ طرفَيهِ بالنَّظمِ والتركيب فقط.

17- يَزيدُ التقابلُ اللغويُّ المُتضادُّ دَلاليًّا في نفسِ المتلقِّي عُمقًا كبيرًا في التفكيرِ يتحصَّلُ من عقدِ الموازنةِ بين ما يُكَرَّهُ إليهِ من السلبياتِ وما يُحَبَّبُهُ إليهِ من الإيجابيات. ولوِ اقتصرَ العرضُ على طرفٍ واحدٍ من دونِ مُقابلِهِ المُضادِّ لَمَا تحصَّل هذا التأثيرُ بعُمقِهِ الكبير.

18- ما قررهُ (الزَّركَشِيُّ) من عدمِ جوازِ جعلِ الجوابِ الواحدِ لشرطَينِ متعاقبَينِ سبقاهُ، أَو لقَسَمٍ وشَرطٍ تعاقبَا والسبْقُ لأَحدِهما بأَخذِ الجوابِ من دونِ الآخَرِ فيه نظرٌ؛ فالجوابُ لأَحدِهما يُغني عن تَكرارِ الجوابِ نفسِه للآخَرِ من جهةٍ علاوةً على ورودِ أَكثرَ من جوابٍ لشرطٍ واحدٍ بحسبِ المبنَى ودَلالتِه.

19- يَكشِفُ التقابلُ اللغويُّ المُتضادُّ عن حركةٍ حِسِّيةٍ تتجلَّى من النصِّ القرآنيِّ الذي يَنتظِمُهُ بما يُفصِحُ عنه من دَلالاتٍ تُقرَأُ وتُتذَوَّقُ.

20- لتحقيقِ التأثيرِ البالغِ في نفسِ المتلقِّي ترغيبًا في الخيرِ وترهيبًا بالشرِّ يتواشَجُ التقابلُ اللغويُّ المُتضادُّ مع مستوى المورِدِ الأُسلوبيِّ الذي يأتي عليه ؛ فيكونُ له تأثيرُه المختصُّ الذي لا يُمكنُ تحقيقُه بغيرِ هذا التواشُج.

21- يُؤكدُ موردَ التقابلِ اللغويِّ المُتضادِّ الواحدِ موردٌ آخَرُ أَو مواردُ أُخَرُ تُشبِهُهُ نَظمًا أَو دَلالةً عامةً بالتقابلِ العامِّ نفسِه ولكن بسياقاتٍ وتراكيبَ جديدةٍ تُفصِحُ عن دَلالاتٍ جديدةٍ تُبيِّنُ أَهميةَ هذا التقابلِ والتركيزِ في لزومِ لفتِ النظرِ إليه استرشادًا.

22- ثمةَ تواشُجٌ وثيقٌ بينَ الدراساتِ اللغويةِ الاجتماعيةِ والدراساتِ اللغويةِ النفسيةِ قِوامُها الفردُ والمجتمعُ ؛ لأَنَّ المجتمعَ كيانُ أَفرادٍ مجتمِعِين لكلٍّ منهم نفْسٌ لها غرائزُها ومتطلباتُها وتأثُّرُها وتأثيرُها مادام الحوارُ وسيلةَ تلاقيهِم ، وأَساليبُه اللغويةُ – ومنها التقابلُ المتضادُّ – سبيلَ هذا الحوارِ.

23- لا يُوجدُ تكرارٌ في النصِّ القرآنيِّ بلا دَلالةٍ جديدةٍ يَتضمَّنُها اللفظُ أَوِ التركيبُ أَوِ النصُّ المُكرَّرُ. ومن مصاديقِ هذه الحقيقةِ الدَّلاليةِ البيِّنةِ ما يَنتظِمُهُ التقابلُ اللغويُّ المُتضادُّ من تكراراتٍ ذاتِ بيانٍ دَلاليٍّ يختلِفُ بخصوصيتِه عمَّا سبَقه أَو يَلحقُهُ مِن شبيهٍ له بالنَّظم.

24- مِثلَما أَنَّ لسياقِ النصِّ أَثرًا في بيانِ دَلالةِ التقابلِ اللغويِّ المُتضادِّ ؛ فإِنَّ لجوِّ السورةِ العامِّ ارتباطًا وثيقًا ببيانِ هذ الأَثرِ ، وتَمكينِه في نفسِ المُتلقِّي.

25- إِنَّ للتقابلِ اللغويِّ المُتضادِّ خاصةً بطرَفِي المقابلةِ فيه وتعاقُبِهما وترتيبِهما ، وللتركيبِ اللغويِّ القرآنيِّ عامةً كذلك قَصديةً في تتبُّعِ المنظومةِ النفسيةِ للإِنسانِ فتتجلَّى فضاءاتُها بهذا التقابلِ وهذا التركيبِ. وليس مِن دَلالةٍ تَبِينُ مِن نظمٍ مُعَيَّنٍ في مستوًى لغويٍّ خارجَ النصِّ القرآنيِّ يُمكِنُ أَن تُعرَفَ ونَظمُها بغيرِ هذه القصديةِ الإِثرائية.

26- إِنَّ التنوُّعَ اللفظيَّ لمواردِ التقابلِ اللغويِّ المُتضادِّ تُوثقُ سَعَةَ استعمالِه ، وقدرتَه على انتظامِ الموضوعاتِ ، ومِكْنتَهُ الدَّلاليةَ الإِيحائيةَ التي لا تَبِينُ بسواه.

27- للتقابلِ اللغويِّ المُتضادِّ تناسقٌ وتماسُكٌ ترتبطُ به أَلفاظُ كلِّ طرَفٍ فيه بمعنًى مختصٍّ لارتباطٍ عامٍّ وثيقٍ بين طرفَيهِ الرئيسَينِ أَو أَطرافِه العديدةِ ما يجعلُ استعمالَه لبيانِ العمقِ النفسيِّ المُستخلَصِ من نظمِه واحدًا من الوسائلِ الدَّلاليةِ الرئيسةِ لفَهمِ مضمونِ النص.

28- إِنَّ استنباطَ الأَبعادِ النفسيةِ ، وبيانَ آثارِها الدَّلاليةِ في المُتلقِّي (المُخاطَبِ) من نظمِ التقابلِ اللغويِّ المُتضادِّ من الدراساتِ التي تحتاجُها المكتبةُ اللغويةُ احتياجًا لازمًا لِمَا له من صِلةٍ وُثقَى ببيانِ حاجةِ النفسِ الإِنسانيةِ إِلى الهدايةِ والإِرشادِ ترغيبًا ، والحمايةِ والتحذير ترهيبًا.

29- يُؤسِفُني – وهو لازمٌ من بابِ الأَمانةِ العلميةِ – أَنَّ بعضَ الباحثين يَذكرونَ رأيًا أَوِ استنتاجًا ، أَومقترَحًا في كتبِهِم ، أَو أَبحاثِهم وكأَنَّهُم قدِ اجتهدُوا للتفرِّدِ بذِكرِه وهو في الواقعِ جهدُ غيرِهم ، واستنتاجٌ وحقٌّ لسِواهم من الباحثين. وقد وثَّقتُ ما ثبتَ لي من ذلك في مواضعِه من رسالتي هذه إِنصافًا لأَصحابِها.

30- لا نتيجةَ تعلُو على (الغِنَى الفِكريِّ) الذي تحصَّلتُ عليه شخصيًّا مِن رحلةِ السُّمُوِّ المعرفيِّ الفُضلَى في فضاءاتِ الدَّلالةِ القرآنيةِ التي عِشتُ – وما أَزالُ – في رِفعةِ كراماتِها ، وغزارةِ مُعطياتِها في ظلِّ قراءاتي المتواصلةِ بحثًا وتدقيقًا وتحقيقًا واكتشافًا

واستنتاجًا لمواردِ التقابلِ اللغويِّ المُتضادِّ دَلاليًّا ؛ وهي النتيجةُ التي أَثمرَت نتائجَ يَفيدُ منها الباحثون جميعًا في الميدانِ اللغويِّ ، والقرآنيِّ على حدٍّ سواءٍ.

روافِدُ الرِّسالةِ

الكُتُبُ المطبوعةُ:

. **القرآنُ الكريمُ.**

1. آفاق في العربية ، أ.د. رجاء عجيل الحسناوي ، ط1 ، مكتبة العلامة ابن فهد الحِلِّي ، كربلاء المقدسة/ 1438هـ -2017م.
2. الإحالة في القرآن الكريم ، د. عباس علي الأَوسي ، ط1 ، دار الرضوان للنشر والتوزيع ، عَمَّان/ 1435هـ - 2014م.
3. أَدوات التشبيه ودَلالتها واستعمالاتها في القرآن الكريم ، د. محمود موسى حمدان ، ط1 ، مطبعة الأَماني ، مصر/ 1413هـ - 1992م.
4. أَساليب الإقناع في القرآن الكريم ، د. معتصم بابكر مصطفى ، ط1 ، وزارة الأَوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر/ 1424هـ - 2003م.
5. أَساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأَسرارها البلاغية ، يوسف عبدالله الأَنصاري ، إشراف: أ.د. صبَّاح عبيد دراز ، كلية اللغة العربية ، جامعة أُم القرى ، السعودية/ 1410هـ - 1990م.
6. أَسئلة بيانية في القرآن الكريم ، د. فاضل صالح السامرائي ، ط1 ، مكتبة الصحابة - الإمارات ومكتبة التابعين - القاهرة/ 1429هـ - 2008م.
7. أَسرار البلاغة ، عبدالقاهر الجرجاني (ت471هـ) أَو (474هـ) ، تح: هـ.ريتر، استنبول/ 1954م.
8. أَسرار التشابه الأُسلوبي في القرآن الكريم ، د. شلتاغ عبود ، ط1 ، دار المحجة البيضاء ، بيروت/ 1424هـ - 2003م.
9. أَسرار التَّكرار في القرآن المُسمَّى البرهان في توجيه متشابِه القرآن لما فيه من الحُجة والبيان ، تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت 505 هـ) تح: عبدالقادر

أَحمد عطا ، مراجعة: أَحمد عبدالتواب عوض ، ط2، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة/ 1977م.
10. أَسرار العربية ، أَبوالبركات الأَنباري (ت 577هـ) ، تح: محمد بهجة البيطار مطبعة الترقي ، دمشق/ 1377هـ - 1957م.
11. الإسلام وعلم الاجتماع ، د. محمود البستاني ، ط1 ،مجمع البحوث الإسلامية ، بيروت/ 1414هـ - 1994م.
12. أُسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضُه - إعرابُه ، عبدالكريم محمود يوسف ط1 ، مطبعة الشام ، دمشق/ 1421هـ - 2000م.
13. أُسلوب الردع في القرآن الكريم ، د. عبدالله أَحمد حسين الزيوت ، ط1 ، جمعية المحافظة على القرآن الكريم ، عمَّان/ 2015م.
14. أُسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المَكية ، د. مثنى كاظم صادق ، ط1 ، كلمة للنشر والتوزيع ، لبنان/ 1436هـ - 2015م.
15. الأَصوات اللغوية وظواهرها عند الجاربردي في شرحه على شافية ابن الحاجب مصطفى عبدكاظم الحسناوي ، ط1 ، دار صفاء للنشر والتوزيع- عمَّان ومؤسسة دار الصادق الثقافية- العراق/ 1433هـ - 2012م.
16. أُصول الكافي ، أَبوجعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت 329هـ) ، مؤسسة دار الكتب الإسلامية ، طهران/ 1365هـ.ش.
17. الأُصول في النحو، أَبوبكر بنُ سهلٍ السراج (ت 316هـ) ، تح: د. عبدالحسين الفتلي، ط3، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت/1417هـ- 1996م.
18. الإعجاز البلاغي في استخدام الفعل المبني للمجهول ، د. محمد السيد موسى ، كلية الآداب - جامعة المنصورة (د.ت).
19. الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، محمد حسين سلامة ، دار الآفاق العربية ، ط1 ، القاهرة/ 1423هـ - 2002م.
20. الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم دراسة وتطبيق ، محمد السيد موسى ، ط1 ، مكتبة الإيمان ، المنصورة/ 1427هـ - 2006م.
21. إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ، د. صلاح عبدالفتاح الخالدي ، ط1 ، دار عمار ، عمَّان/ 1421هـ - 2000م.

22. الإعجاز القرآني في النص التشريعي قراءة في المبنى والمعنى ، د. سيروان عبدالزهرة الجنابي ، ط1 ، دار الأَمير (عليه السلام) ، النجف الأَشرف/ 1436هـ – 2015م.
23. الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، محمود السيد حسن مصطفى ، ط1 ، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة/ 1981م.
24. أَمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) ، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسويّ (ت 436 هـ) ، تح: محمد أَبوالفضل إِبراهيم ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت/ 1387 هـ–1967م.
25. الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزَل ، العلامة الفقيه المفسر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ط1 ، منشورات مؤسسة الأَعلمي للمطبوعات ، بيروت/ 1428هـ–2007م.
26. (إنْ) و(إذَا) الشرطيتان عند النحويين والبلاغيين والمفسرين وباحثين معاصرين دراسة لغوية نقدية ، د. قيس إِسماعيل محمود الأَوسي ، ط1 ، دار المصادر للطباعة والنشر ، بغداد/ 2024م.
27. الانتصار للقرآن ، القاضي أَبوبكر ابن الطيِّب الباقلاني (ت 403هـ) ، تح: د. محمد عصام القضاة ، ط1 ، دار الفتح للنشر والتوزيع – عمَّان ودار ابن حزم للنشر والتوزيع – بيروت/ 1422هـ – 2001م.
28. الأَنساق الدلالية للصوت اللغوي بحوث تطبيقية في القرآن الكريم ، د. عادل عباس النصراوي ، ط1 ، تموز للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق/ 2016م.
29. أَهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ، د. عبدالله محمود شحاتة ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة/ 1976م.
30. الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين محمَّد بن عبدالرحمن القزوينيُّ الخطيب (ت 739هـ) ،ـ تقديم: د . عليّ بومِلْحِم ، ط2 ، منشورات دار ومكتبة الهلال بيروت/ 1991م .
31. البحر المحيط في التفسير، أَبوحيَّان محمد بن يوسف بن حيَّان الأَندلسي (ت 745هـ) ، عناية: صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت/ 1413 هـ – 1992 م .
32. بداية البلاغة ، د. السيد إِبراهيم الديباجي ، تهران/ 1391هـ.

33. بداية الحكمة ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت1981م) ، شرح وتحقيق: الشيخ محمد مهدي أَسيري المؤمن ، ط2 ، مؤسسة زين العابدين الثقافية ، قم/1421هـ.
34. البرهان في علوم القرآن ، بدرالدين محمد بن عبدالله الزَّركَشِي (ت 794هـ) ، تح: محمد أَبوالفضل إِبراهيم ، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت/1391هـ – 1972م.
35. البعد الترابطي في القرآن الكريم دراسة تفسيرية ، د. إِقبال وافي نجم ، ط1 ، دار الوارث للطباعة والنشر ، كربلاء المقدسة – الأَمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة/ 1436هـ – 2015م.
36. بلاغة الاقناع في المناظرة ، د. عبداللطيف عادل ، ط1 ، منشورات ضفاف ، بيروت/ 1434هـ – 2013م.
37. البلاغة العربية أُسسها ، وعلومها ، وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد ، عبدالرحمن حسن حَبَنَّكَة الميداني ، ط1 ، دار القلم–دمشق والدار الشامية–بيروت/1416هـ – 1996م.
38. بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أُسلوبية ، د. عفَّت الشرقاوي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت/ 1981م.
39. بِنائية الصورة القرآنية ، عمار عبدالأَمير راضي السلامي ، العتبة العلَوية المقدسة ، النجف الأَشرف/2012م.
40. البُنَى التقابلية خرائط جديدة لتحليل الخطاب ، د. محمد بازِّي ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمَّان / 2015م.
41. بيان النظم في القرآن الكريم ، محمد فاروق الزين ، ط1 ، المطبعة العلمية ، دمشق/ 1424هـ – 2003م.
42. البيان في تفسير القرآن ، السيد أَبوالقاسم الخوئي (ت 1992م) ، مطبعة العمال المركزية ، بغداد/ 1410هـ – 1989م.
43. البيان في روائع القرآن ، د. تمَّام حسَّان ، ط2 ، عالم الكتب ، القاهرة/ 1420هـ – 2000م.

44. التبيان في تفسير القرآن ، أَبوجعفر محمَّد بن الحسن الطوسيُّ (ت 460 هـ) ، تح: أَحمد شوقي الأَمين وأَحمد حبيب قصير العاملي ، المطبعة العلمية ، ومطبعة النعمان ، النجف الأَشرف/ 1957م.
45. تجديد المنهج في تقويم التراث ، د. طه عبدالرحمن ، ط2 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء/ 1414هـ – 1993م.
46. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أَبي الإصبَع المصري (ت 654هـ) ، تح: د. حفني محمد شرف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة (د.ت).
47. التحرير والتنوير ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت 1973م) ، الدار التونسية للنشر ، تونس/ 1984م.
48. التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ط17 ، دار الشروق ، القاهرة/ 1425هـ – 2004م.
49. التصوير المجازي أَنماطه ودلالاته في مشاهد القيامة في القرآن ، د. إِياد عبدالودود عثمان الحمداني ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد/ 2004م.
50. التصوير الملون ، عبدالفتاح رياض ، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية/ 1998م.
51. التعابير القرآنية في مشاهد يوم القيامة ، دراسة دلالية جمالية ، د. ابتسام مرهون الصفار ، ط1 ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمَّان/ 1433هـ – 2012م.
52. التعبير القرآني ، د . فاضل صالح السامرائي ، شركة العاتك لصناعة الكتاب ، القاهرة/ 2009م.
53. التعبير القرآني والدَّلالة النفسية ، د. عبدالله محمد الجيوسي ، ط1 ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ، دمشق/ 1426هـ – 2006م.
54. التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجانيّ (ت 816 هـ) ، تح: إِبراهيم الأَبياريّ ، دار الكتاب العربي ،. بيروت/ 1423هـ – 2002م .
55. تفسير أَبي السُّعود المُسمَّى إِرشاد العقل السليم إِلى مزايا القرآن الكريم ، أَبوالسعود محمّد بن محمّد العماديّ (ت 951هـ) ، ط4 ، دار إِحياء التراث العربيّ ./ بيروت 1414هـ – 1994م.

56. تفسير الصافي ، محمد الفيض الكاشاني ، تصحيح: الشيخ حسين الأَعلمي ، ط1، مؤسسة الهادي ، مكتبة الصدر ، طهران/ 1416هـ.
57. تفسير العياشي ، محمد بن مسعود العياشي (ت320هـ) ، المطبعة العلمية ، طهران/1380هـ.
58. تفسير القمي ، أَبوالحسن علي بن إبراهيم القمي ، تصحيح: السيد طيب الموسوي الجزائري ، ط3 ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، قم – إيران/ 1404هـ.
59. التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت/1970م.
60. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، فخرالدين محمّد بن عمر التميمي البكري الرازي (ت 604هـ) ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت/ 1421هـ – 2000م .
61. التفسير المُيَسَّر ، نخبة من أَساتذة التفسير ، ط2 ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية/ ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
62. تفسير كنز الدقائق ، الميرزا محمد المشهدي بن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي (ت/1125هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المشرفة/ 1407هـ.
63. تفسير نور الثَّقْلَين ، العلامة الخبير والمحدث النحرير الشيخ عبدعلي بن جمعة العروسي الحويزي (قُدِّسَ سِرُّه / ت1112هـ) ، تح: السيد علي عاشور ، ط1 مؤسسة التاريخ العربي، بيروت (د.ت).
64. التقابل الجمالي في النص القرآني ، د. حسين جمعة ، ط1 ، دار النمير ، دمشق/ 2005م.
65. التقابل الحِجاجي في الخطاب القرآني، ئه فين سعيد عبدالعزيز ، ط1 ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمَّان/ 1446هـ – 2024م.
66. تقريب القرآن إلى الأَذهان ، السيد محمد الحسيني الشيرازي ، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، بيروت/ 1424هـ – 2003م.
67. التكرير بين المثير والتأثير ، د. عزالدِّين علي السيد ، ط2 ، عالم الكتب ، بيروت/ 1407هـ – 1986م.
68. التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي ، أَحمد أَبوزيد ، منشورات كلية الآداب بالرباط ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء/ 1992م.

69. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الرماني (ت 384هـ) والخطَّابي (ت 388هـ) وعبدالقاهر الجرجاني (ت471هـ أَو 474هـ) ، تح: محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام ، ط3 ، دار المعارف ، مصر/ 1976م.
70. جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني ، صالح ملا عزيز ، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا/2010م.
71. جماليات التلقي في السرد القرآني ، د. يادكار لطيف الشهرزوري ، ط1 ، دار الزمان ، دمشق/ 2010م.
72. جمالية الخطاب في النص القرآني قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين ، د. لطفي فكري محمد الجودي ، ط1 ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة/ 1435هـ - 2014م.
73. الجملة الخبرية في نهجِ البلاغة دراسة نحوية ، د. علي عبدالفتاح محيي ، ط1 ، دار صفاء للنشر والتوزيع-عمَّان ومؤسسة دار الصادق الثقافية-بابل/1433هـ - 2011م.
74. الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي (ت 749هـ) ، تح: د. فخرالدين قباوة والأُستاذ محمد نديم فاضل ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت/1413هـ-1992م.
75. الحجاج بين النظرية والأُسلوب عن كتاب (نحو المعنى والمبنى) ، باتريك شارودو، ترجمة: د. أَحمد الودرني ، ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس - ليبيا/ 2007م.
76. الحِجاج في القرآن منة خلال أَهم خصائصه الأُسلوبية ، عبدالله صولة ، ط2 ، دار الفارابي ، بيروت/ 2007م.
77. الحجاج والاحتجاج بأَقوال سيبويه في كتب علوم القرآن كتاب البرهان للزركشي أُنموذجًا ، أ.د. رجاء عجيل الحسناوي ، ط2 ، مكتبة العلامة ابن فهد الحلي ، كربلاء المقدسة/ 1444هـ - 2022م.
78. الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة ، أَمينة الدهري ، ط1 ، شركة النشر والتوزيع (المدارس) ، الدار البيضاء / 2010م.
79. الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم ، د. أَيمن أَبومصطفى ، دار النابغة (د.ت).

80. الحيوان ، أَبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ) ، تح: عبدالسلام محمد هارون ، ط1 ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأَولاده ، مصر/ 1362هـ - 1943م.
81. الخصائص ، أَبوالفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ) ، تح: محمد علي النجار ، ط4 ، مطابع الهيأَة المصرية العامة ، مصر/ 1406 هـ- 1986م.
82. خصائص الأُسلوب القرآني، د. أَبوبكر محمد فوزي البَخيت ، ط1 ، حقوق الطبع: كرسي القرآن الكريم وعلومه – جامعة الملك سعود ، الرياض/ 1436هـ.
83. خصائص الأُسلوب في الشوقيات ، محمد الهادي الطرابلسي ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس/ 1981م.
84. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، د. عبدالعظيم إبراهيم محمد المطعني ، ط1 ، مكتبة وهبة ، القاهرة/ 1413هـ - 1992م.
85. الخطاب النفسي في القرآن الكريم دراسة دلالية أُسلوبية ، أ.د. كريم حسين ناصح الخالدي ، ط1 ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمَّان/1428هـ - 2007م.
86. خطرات في اللغة القرآنية ، د. فاخر الياسري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الموسوعة الثقافية (53) ، بغداد/ 2008م.
87. الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) ، دار الفكر ، بيروت/1993م.
88. دراسات قرآنية ، محمد قطب ، ط8 ، دار الشروق ، القاهرة/ 1425هـ - 2004م.
89. دراسات فنية في التعبير القرآني ، د. محمود البستاني ، ط2 ، مؤسسة الوفاء ، بيروت – لبنان/1405هـ - 1984م.
90. دراسات في البلاغة العربية ، د. عبدالعاطي غريب علام ، ط1 ، منشورات جامعة قان يونس ، بنغازي/ 1997م.
91. دراسات في علوم القرآن الكريم ، أ.د. فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي ، ط14 ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض/ 1426هـ - 2005م.
92. دراسات في النفس الإنسانية ، محمد قطب ، ط10 ، دار الشروق ، القاهرة/ 1414هـ - 1993م.
93. دروس تمهيدية في العقائد ، عماد الكاظمي ، ط1 ، جمعية أَبوطالب (عليه السلام) الخيرية ، الكاظمية المقدسة ، بغداد/ 1435هـ - 2014م.

94. الدفاع عن الأَفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري ، د. محمد بن سعد الدكان ، ط1 ، مطابع الشبانات الدولية ، بيروت/ 2014م.
95. دلالة الاكتفاء في الجملة القرآنية دراسة نقدية للحذف والتقدير ، د. علي عبدالفتاح محيي ، ط1، المركز الوطني لعلوم القرآن ، مطبعة النماء ، بغداد/1431هـ – 2010م.
96. دلالة الأَلفاظ ، د . إبراهيم أَنيس ، ط3 ، مكتبة الأَنجلو المصرية ، مطابع سجل العرب ، مصر/ 1972 م.
97. دَلالة التراكيب دراسة بلاغية ، د. محمد محمد أَبوموسى ، ط2 ، الناشر مكتبة وهبة ، القاهرة/1408هـ – 1987م.
98. الدلالة السياقية عند اللغويين ، د. عواطف كنوش المصطفى ، ط1 ، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع ، لندن/ 2007م.
99. الدلالة اللغوية عند العرب ، د. عبدالكريم مجاهد ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمَّان/ 1985م.
100. دلائل الإعجاز في علم المعاني ، أَبوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني (ت 471 أَو 474هـ) ، تح : د. محمد التنجي ، دار الكتاب العربي بيروت/1995م.
101. دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أُولمان ، تر: د. كمال محمد بشر ، مكتبة الشباب المنيرة – مصر/ 1975م.
102. السنن الكبرى ، أَبوبكر أَحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، ط1 ، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد/ 1344هـ.
103. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت 279هـ) ، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر ، بيروت/1403هـ.
104. سورة الكوثر الإعجاز النفسي والبلاغي ، د. محمد رفعت زنجير و د. عمر حمدان الكبيسي ، دار اقرأ ، دمشق/ 2010م.
105. سيكولوجية القصة في القرآن ، التهامي نقرة ، الشركة التونسية للتوزيع/ 1974م.
106. الشامل معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها ، محمد سعيد إِسبر وبلال جنيدي ، ط1 ، دار العودة ، بيروت/ 1981م.

107. الشخصية الإنسانية في ضوء القرآن الكريم ، د. أَحمد عبدالحميد غراب ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة/ 1985م.
108. شرح ابن عقيل على أَلفيّة ابن مالك ، بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيليّ الهمدانيّ (ت 769 هـ) ، تح: محمّد محيي الدين عبدالحميد ، ط2 ، دار الفكر دمشق/ 1985 م.
109. شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب ، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت 686هـ) ، تح: أ.د. يوسف حسن عمر ، جامعة قار يونس ، ليبيا/ 1395هـ – 1975م.
110. شرح التصريح على التوضيح ، الشيخ خالد بن عبدالله الأزهريّ (ت 905 هـ) ، تح: محمد باسل عيون السود ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت/ 2000م.
111. شرح المفصل ، الشيخ موفّق الدين بن عليّ بن يعيش النحويّ (ت 643 هـ) تحقيق وشرح: أَحمد السيّد أَحمد ، مراجعة: اسماعيل عبدالجواد عبدالغنيّ ، المكتبة التوفيقية ، مصر (د.ت).
112. شرح تسهيل الفوائد ، محمد بن عبدالله ابن مالك الطائي الجياني أَبوعبدالله جمال الدين (ت ٦٧٢ هـ) ، تح: د. عبدالرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون ط1 ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، السعودية/ ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.
113. شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ، جمال الدين محمد بن عبدالله ابن مالك ، تح: د. عبدالمنعم أَحمد هريدي ، مطبعة الأَمانة ، القاهرة/ 1975م.
114. شرح نهج البلاغة ، ابن أَبي الحديد (655هـ) ، تح: محمد أبوالفضل إبراهيم ط2 ، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر/ 1387هـ – 1967م.
115. صحيح البخاري ، أَبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت 256هـ) تح: د. مصطفى ديب البغا ، ط3 ، دار ابن كثير ، بيروت/ 1407 هـ–1987م.
116. صحيح مسلم ، أَبوالحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت 261هـ) ، شرح النووي ، عناية: محمد محمد عبداللطيف ، ط2 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت/ 1392هـ– 1972م.

117. الصناعتين الكتابة والشعر ، أَبوهلال العسكريّ (ت 395هـ) ، تح: محمّد علي البجاوي ومحمد أَبوالفضل إبراهيم ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة/ 1971 م.
118. الصورة الأَدبية في القرآن الكريم ، د. صلاح الدين عبدالتواب ، ط1 ، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ، القاهرة/ 1995م.
119. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د. جابر عصفور ، ط3 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت/ 1992م.
120. الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية وبلاغية ، د. محمدحسين علي الصغير ، دار الرشيد للنشر ، بغداد/ 1981م.
121. الطراز المتضمّن لأَسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، السيّد يحيى بن حمزة بن عليّ بن إبراهيم العلويّ اليمنيّ (ت 745 هـ) ، مراجعة وضبط وتدقيق: محمّد عبدالسلام شاهين ، ط1 ، دار الكتب العلميّة ، بيروت/ 1415 هـ – 1995 م.
122. ظاهرة التقابل في علم الدلالة ، د. أَحمد نصيف الجنابي ، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية (د.ت).
123. الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ، نذير حمدان ، ط1 ، دار المنايرة ، جدة – السعودية/ 1412هـ – 1991م.
124. العدالة الاجتماعية في الإسلام ، سيد قطب ، ط13 ، دار الشروق ، القاهرة/1413هـ – 1993م.
125. العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أَهل البيت ، العلامة الأُستاذ جعفر السُّبحاني ، الوكالة العالمية للتوزيع ، بيروت (د.ت).
126. عقيدتنا المعرفة الدينية ، الشيخ مالك مصطفى وهبي العاملي ، ط1 ، دار الولاء للطباعة والنشر ، بيروت/ 1438هـ – 2017م.
127. علم الأَصوات العام (أَصوات اللغة العربية) ، د . بسّام بركة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت/ 1988م.
128. علم الأَصوات اللغوية ، د. مناف مهدي الموسوي ، ط3 ، دار الكتب العلمية ، بغداد/1419هـ – 2007م.
129. علم البديع ، د. عبدالعزيز عتيق (ت 1976م) ، دار الآفاق العربية ، القاهرة/ 1424هـ – 2004م.

130. علم الصرف الصوتي ، د. عبدالقادر عبدالجليل ، دار أَزمنة/ 1998م.
131. علم اللغة الاجتماعي عند العرب ، د. هادي نهر ، ط1 ، مطبعة الجامعة المستنصرية ، بغداد/ 1408هـ – 1988م.
132. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية ، د. صبحي إبراهيم الفقي ، ط1 ، دار قباء ، القاهرة/ 2000م.
133. علم المعاني ، د. عبدالعزيز عتيق ، دار الآفاق العربية ، القاهرة/ 1424هـ – 2004م.
134. علم النفس اللغوي ، د. نوال محمد عطية ، ط3 ، المكتبة الأَكاديمية ، القاهرة/1995م.
135. على طريق التفسير البياني ، د. فاضل صالح السامرائي ، مركز البحوث والدراسات ، الشارقة/ 1425هـ – 2004م.
136. العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده ، أَبوعلي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 463هـ) ، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة حجازي ، القاهرة/ 1357هـ – 1934م.
137. عيون أَخبار الرضا ، الشيخ أَبوجعفر الصدوق محمد بن علي ابن الحسين بن بابويه القمي (ت381هـ) ، تح: الشيخ حسين الأَعلمي ، ط1 ، منشورات الشريف الرضي ، قم/ 1378هـ.
138. الفوائد العقدية ، عبدالرحمن بن يحيى المُعَلِّمي اليماني (ت ١٣٨٦هـ) ، تح: علي بن محمد العمران ونبيل بن نصار السندي ، راجعه: محمد أَجمل الإِصلاحي ، ط1 ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة /١٤٣٤ هـ
139. في إِعراب القرآن ، أ.د. زهير غازي زاهد ، ط1 ، مؤسسة دار الصادق الثقافية ، بابل/ 1437هـ – 2016م.
140. في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي في دراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأَول نموذجا ، د. محمد العمري ، ط2 ، إِفريقيا الشرق ، بيروت/ 2002م.
141. في رحاب الإِيمان ، آية الله السيد محمد تقي المدرِّسي ، ط1 ، انتشارات مدرسي ، إِيران/ 1417هـ.

142. في ظلال القرآن ، سيد قطب (ت 1966م) ، ط 25 ، دار الشروق ، القاهرة/1996م.
143. في النحو العربيّ نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي ، ط2 ، دار الرائد العربي بيروت/ 1406هـ - 1986م.
144. القاموس الموسوعي للتداولية ، جاك موشلر - آن ريبول ، ترجمة مجموعة من الأَساتذة والباحثين من الجامعات التونسية ، إِشراف: عزالدين المجذوب ، مراجعة: خالد ميلاد ، ط2 ، منشورات دار سيناترا ، تونس/ 2010م.
145. الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه (ت180هـ) ، تح: د. عبدالسلام محمد هارون ، ط3 ، مطبعة المدني ، مصر/ 1408هـ - 1988م.
146. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأَقاويل في وجوه التأويل ، محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) ، تح: عبدالرزاق المهدي ، ط2 ، دار إِحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت/1421هـ - 2001م.
147. كلام العرب من قضايا اللغة العربية ، د. حسن ظاظا ، مكتبة الدراسات اللغوية /1971م.
148. لسان العرب ، أَبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإِفريقي (ت 711هـ) ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت/1388هـ- 1968م.
149. اللغة والحِجاج ، د. أَبوبكر العزاوي ، ط1 ، العمدة في الطبع ، الدار البيضاء/ 1426هـ - 2006م.
150. اللغة واللون ، د. أَحمد مختار عمر ، ط2 ، عالم الكتب للنشر والتوزيع ، القاهرة/ 1997م.
151. لمحات نفسية في القرآن الكريم ، د. عبدالحميد محمد الهاشمي ، 1402هـ.
152. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، د. فاضل صالح السامرائي ، ط3 ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمَّان/ 1423هـ - 2003م.
153. اللمع في العربيّة ، ابن جني ، تح: د. فائز فارس ، ط1 ، دار الأَمل . مكتبة الكندي ، عمَّان/ 1409هـ-1988م.
154. مباحث في علوم القرآن ، د. صبحي الصالح ، دار العِلم للملايين ، ط10 ، بيروت/1977م.

155. مبادئ العقيدة الإسلامية ، د. مصطفى سعيد الخن ، جامعة دمشق/ 1403هـ – 1983م.
156. متشابه القرآن ، ابن شهر آشوب المازندراني (ت 588هـ) ، دار بيدار للنشر ، إيران/ 1369هـ.
157. المتشابه والمختلف في النحو العربي ، د. محمد حسنين صبرة ، ط1 ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة/ 2003م.
158. المثل السائر ، ابن الأَثير أَبوالفتح ضياء الدِّين نصرُالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي(ت 630 هـ) ، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت/ 1995م.
159. المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ، السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره/ ت 2003م) ، ط2 ، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ، النجف الأَشرف/ 2006م.
160. مجمع البيان في تفسير القرآن ، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548هـ) ، تح: لجنة من العلماء والمحققين ، منشورات مؤسسة الأَعلمي للمطبوعات ، بيروت/1415هـ –1995م.
161. مختصر تفسير البغوي المسمى بـ(معالم التنزيل) ، الإمام أَبومحمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت 516هـ) ، اختصار وتعليق: د. عبدالله بن أَحمد بن علي الزيد ، دار السلام للنشر والتوزيع ، السعودية/ 1413هـ.
162. مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أَبوالبركات عبدالله بن أَحمد بن محمد النسفي (ت 710هـ) ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة (د.ت).
163. المدخل إلى علم أَصوات العربية ، د. غانم قدوري الحمد ، ط1 ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمَّان/ 1425هـ – 2004م.
164. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د. رمضان عبدالتواب ، ط3 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة/1417هـ – 1997م.
165. المزهر في علوم اللغة وأَنواعها ، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) ، تح: محمد أَحمد جادالمولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أَبوالفضل إبراهيم ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة/1958م.

166. مسند الإمام أَحمد بن حنبل (ت 241هـ) ، تح: محمد عبدالقادر عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت/ 2008م.
167. مشاهد القيامة في القرآن ، سيد قطب ، ط16 ، دار الشروق ، القاهرة/ 1427هـ – 2006م.
168. المعارف الإسلامية ، مؤسسة المعارف الإسلامية للثقافة ، النجف الأَشرف (د.ت).
169. معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، الناشر شركة العاتك لصناعة الكتاب ، القاهرة/1990م.
170. معترك الأَقران في إعجاز القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تصحيح وضبط: أَحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت/ 1988م.
171. المعنى خارج النص أَثر السياق في تحديد دلالات الخِطاب ، فاطمة الشيدي ، دار نينوى للطباعة والنشر ، دمشق/2011م.
172. مغني اللبيب عن كتب الأَعاريب ، جمال الدين بن هشام الأَنصاري (ت 761هـ) ، تح: د. مازن المبارك ومحمد علي حمدالله ، مراجعة: سعيد الأَفغاني ط5 ، مؤسّسة الصادق ، طهران/ 1392 هـ- 1972م.
173. مفتاح العلوم، أَبويعقوب يوسف بن محمد السكاكي (ت 626هـ)، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأَولاده ، مصر/ 1356هـ- 1937م.
174. المفردات في غريب القرآن ، أَبوالقاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأَصفهاني (ت 502هـ) ، تح: محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت (د.ت).
175. المقابلة في القرآن الكريم ، بن عيسى باطاهر ، ط1 ،دار عمار للنشر والتوزيع عمَّان/ 1420هـ – 2000م.
176. المقاييس في اللغة ، ابن فارس (ت 395هـ) ، تح: شهاب الدين أَبوعمرو ، ط2 ، دار الفكر ، بيروت/ 1418هـ – 1998م.
177. مقومات الإنسانية في القرآن الكريم ، د. أَحمد إبراهيم مهنا ، مطبعة المصحف الشريف ، القاهرة/ 1421هـ- 2000م.
178. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابِهِ اللفظِ من آي التنزيل ، الإمام أَبوجعفر أَحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت 708هـ) ، تح: سعيد الفلاح ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت/ 1428هـ – 2007م.

179. من بلاغة القرآن ، د. أَحمد أَحمد بدوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة/ 2005م.
180. من دلائل الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ، الأُستاذ محمد أَبوعيد ، ط1 ، دار المنارة للنشر والتوزيع والترجمة ، مصر/ 1429هـ – 2008م.
181. من هُدَى القرآن ، سماحة المرجع الديني الحاج السيد محمد تقي المدرِّسي ، ط3 ، دار محبي الحسين (عليه السلام) للنشر ، كربلاء المقدسة/1442هـ – 2021م.
182. مناهج الجدل في القرآن الكريم ، د. زاهر عواض الأَلمعي ، ط3 ، 1404هـ. (د.م.ط).
183. منَّة المنان في الدفاع عن القرآن ، السيد الشهيد محمد الصدر ، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام ، النجف الأَشرف/ 1431هـ 2010م.
184. منهاج البلغاء وسراج الأُدباء ، أَبوالحسن حازم القرطاجني (ت 684هـ) ، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس/ 1966م.
185. المنهج الصوتي للبِنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي ، د. عبدالصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت/ 1400هـ – 1980م.
186. موسوعة التفسير البلاغي ، نخبة من علماء مجمع القرآن الكريم بالشارقة ، ط1 ، منشورات القاسمي ، الشارقة/ 1444هـ – 2023م.
187. ميزان الحكمة ، محمد الرَّيشَهرِي ، ط2 ، دار الحديث ، مطبعة اعتماد ، قم/1422هـ.
188. الميزان في تفسير القرآن ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت/1981م) ، ط1 ، صحَّحه وأَشرف على طباعته: الشيخ حسين الأَعلَمي ، منشورات مؤسسة الأَعلَمي للمطبوعات ، بيروت/1997م.
189. النحو العصري دليل مبسط لقواعد اللغة العربية ، سليمان فياض ، ط1 ، مركز الأَهرام للترجمة والنشر ، القاهرة/ 1416هـ – 1995م.
190. النحو الواضح في قواعد اللغة العربية ، علي الجارم ومصطفى أَمين ، دار المعارف ، القاهرة (د.ت).
191. النحو في ظلال القرآن ، عزيزة يونس بشير ، ط1 ، دار مجدلاوي ، عمَّان/ 1418هـ – 1998م.

192. النداء في اللغة والقرآن ، د. أَحمد محمد فارس ، ط1 ، دار الفكر اللبناني ، بيروت/1409هـ - 1989م.
193. نصوص قرآنية في النفس الإنسانية ، د. عزالدين إسماعيل ، ط2 ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) ، بغداد/ 1986م.
194. نظرية البيان العربي خصائص النشأة ومعطيات النوع التعليمي - تنظير وتطبيق ، د. رحمن غركان ، ط1 ، دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر دمشق/ 2008م.
195. نظرية التأويل التقابلي مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب ، محمد بازِّي ط2 ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمَّان/ 1441هـ - 2020م.
196. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أَبوالحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ، تحت مراقبة: د. محمد عبدالمعيد ، ط1 ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد - الهند/ ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.
197. نفحات قرآنية ، محمد بن صالح الشاوي ، اعتنى به وأَعده للنشر: صالح ابن محمد الشاوي ، ط1 ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض/ 1433هـ- 2012م.
198. نقد الشعر ، أَبوالفرج قدامة بن جعفر ، تح: د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت).
199. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) تح: أَحمد شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، منشورات: محمد علي بيضون ، بيروت/ 1418 هـ- 1998م.
200. ينابيع المودة سجل عظيم للأَحاديث النبوية في مناقب الإمام علي وأَهل البيت (عليهم السلام) ، العلامة الكبير الشيخ سليمان بن الشيخ إبراهيم الحسيني القندوزي (ت1294هـ) ، صححه وعلق عليه: علاء الدين الأَعلمي ط2 ، منشورات مؤسسة الأَعلمي للمطبوعات ، بيروت/ 1430هـ - 2009م.

الرسائل الجامعية المخطوطة:

201. آيات الأَحكام في القرآن الكريم دراسة فنية ، وئام كاظم جواد سميسم ، رسالة دكتوراه مخطوطة أَشرف عليها (أ.م.د. حاكم حبيب الكريطي) في كليةِ الآدابِ - جامعةِ الكوفة/ 1429هـ - 2008م.

202. أَثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبِنْية ، علي عبدالله علي القرني ، رسالة دكتوراه مخطوطة في كلية اللغة العربية جامعة أُم القُرى ، السعودية/ 1425هـ – 2004م.
203. الأَسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة دراسة تطبيقية ، خالد بن محمد بن إبراهيم العثيم ، رسالة ماجستير مخطوطة ، كلية اللغة العربية ، جامعة أُم القرى ، السعودية/ 1418هـ – 1998م.
204. الإعجاز النفسي في الخطاب القرآني ، قويدر قيطون ، (رسالة دكتوراه مخطوطة) في كلية الآداب واللغات في جامعة قسنطينة ، الجزائر/ 2014م.
205. التقابل الدلالي في القرآن الكريم ، منال صلاح الدين عزيز الصفار ، رسالة ماجستير مخطوطة بإشراف أ.د. كاصد ياسر الزيدي ، كلية الآداب ، جامعة الموصل/ 1414هـ – 1994م.
206. التقابل في القرآن الكريم بين الجمالية والدلالية ، علي زيتونة مسعود ، رسالة دكتوراه مخطوطة بإشراف أ.د. محمد بوعمامة ، كلية اللغة والأَدب العربي والفنون – جامعة الحاج لَخضر – باتنة ، الجزائر/ 1438هـ 2017م.
207. الجدل في القرآن جدال بعض الأَنبياء مع أَقوامهِم نموذجًا: دراسة لغوية دلالية يوسف عمر لَعساكر (رسالة ماجستير مخطوطة) الجزائر ، كلية الآداب جامعة الجزائر (بن يوسف بن خدة) 3004–2005.
208. جماليات الحوار ودلالاته في القرآن الكريم: دراسة فنية وبلاغية ، عطاالله عبيد سلامة الطلالعة و حسن محمد علي الربابعة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة مؤتة ، الأُردن/ 2015م.
209. الحجاج في النص القرآني سورة الأَنبياء أُنموذجا ، إيمان درنوني ، رسالة ماجستير مخطوطة ، إشراف: د. الجودي مرداسي ، كلية الآداب واللغات – جامعة الحاج لَخضر – باتنة ، الجزائر/ 1433هـ – 2012م.
210. الدلالة النفسية في الخطاب القرآني – السيطرة على الكافرين والمنافقين أُنموذجا ، رياض علي حسين ، رسالة دكتوراه مخطوطة ، إشراف: أ.د. محمد حسين مهاوي ، كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) ، العراق/ 2025م.

211. الصوت والدلالة في القرآن الكريم ، كاملي بشير ، رسالة ماجستير بإشراف د. زعراط محمد ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية – جامعة وهران ، الجزائر/ 1433هـ – 2013م.
212. ظاهرة التقابل الدَّلالي في اللغة العربية ، عبدالكريم محمد حافظ العبيدي ، رسالة ماجستير (مخطوطة) بإشراف د. هادي نهر ، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية/ 1410هـ – 1989م.

الدوريات:

213. أَثر التماثل الصوتي في التوازن الإيقاعي ، د. فائزة محمد محمود المشهداني ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، مجلد16 ، العدد7 ، 2009.
214. الاستفهام المجازي وأثره في السياق (سورة آل عمران انموذجًا) ، أَحمد بطل وسيج الموسوي ، مجلة الآداب ، الجامعة المستنصرية ، العدد 113 ، 1436هـ – 2015م.
215. الإنتاج الدلالي في ضوء تفسير خصائص الصوت القرآني ، د. شذى خلف حسين ، مجلة آداب الجامعة المستنصرية ، ع55 لسنة 2012م.
216. التعليقُ الشرطيُّ بالنفيِ وحتى والطلَبِ وحتى في النصِّ القرآنيِّ: دراسةٌ تحليليةٌ مجلة جامعة بابل/ العلوم الإنسانية ، م24 ، ع1 ، 2016. وهو كتابٌ في مرحلةِ الإصدار النهائيِّ حاليًّا.

217. التقابل الدلالي: دراسة نظرية تطبيقية في سورة النساء، د. نوال بنت إبراهيم ابن محمد الحلوة ، مجلة علوم اللغة ، مج9 ، ع2 ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة/ 2006م.
218. التقابل في سورة يوسف (عليهِ السلامُ) ، د. زيتونة مسعود علي ، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ، مج12 ، ع2 ، الجزائر/ 2020م.
219. التوكيد في القرآن ، د. عبدالله بن حامد كمبيجو ، المجلة العلمية لكلية الآداب – ع24 –السنة 2011 – جامعة بنها ، السعودية.
220. الدَّلالة النفسية في القرآن الكريم مقاربة في سِيماء التواصل ، د. حيدر فاضل عباس ، مجلة الأُستاذ ، ع219 ، كلية الآداب – جامعة بغداد/1437 هـ – 2016م.
221. الدلالة النفسية لخطاب المرأة في النص القرآني ، د. جليلة صالح العلاق والباحثة إيمان صاحب الموسوي ، مجلة اللغة العربية وآدابها ، ع13 ، كلية الآداب – جامعة الكوفة/ 2012م.
222. الفعل المبني للمجهول في اللغة العربية (أَهميته. مصطلحاته. أَغراضه) ، د. عبدالفتاح محمد ، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ، م22 ، ع (1–2) ، دمشق/ 2006م.
223. من مظاهر التكرار في القرآن الكريم (بحثٌ منشورٌ في مجلةِ (مركز دراسات الكوفة) الصادرةِ عن جامعةِ الكوفةِ ، المجلدِ الأَولِ – العددِ الثالثِ 2004/9/30.
وقد وجدتُ – اطِّلاعًا وافيًا – أَنَّ بحثًا بالعنوانِ التامِّ نفسِه ، والمضمونِ التامِّ نفسِه قد نُشِرَ باسمِ (وداد حميد مهدي) – تعريفًا بانتسابِها إِلى تربيةِ محافظةِ نينوى / ثانوية المعالي للبنات – في (مجلةِ التربيةِ والعِلم) م18 ، ع2 ، 2011م.

مدوناتي الحوارية:

224. مُدوَّنتي الحواريةُ العلميةُ معَ (أ.د. رجاء عجيل الحسناوي) بتاريخ 16/ 1/ 2025.
225. مدونتي الحواريةُ العلميةُ مع (أ.د. علي عبدالفتاح الحاج فرهود –بتاريخ 6/ 2/ 2025.
226. مدونتي الحواريةُ العلميةُ معَ أُستاذي المشرفِ (أ.د. هادي شندوخ حميد) أُستاذِ الدراساتِ اللغويةِ والنحويةِ في كليةِ التربيةِ للعلومِ الإِنسانيةِ بجامعةِ كربلاءَ بتاريخ 2025/4/2.

227. مدونتي الحواريةُ العلميةُ مع (أ.د. علي عبدالفتاح الحاج فرهود) أُستاذِ الدراساتِ النحويةِ والدَّلالةِ القرآنيةِ في كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة بابل) بتاريخ 10/ 4/ 2025.

228. مدونتي الحواريةُ العلميةُ مع (أ.د. علي عبدالفتاح الحاج فرهود –بتاريخ 6/ 7/ 2025.

Introduction

In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful

Praise be to Allah, who has sole authority and whose glory is unique. Peace and blessings be upon His beloved, described as merciful, named Muhammad, and upon his pure family, the most exalted of those who feared the Most Merciful in obedience and worship, and upon his companions, whom the Qur'an described in its opening as eternal, saying that they are ‘severe against the disbelievers, merciful among themselves’ as a pledge.

And then;

This is my thesis which is entitled (The Psychological Signification of Opposition in the Qur'anic Text), graced by the fact that the Holy Qur'an is its substance, the Arabic language its specialization, and the system of linguistic antithesis is its subject, and its psychological significance to the addressee (the recipient) or listener is its focus and purpose.

I am honored that God Almighty has blessed me with His success, as this thesis from (its subject, specialization, topic, focus, and purpose) has been officially approved as the title of my postgraduate research study at the master's level, thanks to the guidance and suggestion of my esteemed supervising professor (Prof. Dr. Hadi Shandookh Hamid Al-Saeedi), and a formal, supportive acknowledgment of the approval and blessing of my esteemed professors in (the specialized scientific committee and the head of the department).

As I was pleased with this necessary scientific assignment to accomplish my research, I thank God Almighty for enabling me to complete and perfect it (initial), so that it may reach a (final) completion and perfection which I hope will be achieved with the help of my esteemed professors, whom I am honored to have chosen as chair and two members of the esteemed Scientific Arbitration Committee, which is expected to be approved in principle, , so that, with its guidance, this work may appear as a scientific treasure for which I have exerted and endured my efforts; It is a trust in their hands, and they will bless its correctness with generosity and correct its omissions and errors with mercy. Our only goal is to seek the

pleasure of Allah, the Almighty, by serving His miraculous Book with its words and meanings, and its sublime language with its styles, arts of composition, and connotations.

The psychological linguistic significance of the Qur'an is of particular importance in the movement of discourse and dialogue, as manifested in its effects on the recipient (the addressee) or listener, derived from the discourse of a miraculous text whose purpose is to guide, direct, instruct and refine, bringing benefit to mankind and warding off harm. It is formulated in words that, in most cases, represent a dialogue between two parties, or in some cases, they are exclusively opposing contrast, since the subject of my Thesis is not the general semantic contrast in which two parties or two structures meet without contradiction between them, as God Almighty says: (He is not but a man who has invented a lie about Allah, and we will not believe him)[Al-Muminun\38]; the first side or structure, “A man who has invented a lie about God,” is a negative description of him by the people of (Salih, peace be upon him), and is contrasted by the other side or structure, “We will not believe him,” which is their state and their negative stance towards him as well. However, there is no contradiction or opposition between them, as both are negative. The subject of my thesis is only the semantic opposition between the two sides, or the composition of the two opposing structures that contradict each other, such as (darkness and light) and (truth and falsehood)—for example—and the psychological connotations that emerge from them, which can be read as a thoughtful conclusion in light of Qur'anic knowledge and analytical ability, fortified by specialized sources and references in this scientific field, using the

necessary methods of collection and arrangement, analytical observation, and the expression of personal opinion with confidence based on achievement, when possible and necessary.

The idea for this thesis has been stemmed from the importance of its subject matter, for which I could find no previous thesis that specifically addressed it in a comprehensive manner, enriching the library with new content. The Quranic linguistic library still needs this specific study in a comprehensive and thorough manner. Because the general and university Quranic linguistic library is full of books and studies in the field of (linguistic contrast), they are generally about (contrast and comparison), and about (the rhetorical aspect) without a very clear specialization in the field of (the psychological significance of the opposing contrast), which I have taken as the specific content of my study and its evidence, distinguishing the thesis from others that have taken the general content of the contrast without the psychological significance, or taken the psychological significance of the text without the opposing contrast.

I based this thesis on an introduction, a preface, three chapters, and a conclusion with the thesis's results. I obtained all of its scientific and documentary material from sources in the fields of the Holy Qur'an and its sciences, its interpretation and explanation, with linguistic, semantic, grammatical, morphological, and phonetic studies psycholinguistic studies and linguistics. I prepared a detailed documentary list of the sources and references that I completed from them, and a summary in the English language that conveys the

subject of the thesis and its importance to foreign researchers interested in the Arabic language and Qur'anic studies.

As for the introduction, it is the one before the esteemed reader now. I have employed it to explain the subject and the reasons for choosing it for the thesis, its importance, its scientific significance, and the need for reference for it. I also present the plan according to which the material was distributed among its three chapters and what preceded or followed them, to explain some of the difficulties that hampered my work in it, to mention the general scientific fields of the sources from which I drew the material for the thesis, to define the scientific method that I followed in completing it, and to point out the results that I have reached.

As for the preface, I made it to provide a general definition of the content of the thesis by explaining its title.

As for the first chapter, I used it to explain (contexts of contrast opposition, their subjects, and their psychological implications) with what I chose—with the advice of my supervisor—from the main contexts of the Arabic language, divided into five topics, the first of which was (opposition in the context of interrogation), the second on (opposition in the context of conditionality), the third on (opposition in the context of emphasis), the fourth on (opposition in the context of argumentation), and the fifth on (opposition in the rhetorical context). This chapter has the most topics and the most pages compared to the second and third chapters because it is based on the foundations of the Arabic language and the art of rhetorical speech in it in light of the contexts of its systems, which are very numerous. I consulted

with my supervising professor and decided to limit myself to these five topics only, due to the limited duration allowed for a more comprehensive and broader subject with more topics and details.

As for the second chapter, I devoted it to (the areas of contrast opposition, their topics, and their psychological connotations), based on what I chose – with the advice of my supervising professor – from the main intellectual areas distributed among three topics, the first of which was for (opposition in the doctrinal field), the second for (opposition in the legislative field), and the third for (opposition in the social field). These are the area's most relevant to human existence and life, and to what is required of humans in terms of their duties, behavior and interactions in life.

As for the third chapter, I expanded it to (patterns of contrasting oppositions, their topics, and their psychological significations) with what I have selected – with the advice of my supervising professor – from the main linguistic patterns distributed over three topics, the first of which included (the opposition pattern of repetition), the second of which included (the pattern of diverse opposition), and the third of which was devoted to (the pattern of partial opposition) in order to fulfill the general patterns that are broad enough to cover most topics with their evidence and general connotations.

As for the conclusion, I presented in it the most prominent results that I reached from this thesis, including what I find to be original in the list of conclusions.

As for the sources of the thesis, I have provided a detailed mention of them at the end of the thesis, divided into (the Holy Qur'an),

(printed books), (university thesis manuscripts), (published scientific research), and (dialogue blogs that I documented from necessary scientific and consultative meetings), which are the main sources from which I organized the text based on two other pillars, namely:

1. Personal reflection based on linguistic and Qur'anic knowledge acquired through specialized academic study.
2. Personal analysis based on this reflection on the one hand, and the sources from which it is drawn and organized on the other hand.

As for the approach that I adopted as a basis for the idea of the thesis, its writing, and the organization of its material, it is the (descriptive-analytical-contrastive) approach, in which I relied on understanding the organization of the Qur'anic text as it is, with its revelation, wording, and context, analyzing its meaning in light of the psychological dimensions read, influencing the addressee (recipient) or the listener alike.

As for what can be considered among the difficulties of this difficult study, it is the necessity of careful deliberation before the Qur'anic text with regard to deducing the psychological dimensions and effects that appear from it in terms of refinement and guidance, or warning and deterrence, intimidating the addressee (recipient) or the listener alike. It is a contemplative, diligent reading that is constantly investigating to verify its support from its sources if that is possible.

In conclusion, I would like to express my gratitude to Allah Almighty: this is what Allah Almighty has enabled me to accomplish in my first

research experience at this level. I offer it as a service to the Holy Qur'an and the Arabic language on the one hand, and as a service to the esteemed reader, whether specialized or non-specialized, and the linguistic-Qur'anic library on the other hand. If I am correct, then it is the grace of Allah Almighty, and if I make a mistake or forget, then this is the state of human, demonstrating the limitations of his scientific potential. We are the ones addressed by the verse, (And mankind have not been given of knowledge except a little)[Al-Isra'\85]. (And my success is not but through Allah. Upon him I have relied, and to Him I return)[Hud\88], (And praise to Allah, Lord of the worlds) [Assaaffat\182].

Zahraa

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Karbala\ College of Education for Humanities

Postgraduate Studies – Master Degree

The Psychological Signification of Opposition in the Qur'anic Text

A Thesis

Submitted to the Council of College of Education for Humanities \ University of Karbala in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master in Arabic Language\ Linguistics

By

Zahraa Shaker Mohammed Al-Waili

Supervised by

Prof. Dr. Hadi Shandookh Hamid Al-Saeedi

2025 A. D

1447 A. H